السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين

إعداد

الطالب:عبد الخالق عبد الله عوده عيسى

إشـــراف

الأســـتاذ الدكتور: حسين أحمـــد عطوان

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

آب / 2003 م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوقشت هذه الرّسالة وأجيزت بتاريخ : / / 2003م

أعضاء لجنة المناقشة :

التوقيع

1- الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان/ رئيساً 0000000000

2- الأستاذ الدكتور عبد الجليل حسن عبد المهدي/ عضواً 0000000000

3 - الدكتور ياسين يوسف عايش / عضواً 000000000

4- الأستاذ الدكتور مصطفى عليّان / عضواً 0000000000

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمة المحتويات

-المحتويات 0	**ج**
-ملخّص الرّسالة	**و**
-المقدّمة	**ح**
-الفصل الأوّل :مفهوم السخرية وحدوده	**1**
-أسباب اختيار مصطلح السخرية	**2**
-بداية ظهور فن السخرية	**3**
-السخرية وعلاقاتها	**6**
أ- مفهوم السخرية	**6**
ب- علاقة السخرية بالمجتمع	7
ج- أنواع السخرية	10
د-أساليب السخرية	11
هـ-أسباب اللجوء إلى السخرية	**12**
و-المصطلحات التي لها علاقة بالسخرية	**13**
-الفصل الثاني : السخرية من ملامح الإنسان الخارجية	**23**
1- السخرية من أعضاء الجسم وهيئته العامّة	**24**
2 - السخرية من اللحية	40
الفصل الثالث :السخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته	**51**
1-السخرية من ضيق الحال	**52**
2-السخرية من البخل	**60**
3-السخرية من ضعف الرجولة والجبن	**94**
4-السخرية من الأنساب	**96**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5-السخرية من الغباء والثقل والسماجة	**101**
6-السخرية من التناقض في حياة الشخص	**106**
7-السخرية من إخلاف الوعد	**107**
الفصل الرابع :السخرية من فئات اجتماعية مختلفة	**111**
أ-السخرية من الزوجات والأزواج والبنات	**112**
ب-السخرية من المغنين والمغنيات	**118**
ج-السخرية من الخدم والجواري	**130**
د-السخرية من الشعراء والكتّاب والنحاة والمتكلّمين	**136**
ه-السخرية في مواقف مختلفة	**148**
الفصل الخامس :السخرية السياسية	**153**
أ-السخرية من الخلفاء والأمراء	**154**
ب-السخرية من موظفي الدولة	**163**
الفصل السادس: السخرية الدينية والحضارية	**184**
أ-السخرية الدينية	**185**
ب-السخرية الحضارية	**201**
الفصل السابع : الدراسة الفنية	**218**
1-اللغة	**219**
2-الأسلوب	**232**
1-أسلوب الأمر	**236**
2-أسلوب الاستفهام	**237**
3-أسلوب النفي	**237**
4-أسلوب الشرط	**238**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

5-أسلوب الحوار	**240**
6-أسلوب السرد القصصي	**242**
7-توظيف عناصر متنوعة من التراث	**242**
أ-الثقافة الدينية	**242**
ب-الثقافة التاريخية والأسطورية	**245**
ج-المعارف العلمية والفقهية والفلسفية	**246**
د-المعارف النحوية والأدبية والنقدية	**248**
3-**الصورة**	**254**
-**الخاتمة**	**266**
-**المصادر والمراجع**	**268**
Abstract	**281**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملخّص

السخرية في الشّعر العباسي
في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

إعداد

عبد الخالق عبدالله عوده عيسى

إشراف

الأستاذ الدكتور حسين أحمد عطوان

قامت هذه الدراسة بمعالجة السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وقد بيّنتْ أنّ ظهور السخرية جاء بفعل تغيّرات اجتماعية كبيرة ، أثّرت في الفرد والمجتمع ، وقد اتّخذ الشعراء منها وسيلةً من وسائل النقد والتغيير، فعمدوا إلى كشف كثير من المشاكل والعيوب بأساليب بلاغية رفيعة ، ونادوا بمعالجتها 0

وقد ‘بنيت الدراسة علىمقدّمة وسبعة فصول وخاتمة، تضمّن الفصل الأول أسباب اختيار السخرية ، وبداية ظهورها ،وتعريفها وعلاقتها بالمجتمع والفرد ، وأنواعها وأساليبها ، وأسباب اللجوء إليها ، وعلاقتها بالمصطلحات التي تتّصل بها ، أو تلتقي معها 0

وجاء الفصل الثاني تحت عنوان السخرية من ملامح الإنسان الخارجية ، وظهرت فيه السخرية من القِصَر ، والصّلَع ، وكبر الأنف، والدّمامة ، وطول اللحية، ورثاثة اللّباس 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرض الفصل الثالث للسخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته ،وبرز فيه السخرية من ضيق الحال ، ومن البخل والبخلاء ، ومن ضعف الرجولة والجبن ، ومن الأنساب ، ومن الغباء والثّقل ، ومن التناقض في حياة الإنسان ، ومن إخلاف الوعد

وتحدث الفصل الرّابع عن السخرية من فئات اجتماعية مختلفة ، فتناول الزوجات ،والبنات ، والمغنين ، والمغنيات، والخدم ، والجواري ، والشعراء، والكتّاب، والنحاة، والمتكلمين0

وطالت سخرية الشعراء في الفصل الخامس الخلفاء والأمراء، وعمال الخراج، والقضاة ،وكتّاب الدّواوين، وغيرهم من الموظفين 0

وتناولت سخريتهم في الفصل السادس مسائل دينية وحضارية، فتهكّم بعضهم من التنسّك وتحريم الخمرة وعبّروا عن استثقالهم من الصوم والحج، وسخروا من حياة الأعراب البسيطة ، وأنكروا امتلاكهم لأيّ مظهر من مظاهر التحضّر والرّقي ، ونادوا بمجاراة الفرس في حياتهم وأسلوب معيشتهم.

أمّا الفصل السابع فهو الدراسة الفنيّة ، وضمّ اللّغة والأسلوب والصورة ، وأظهر ازدواجية في اللغة جمعت الفصحى والشعبية أحياناً ، والفصحى والمعرّبة أحياناً أخر، وكشف الفصل عن أساليب عديدة أغنت الفن السّاخر وزادت من تأثيره ، وأهمها أسلوب المقابلة وتوحيد المعاني المتنافرة ، وقد أسهم هذا الأسلوب في تشكيل صور متنوّعة كان أظهرها الصور الكاريكاتورية المتحرّكة التي تكاد تنطق بذاتها ، وكان رائد هذا النوع الشاعر الساخر ابن الرّومي 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بســـــــم الله الرحمـــــن الرحيـــــــم

المقـــــــــــدمة

كنت أدرك، صعوبة البحث في السخرية في الشعر العباسي ، لعلمي أنّها مختلطة في الهجاء والفكاهة والدّعابة وغيرها ، ولكنّي أيقنت أنّ تمام الأمر يحتاج إلى مزيدٍ من التروّي والجهد 0

وبدأت أتزوّد بالثقافة التاريخية التي تعينني على فهم طبيعـــة العصر العباسي ومراحله ، وعلاقة الشعراء بشخصياته ، وأدركت بعد مدّة أنّ دراسة الشعر لا يمكن أن تكون بمعزلٍ عن التاريخ 0

وبعد تقليب دواوين شعراء القرن الثانين والثالث الهجريين، وجدت مادّةً خصبة ، تناولت هذه الحقبة بكلّ ما فيها من مشكلات وتناقضات ، فمضيت، أجمع الأخبار والأشعار التي تتعلّق بموضوع السخرية ، وحين أحسست أنّ مادّة الدّراسة اكتملت أو كادت ، شرعت في تصنيفها وترتيبها 0

وأفدت من دواوين شعراء العصر العباسي الذين عاشوا في حقبة الدّراسة، ومنهم بشـــــار بن برد ، وأبونواس ، و دعبل الخزاعي ، و ابن الرومي، وأخذت من أمّهات كتب الأدب والتاريخ ، ومنها على سبيل المثال : البخلاء للجاحظ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والأغاني للأصفهاني ، وزهر الآداب للحصري ، والعمدة لابن رشيق ،وخزانة الأدب لابن حجّة ، والوافي بالوفيات ، ونكت الهميان للصفدي ، ومن كتب التاريخ :تاريخ الأمم والملوك للطبري ، ومروج الذهب للمسعودي ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستعنت بكتب المحدثين ، ومنها على سبيل المثال: التطور والتجديد في الشعر الأموي ، والعصر العباسي الأول ، للدكتور شوقي ضيف ، وشعراء الشعب في العصر العباسي ، والشعراء الصعاليك في العصر العباسي ، والشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، للدكتور حسين عطوان ، وابن الرومي لإيليا حاوي ، وموقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي لمحمد زكي العشماوي ، ونقاط التطور في الأدب العربي لعلي شلق 0

وأقمت' دراستي على المنهج التكاملي الذي أتاح لي فرصة التعامل مع النصوص بما يناسبها ، لكنّه ظلّ واضحاً أن المنهج التاريخي والمنهج التحليلي ، هما الأبرز والأوضح 0

وجعلت بناء هذه الدراسة في سبعة فصول ، وقفت في الفصل الأول على مفهوم السخرية وحدوده ، وحاولت فيه أنْ أبيّن الفروق بين المصطلحات التي تقارب السخرية أو تلتقي معها ، كالفكاهة والتهكّم والهزْل والمفارقة 0

وعرضت في الفصل الثاني للسخرية من ملامح الإنسان الخارجية ، وقد تعمّدت ألّا يكون العنوان السخرية من أعضاء الجسم ، حتى أستطيع معالجة ما يخصّ الحركة والهيئة العامة ، واللّباس في هذا الفصل أيضاً 0

وأفردت الفصل الثالث للسخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته ،وقد برز فيها السخرية من ضيق الحال التي عبّر عنها شعراء الكدية والفقر ، واستغرقت السخرية من البخل في هذا الفصل حيّزاً كبيراً ، يشير إلى شدّة كره الناس لهذه العـــادة ، وتناول الشّعراء أيضاً بعض الصـــفات المذمومـــة مثل: الجبن ،والغباء، والثقل، والسماجة، وإخلاف الوعد 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعرضت‘في الفصل الرابع للسخرية من فئات اجتماعية مختلفة ، عكست بدورها أزمة الشاعر في علاقته مع نفسه ، وعلاقته مع مجتمعه ، لذلك وجّه بعضهم سهام نقده لزوجته وأبنائه ، ولبعض النحاة، والكتاب ،والشعراء، والمتكلّمين ، والمغنين، والمغنيات ،والجواري والعبيد 0

ودرســـت في الفصل الخامس السخرية من الخلفاء والأمراء وموظفي الدولة ، وقد كشـــف هذا الفصل عن لبّ المشكلة التي يحياها الناس في هذا العصر ، بسبب ما في الحالة السياسية من سوء ، وما يتبعها من فوضى وظلم 0

ووقفت في الفصل السادس عند السخرية الدينية والحضارية ، وأشرت إلى اختلاف الدوافع والأهداف عند كلّ شاعر ، ففي حين عبّرت سخرية بعضهم عن موقفٍ فكري ، كانت عند غيرهم نوعاً من العبث والمجون .

وخصّصت الفصل السابع للدراسة الفنيّة ، وتناولت فيه لغة الشعراء وأساليبهم وصورهم ، وقد أعطيت ابن الرومي ومن بعده أبا نواس اهتماماً كبيراً ، فاق جلّ شعراء هذه الدراسة ، ولم يكن ذلك رغبة منّي ، ولكنّ حجم الإسهام الذي قدماه كان أكبر ممّا قدّمه بقيّة شعراء السخرية ، فديوان ابن الرومي مثلاً جاء في ستة أجزاء، في حين توزّعت سخرية معظم الشعراء الآخرين في أبيات قليلة متناثرة 0

ولا أزعم‘ أن هذه الدّراسة أحاطت بالموضوع إحاطةً وافيةً ، ولم يبق للباحثين من بعدي شيء ، ولكنّي حاولت أن أخرجها على أفضل وجه ارتأيته ، فإنْ كنْت قد وفّقت فذلك ما قصدت إليه ، وانْ كنْت قصّرت عن بلوغ هدفي فحسبي أنّني اجتهدت 0

وفي الختام أتقدّم بجزيل الشكّر والعرفان لأستاذي الدكتور حسين عطوان الذي تابعني في كّل مراحل هذه الدراسة ، كلمةً كلمة ، ولم يدّخر جهداً في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رعايتي وتوجيهي ، وحقّ له عليّ أنْ اعترف أنه عالم دقيق دقةً ما عرفتها ، وإنّ عنائي في البحث كان يزول عندما كنت أستمع إلى ملاحظاته ، فأشكره على سعة صدره وحسن رعايته0

وأترحم على الأستاذ الكبير الدكتور إحسان عباس الذي غادرنا بجسده ، وبقيت كلماته ماثلةً أمامنا ، فقد وجّهني في رسم خطوط هذه الدّراسة ، وكتب لي جملةً من الملاحظات ، أنارت لي جوانب الموضوع، وفتحت أمامي آفاقاً جديدة.

وأتوجّه بالعرفان للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بما أسداه لي من نصح في التوفيق بين الأدب والتاريخ ، ثم أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور عبدالجليل عبد المهدي الذي كان يأخذ بيدي إذا تعثّرت، ويقويني إذا وهنت ، ولم يبخل عليّ بالنصح والإرشاد .

وأتقدّم بالشكر للأستاذين الفاضلين الأستاذ الدكتور مصطفى عليان والدكتور ياسين عايش ؛ لتفضّلهم بقراءة هذه الرّسالة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

تعريف المصطلح وحدوده

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسباب اختيار مصطلح السخرية

اخترت مصطلح السخرية وفضلته على غيره، لأن السخرية أسلوب متميّز في ألوانه المتعددة ، وفن قادرٌ على التأثير والاستجابة ، من خلال بث مشاعر غاضبة ورافضة ، ولأنه صار مصطلحاً مألوفاً وشائعاً تمتاز به أعمال بعض الكتّاب والشعراء، وقد يُسأل عن سبب إثارة التعبير الساخر، على حين لا يُسأل عن التعبير الجدّي المباشر.

تستهدف السخرية في جوهرها نقد الحياة ، أو تغيير بعض الظواهر فيها ، وهذا التغيير أو التطوير ، يبدأ أولا بتشخيص الحال ، ومعالجة الخلل فيها، والسخرية بدورها لا تكتفي بالنظر إلى الأشياء من السطح ، ولا تقتصر في تشخيصها للخلل على ظواهر الأمور ، وإنما قد تشك في الإنسان ذاته، وفي النظام العام الذي يسيّر العالم ، فتصبح مفهوما عميقا ، ونظرة شاملة ، "وكأنما أريد لها أن تحل محل الفلسفة والأخلاق"[1] . وتعتمد في ذلك أساليب بارعة ، تدخل إلى الناس مداخل شتى ، فتستنهض عقولهم أحيانا ، وتدغدغ مشاعرهم أحيانا أخرى ، وقد تلهو بكينونتهم ، فتصبح سلاحاً متعدد الأطراف ، وهذا يزيد من تأثيرها وقوّة سطوتها ، ويوسع دائرة نشاطها. في حين أن الجِدّ حالة عادية غير طارئة، [2] ولا تخرج عن المألوف في النظر إلى الأشياء ، وفي التعامل معها، وليس في هذا ما يدعو للسؤال أو الغرابة . ولا نبالغ إذا قلنا :" إن الموقف الساخر هو الأليق بواقع الحياة وتناقضاتها"([3]).

ويرى ابن رشيق أنّ السخرية لها تأثير شديد ،إذ يردد أن التعريض أهجى من التصريح ويعلل ذلك "باتساع الظن في التعريض، وشدة تعلّق النفس به، والبحث عن معرفته وطلب حقيقته" فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علماً، وقبلته يقيناً في أول وهلة، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل"[4].ويذكر

---

[1] أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، ص40.

[2] بو علي ياسين : بيان الحد بين الهزل والجِد، ص25.

[3] عادل العوا : مواكب التهكم ، ص12.

[4])ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج2، ص172، 173.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القاضي الجرجاني أن أبلغ الهجو ما خرج مخرج الهزْل والتهافت، وما اعتــرض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس([1]). وقد يمزج الساخر بينَ الفكاهة والنقد ليسرّي عــن القــارئ، فيستطيع اقتحام نفسيته بسهولة ليحقق مبتغاه، وقد تظهر عنده الكوميديا السقراطيّة التي تتسم بالتظاهر بالجهل والغباء، فيبدو للسّامع أنّ السّاخر غبيّ وأحمق ولكــن سرعان ما تنقلب الصورة بعد اكتمال عناصر السخرية.

ولهذا نجد الجاحظ يقول[2]: "وإنْ كنّا قد أمللناك بالجِدّ... فإنّــا سننــشطك ببعض البطالات، وبذكر العلل الظريفة، والاحتجاجات الغريبة، فربّ شعرٍ يبلــغ بفرط غباوة صاحبه... ما لا يبلغه أحر النوادر وأجمع المعاني، وأنــا أســتظرف أمرين استظرافاً شديداً، أحدهما استماع حديث الأعراب، والأمر الآخر احتجــاج متنازعين في الكلام، وهما لا يحسنان منه شيئاً، فإنهما يثيران من غريب الطيّــب ما يضحك كلّ ثكلان وإن تشدّد، وكلّ غضبان وإن أحرقه لهيب الغضب".

بداية ظهور فن السخرية:

لَم يعرف العرب في الجاهلية السخرية بوصفها ظاهرة، بل غلــب علــى أشعارهم الطابع الجدي، فعرفوا الهجاء الذي واكب المديح وسايره، وكان جــزءاً مِن القصائد التقليدية، منبثاً في حماستهم وإشادتهم بأمجادهم وانتصاراتهم الحربية، وكان في جوهره تعبيراً عن احتقارهم للضعف والخَوَر، فدار فيما يتــصل بــذلك مذذذذن القعود عن الغزو، والتقصير في حماية الجار، والعجز عن أخذ الثــأر، والانهزام في المعركة، والاستسلام للأعداء، ووضاعة النسب، والبخــل والفقــر. واستمر الهجاء على هذه الصورة في صدر الإسلام، وإن كان بعض شعرائه قــد فصلوه عن غيره من الموضوعات، وأفردوه في مقطوعات، وعابوا فيه مهجويهم

([1])المصدر نفسه، ج2، ص171.

([2])الجاحظ: البخلاء، ، ص5، 6.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالكفر والشرك، ومخالفة الخلق القويم، ([1]) وعُدّ الهجاء بالمفهوم السابق إثماً كبيراً لا يجوز أن يجري به لسان الشاعر، وخاصة المقذع منه، وقد فسّر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الهجاء المقذع حين أطلق الحطيئة من سجنه بسبب هجائه للزبرقان بن بدر عندما قال له: "إياك والهجاء المقذع. قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع: أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء، وأشرف، وتبني شعراً على مدحٍ لقومٍ وذمٍ لمن تعاديهم"([2]).

وأمّا في العصر الأموي فقد نما الهجاء نموّاً كبيراً في شكله ومضمونه وغايته، واحترفه شعراء النقائض، حتى أصبح قصائد مطولة، مستغلين فيه التاريخ الجاهلي بما فيه من أنساب ومثالب، وحروب، وانتصارات، وهزائم، ثم التاريخ الإسلامي، ومواقف القبائل من الدولة الأموية وخلفائها، متوخين من نقائضهم التسلية والترفيه والإضحاك، لا تهييج الشر وتحريك الفتنة [3]. وتبقى النقائض مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية وأخرى اجتماعية في عصر بني أمية أكثر من كونها هجاءً بالمعنى المعروف في الجاهليّة، والشاعر لا ينظم معاني بدوية بسيطة، بل ينظم معاني تتلاءم مع التطور العقلي الحديث الذي أصابه الذهن العربي، والذي طوّره من بعض جوانبه [4]. وانتهى فن النقائض في القرن الثاني أو أوشك على الزوال بانتهاء الدوافع الاجتماعية والعقلية التي كانت تدعو إليه ، ثم بدأت تظهر في أوائل العصر العباسي ظواهر أدبية جديدة، منها الفكاهة التي سايرت الهجاء، حيث اتجهت كثير من النفوس إلى الفكاهة بغرض التسرية، وظهرت في الشعر أساليب التندر والتهكم، وتفنن الشعراء في صوغها [5]. وأخذت شكلاً جديداً في تناولها للحياة.

([1]) محمد محمد حسين، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، ص178، ص225.

([2])ابن رشيق: العمدة، ج2، ص170.

([3])شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص163، ص204.

([4]) المصدر نفسه، ص205،204،203.

([5])فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث، ص170.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ظهرت السخرية التي تعمد إلى التقاط العيوب، وتصويرها ونقضها بطريقة مضحكة، ولا يعني ذلك عدم وجود بعض الأبيات الساخرة قبل العصر العباسي، فقد عُرف هذا اللون عند الحطيئة وجرير وغيرهما لكن في حدود ضيقة، ومع ذلك فإنّ ظاهرة السخرية وانتشارها في أدبنا العربي لم تبدأ بوضوح إلا ببداية المرحلة العباسية، وهي ظاهرة بدأت عند كتّاب ذلك العصر، إذ ظهرت عند الجاحظ في رسائله، وفي كتابه "البخلاء" ثم عند الشعراء ابتداءً من بشار بن برد حتى أبي العلاء في القرن الخامس، مروراً بأبي نواس وابن الرومي وغيرهما[1].

ويرجع ظهور السخرية إلى بدء النظرة المتحررة من الماضي، وإلى تفوّق الشعور الفردي الذي ظهر عند شعراء هذه المرحلة، فأصبح الشعور بالغربة والانفصال عن الآخرين يشكل ظاهرة عامة، يتسم بها معظم الشعراء العباسيين من أمثال بشار وابن الرومي وغيرهما[2]، فكانت لهؤلاء الشعراء مواقف يقفونها من الناس والمجتمع ونظرات في الحياة ورؤى ذاتية، وكانت رؤية كل شاعر تختلف عن رؤية الآخر، وأدى ذلك إلى اتساع مضمون السخرية، وتعدد دلالاتها واختلاف أساليبها باختلاف كل واحد منهم، ولكنها عند الجميع تناولت مظاهر الحياة المختلفة بما في ذلك القيم الدينية التي حاول الشعراء تفسيرها، ونقل مصطلحاتها وألفاظها في إطار آخر([3]).

وتعد السخرية من أبرز ملامح التحول في الموقف الشعري عند الشعراء العباسيين، فالصدام بين هؤلاء الشعراء ومجتمعاتهم وتقاليد الحياة في ذعصورهم وصل حد الرفض والإنكار والثورة أحياناً([4])، وهذا عائد إلى الظروف التي غيرت وجه المجتمع ومنحته شكله الجديد لما نشأ من صراع سياسي وآخذر شعوبي

([1]) أيمن محمد زكي العشماوي: خمريات أبي نواس- دراسة تحليلية في المضمون والشكل، ص224.

([2]) أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص39.

([3]) محمد زكي العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي،ص128.

([4]) انظر إلى الفساد الاقتصادي والتباين الطبقي والإضراب السياسي في كتاب حسين عطوان : شعراء الشعب في العصر العباسي الأول ، 1970،ص9-33،

أيمن العشماوي: خمريات أبي نواس، ص224.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واضطراب في مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية ثم تطور الحياة الفكرية والعقلية([1]).

وأصبحت السّخرية في العصر العباسي ظاهرة تلح علينا في الوقوف عليها، ومتابعتها، والتعرف إلى شعرائها الذين صاغوا لنا آراءهم وأفكارهم بأساليب ساخرة، فخرجت حية نابضة تعبر عن موقف رافض ومتمرد أحياناً، وعن مشكلات نفسية واجتماعية أحياناً أخر، وقد شملت سخريتهم قضايا متعددة، نستطيع من خلال قراءتها أن ندخل إلى تناقضات شتى عاشها ذلك المجتمع وأثّرت فيه.

مفهوم السخرية وحدوده:

اعتاد الباحثون أن يتناولوا السخرية، وما يتصل بها من مصطلحات تحت باب الهجاء، دون الوقوف على كل مصطلح بمفرده للتفريق بينها، آخذين بعين الاعتبار خصوصية كل مصطلح، وما يشتمل عليه من علامات، وما يسبقه من دوافع ولهذا ارتأيت أن أبدأ هذه الدراسة بالوقوف على هذه المصطلحات محاولاً توضيحها والتفريق بينها.

أ- تعريف السخرية

يعود أصل هذه الكلمة إلى الفعل (سَخِرَ) بكسر العين، وهو فعل لازم يتعدى إلى مفعوله بحرف الباء أو من، فيقال سَخِرَ منه وبه([2])، وهي لفظة تدل على أسلوب في التعبير يثير الضحك والاستهزاء ممن يكون موضع السخرية، فيقال: "فلان سُخْرةٌ وسُخَرةٌ يضحك منه الناس، ويضحك منهم([3])، وسخرت منه واستسخرت، واتخذوه سخريّا. والسخرة: الضحكة ورجل سُخَرَة يسخر بالناس،

([1]) محمد العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص128.

([2]) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مادة (سخر).

([3]) الأساس، اللسان، تاج العروس: مادة سخر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسُخرَةٌ يُسخرُ منه، وكذلك سُخْريّ، وسُخْريّةٌ، من ذكره ضمها([1])،قال تعالى: "ليتخذ بعضهم بعضاً سخريّاً".

والسخرية في مفهومها البلاغي تعني: "طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل، كقولك للبخيل "ما أكرمك" ويقال "هي التعبير عن تحسّر الشخص على نفسه، كقول البائس "ما أسعدني"([2]). وعرفتها سوزان عكاوي بأنها " الهُزْء بشيء ما، لا ينسجم مع القناعة العقلية، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عرْفِ الفرد والجماعة([3]).

وتتصل السخرية بالأدب اتصالاً وثيقاً حتى نُظر إليها على أنها فن أدبي بحاجة إلى مهارة وذكاء([4]) وقدرات إضافية في الموهبة، لأنها من أعسر الفنون الأدبية. كذلك فإنها تعبر عن شجاعة استثنائية، تصل بالشاعر إلى أن يجرب أحياناً سخريته على نفسه، ويصنفها محمد مفتاح في مرتبة بعد الاحتقار والاستصغار والاستهزاء([5]).

ب. علاقة السخرية بالمجتمع والفرد:

إنّ الصلة بين ظاهرة السخرية والمجتمع أشبه ما تكون بصلة البذرة بالتربة، فهي أصل نشأتها وعالم وجودها، ولولا تغيرات الحياة التي استوجبت وجود مثل هذا اللون ما ظهرت. أما عن دورها في حياة الأفراد فيأتي منسجماً مع الغاية الجماعية التي تحققها، فهي تؤلف بين أفراد المجتمع وتزيد من روح التعاطف بينهم، وتوحدهم في الدفاع عن إثرهم الاجتماعي والديني والأخلاقي، فيعبر الساخر عن رأي المجتمع في الخارجين على سلوكيّاته وأخلاقه التي أقرها، ودخلت لا وعيه، وتغدو السخرية إطاراً واسعاً لكل التناقضات، نستقرئ من

([1]) اللسان: مادة سخر.

([2]) مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص112، مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب،1974، ص24.

([3]) سوزان عكاوي: السخرية في مسرح أنطون غندور ، ص24.

([4]) عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، مكتبة لندن، 1992م، ص 22.

([5]) محمد مفتاح: مدخل إلى قراءة النص الشعري (المفاهيم معالم)، فصول، المجلد السادس عشر، العدد الأول، صيف 1997م، ص257.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خلالها أحوال المجتمع، وما مر به من أحداث، وما استقر فيه من عيوب ذاتية واجتماعية، وأهم من هذا أنها تصبح في لحظة ما رادعاً قوياً عندما لا يكون في القانون ما يوجب عقاباً مادياً على انحرافات وأخطاء غير مادية. وقد تخلق السخرية عاملاً وقائياً يحجب الفرد عن مخالفة الإجماع، خوفاً من سخط الساخر، وردة فعل غيره.

وتعتمد السخرية في صياغتها على الملاحظة الخارجية التي تأتي من خلال مراقبة الساخر لتصرفات الناس كما أنها تخفي رغبة قوية في التغيير، وحلماً بنظام آخر في العالم([1]) وقد تأتي بدوافع نفسية تختلف من شاعر إلى آخر، ومن الكتّاب من عرض للسخرية من جانبيها النفسي والفني، وكشف عن دورها المهم عند شعراء معروفين من أمثال أبي نواس وابن الرومي وغيرهما، فقد استطاع أدونيس من خلال السخرية أن يتعمق إلى أبعاد ترتبط بعالم كل شاعر من هؤلاء، ويتساءل أدونيس عن معنى السخرية العميق عند الشعراء العباسيين بقوله([2]): "ولكن، ما هو معنى السخرية العميق عند هؤلاء الشعراء؟ إنه الرغبة بالظفر على أشياء، بظفر الوعي على ما يحيط به"([3]).

إن رؤية أدونيس هذه تذهب إلى اعتبار أن السخرية حاجة نفسية تنطلق بإرادة الإنسان، يبغي من خلالها فهماً وإدراكاً لأشياء غير مفهومة، بحيث تصل بالإنسان إلى مرحلة من الوعي والانطلاق أو "تحرر العالم وإن وقتياً من سباته المعتم". ويرى أن هذا الانطلاق يبدأ من الساخر نفسه، لأن السخرية في أصلها منفى يشك الشاعر فيه بنفسه وبالآخر، ويرى سعد شلبي أن الهزلية الرفيعة تنشأ حين تكتشف المعرفة العميقة للحياة([4]) أما على الجانب الفني فهي تمنح الشاعر وشعره نبرة من الجموح والحركية، كما هو الحال عند ابن الرومي.

([1]) أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص40، 41.

([2]) المصدر نفسه، ص39، 41.

([3]) هكذا في الأصل . والصّواب أن يقال : إنّه الرّغبة في الظّفر بأشياء ،بظفر الوعي بما يحيط به "

([4]) سعد إسماعيل شلبي : الشعر العباسي التيار الشعبي ، ص86.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتناول السخرية أيضاً من جانبيها النفسي والفني أيمن العشماوي، إذ ربط بين الجانبين وكشف عن دوريهما، فهي في نظره ظاهرة نفسية وفنية في الوقت ذاته، تعمل على تشكيلها مجموعة من العوامل النفسية التي تأتي غالباً نتيجة لصراع بين عالم الشاعر الداخلي وبين قوة خارجية يرفضها ويقاومها، وقد يصل الصراع إلى أقصى درجاته إذا أحس الشاعر بالقهر والظلم كما حدث عند بشار ابن برد([1]) ولهذا فهي تؤدي دوراً صحياً ففيها يتحقق ضرب من التعويض وهي كذلك وسيلة نافعة للتهرب من مشاغل الحياة ومتاعبها([2]).

وقد لا تكون غاية السخرية الفرد في ذاته، وإنما يصبح الفرد وسيلة لمواجهة الظواهر السلبية وهذه قضية اختلف فيها النقاد والأدباء، ففي حين يرى عبد الحليم حفني في السخرية سلاحاً اجتماعياً، تحافظ به الجماعة على كيانها ومقوماتها([3]) يرى فيها علي أدهم شعوراً فردياً ينبعث من أعماق نفس الفرد، ويندر أن تعم وتصبح شعوراً جماعيّاً، ويدعم وجهة نظره هذه بأن السخرية قد تتناول موضوعات أخرى غير الحياة الاجتماعية، فقد يسخر الإنسان من نفسه، وقد يسخر من الطبيعة، وقد يتناول بسخريته الخليقة جميعها([4]).

ولا ينفي زكريا ابراهيم صفة الفردية عنها، فقد اعتبرها أثرا اجتماعيا ، لكنها لا تخلو من الفردية في جانب منها ، ويربط السخرية بالأثر الناتج عنها، وهو الضحك، ويوازن بين حالة الفرد في عزلته، وحالته مع جماعة، في اختلاف حدة هذا الأثر، حيث نجده يقوى ويرتفع بمشاركة الجماعة، ويبهت ويضعف دونهم[(5)]، وأنا أميل إلى هذا الرأي إذ من الصعب اعتبار السخرية غاية فردية، معزولة عن المجتمع، ويؤكد هذا الأسباب التي أدت إلى ظهور السخرية في الأدب

([1]) أيمن العشماوي: خمريات أبي نواس، ص224.

([2]) عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، ص20.

([3]) عبد الحليم حفني: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص17.

([4]) علي أدهم: لماذا يشقى الإنسان؟، فصول في الحياة والمجتمع والأدب والتاريخ ، ص107.

([5]) زكريا إبراهيم، ص62.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العربي. فكما أشرت آنفاً، فإن حركة المجتمع وتغيراته، وتناقضاته هي التي أخرجت هذا الفن وأبرزته.

ج. أنواع السخرية:

إن السخرية ألوان نفسية لا عداد لها، وإن لكل منها مصدره النفسي، ولكل منها دوره في حياتنا، وإن السخر ليتنوع حتى لا يتفق في الباعث الذي يوحيه ولا في العبارة التي تحمله([1])، لكن يبقى هناك قسمان رئيسيان يندرج تحتهما أنواع تختلف باختلاف الهدف أو الغاية، وهما:

أولاً: السخرية الإيجابية: وهي تتعامل مع المسخور منه بكثير من الاتزان.

ثانياً: السخرية السلبية: وتستخدم المبالغة إلى حدّ التطرف والنهش والتعريض. وهذا النوع من السخرية نجده عند الضحية التي تصبح في يوم ما جلاداً([2]). أما القاسم المشترك بين أنواع السخرية، فهو التناقض بين مضمون الظاهرة أو ماهيتها، وبين شكلها الممارس في الحياة الواقعية([3]).

وتعتمد السخرية أثناء التعبير على عنصر المفاجأة، وعدم التوقع والخيال، وكذلك الغرابة التي تعني انعدام التوافق ما بين الواقع، وبين ما يطمح إليه الفنان الساخر([4])، لأنها قائمة على فكرة المقابلة بين نقيضين.

د. أساليب السخرية:

للسخرية أساليب كثيرة تتنوع تبعاً لتنوع الموضوعات التي يُسخر منها([1]) ولعل أشهر هذه الأساليب:

([1]) محمد مندور: في الميزان الجديد، ص114.

[2] سيمون بطيش: الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود، 1983م، ص18.

[3] أسس علم الجمال الماركسي اللينيني، ص107.

([4]) عبد اللطيف حمزة: حكم قرقوش، مصر ، ص84، انظر فراس الحاج محمد : السخرية في الأدب الفلسطيني المقاوم ، ص18.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أولاً: الرد بالمثل: وهو قائم على التبادل، وكثيراً ما يستخدم للفكاهة والضحك لمجرد التسلية، والردّ يكون أكثر سخرية وأشد لذعاً، وقد يكون بدهياً.

ثانياُ: اللعب بالألفاظ واللعب بالمعاني، ومن أنواعها الكناية والتورية والتعريض والقلب([2]).

ثالثاً: الهزل الذي يراد به الجد، وهو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمه فيخرج عن ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال، ومن شواهده قول أبي العتاهية [3]

أرقيك أرقيك بسم الله أرقيكا مِن بخل نفسك علّ الله يشفيكا
ما سلم كفّك إلا من يناولها ولا عدوّك إلاّ مَن يرجّيكا

ومنه أيضاً قول أبي نواس([4]):

إذا ما تميميٌّ أتاك مفاخراً فقل عدِّ عن ذا كيف أكلك للضبِّ

رابعاً: التبشير في موضع الإنذار، أو الوعد في مقام الوعيد، كقوله تعالى([5]): "بشّر المنافقين بأنّ لهم عذاباً أليماً" وكقول ابن الرومي([6]):

فيا له من عملٍ صالحٍ يرفعه الله إلى أسفلِ

خامساً: المواربة [7] وهي أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما ينكر فيه بسببه، وتوجه إليه المؤاخذة فإذا حصل الإنكار عليه استحضر بذكائه وجهاً من الوجوه التي يمكن

([1]) حسين خريوش: أدب الفكاهة الأندلسي، اربد، 1982م، ص4.

([2]) المصدر نفسه ، ص43.

([3]) الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ،ص69.

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس في قوله:

وقد علمت سلمى وإن كانَ بعلُها بأنّ الفتى يهذي وليس بفعّالِ.

انظر الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، ص69.

([4]) ديوان أبي نواس: ص78.

([5]) سورة النساء، آية 138.

([6]) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأدب ، ص98.

([7]) المواربة: مشتقة من الأرب، وهو الحاجة، لكن ذكر ابن أبي الإصبع أنها مشتقة من ورب العرق، (بفتح الواو والراء) إذا فسد، فهو ورب (بكسر الراء) كأن المتكلم أفسد مفهوم ظاهر الكلام بما بدأه من تأويل باطنه.

الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ص141.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التخلص بها من تلك المؤاخذة، إما بتحريف كلمة أو تصحيفها، أو بزيادة أو نقص، أو غير ذلك، ومنها قول أبي نواس في خالصة جارية الرّشيد هاجياً لها[1]

لقد ضاعَ شعري على بابكُمْ كما ضاعَ حليٌ على خالصة

فلما بلغ الرشيد ذلك أنكر عليه وتهدده بسببه، فقال: لم أقل إلا:

لقد ضاء شعري على بابكم كما ضاء حليٌ على خالصة

فاستحسن الرشيد مواربته، وقال بعض مَن حضر: هذا بيتٌ قُلعت عيناه فأبصر.

سادساً: المبالغة التي تعني الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة، أو العيب المقصود بغرض السخرية([2]).

هـ. أسباب اللجوء إلى السخرية:

إنّ الأدب الساخر يقترب من الأدب الرمزي الذي يغلّف الحقائق ، ويخفي الغضب والضيق ، ويُلبِسُ معانية لبوسا قابلا للتأويل وهذا النوع يترك للفنان فرصة التراجع أحيانا ، فتغدو الألفاظ واسعة الدلالة ، وقابلة للأخذ والرد، ويلجأ الأدباء إلى هذا الفن نتيجة لعوامل متعددة، لعل أهمها الخوف من السلطة الحاكمة([3]) خاصة إذا كان في التصريح خطر على حياة الأديب([4]) وقد يلجأ الأديب للسخرية عندما لا يكون قادراً على إبراز غضبه، فتصبح السخرية ملاذاً نفسياً يحقق انفعال الأديب ويستوعب حدّته وثورته، وقد تأتي بباعث الزهو والشعور بالتفوق العقلي عند الساخر، فينزع إلى السخرية والغموض معاً، ولعل أقوى باعث على وجود السخرية في صورها المختلفة الازدواج الكامن في الذات الإنسانية، الازدواج بين الفكر والعمل، وبين المثالي والواقعي، وبين العقل

([1]) المصدر نفسه، ص141.

([2]) حامد عبده الهوال: السخرية في أدب المازني، ص48.

([3]) أحمد محمد الحوفي: الفكاهة في الأدب العربي وبعض دلالاتها ، ص15.

([4]) محمد عبد الغني حسن: الفكاهة في الشعر المعاصر، الهلال، العدد (8)، 1974م، ص53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والعاطفة، وبين الفكرة المجردة والبداهة([1]). والساخر متمرد، لا يقبل بالواقع وإنما يطمح إلى المثال، ولهذا نجده قوي الملاحظة لعيوب المجتمع، يتابعها ويلتقطها.

وثمة ظروف وأوقات تنشط فيها السخرية أكثر من غيرها، منها الحروب وما ينتج عنها من خراب وتدمير ، كذلك فإن عصور الانحطاط والتخلف والتراجع ، كلها عوامل تساعد على إبراز الأصوات الساخرة التي [2] تأتي في إطار الرفض والتصحيح.

و. المصطلحات التي لها علاقة بالسخرية:

يتصل بمعنى السخرية ألفاظ عدة، ومنها الفكاهة ،والتهكم، والهجاء ،والهَزْل، والدعابة ،والمزاح، وغيرها، ويلاحظُ التّقارُب الواضح بين أربعة من هذه المصطلحات وهي: السخرية ،والفكاهة، والهجاء، والمفارقة، لذلك سأحاول أن أبين مواضع الالتقاء، ومواضع الاختلاف بينها.

ز-الفرق بين الفكاهة والسخرية

يربط علماء النفس بين ظاهرة الضحك والأدب الساخر ويرون أن الضحك أثر مصاحب للسخرية([3]) وهذا لا يمكن إطلاقه ؛ لأن السخرية في ذاتها رفض ، وإن تغلفت بمظاهر أخر ،والضحك الذي نراه عند الساخر لم يأتِ لغاية الفرح، وإنما هو استعلاء على الإحساس بالمرارة واليأس ولون من ألوان الاستخفاف ووجه من وجوه الرمز الهادف.

على حين تتميز الفكاهة بأنها مثيرة للضحك غالباً، ومن معانيها المزاح، والرجل الفكه الطيب النفس المزّاح، والاسم الفكيهة والفكاهة، ومن معانيها أيضاً

([1]) علي أدهم: لماذا يشقى الإنسان؟، ص108.

([2]) انظر ، حسين خريوش: أدب الفكاهة الأندلسي، ص33.

([3]) ينظر أحمد عطية الله: سيكولوجية الضحك، ص132، ص158.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدّعابة والهَزْل والهُزَالة([1]). ويعرفها مجدي وهبة بأنها "صفة في العمل أو في الكلام أو في الموقف أو في الكتابة التي تثير الضحك لدى النظارة أو القرّاء"([2]).

ويمكن تمييز الشعر الفكاهي عن الشعر الساخر في الباعث والنتيجة، فالشعر الفكاهي يصدر غالباً عن الفكاهة (البريئة)، على حين تشيع في الشعر الساخر، بعض الميول العدوانية، أو الأغراض الشخصية([3]). وينسب أرسطو الفكاهة إلى عيب أو تشويه في أمر ما، لا يصل إلى مرتبة الإيذاء أو الإيلام([4])، ويحصر شوقي المعاملي مهمة الفكاهة في مجرد العبث والتسلية([5])، ويرى أحمد محمد الحوفي أن الغرض منها أحياناً التقويم والتهذيب والإصلاح، من خلال نقد يشترط فيه ألا يجرح كما يجرح الهجاء([6])، وأرى أنها لا تخلو من غرض النيل من الآخرين، فقد ينال المرء من أعراض الناس ويتفكّه بها تفكهه بالطعام أو بالفكاهة. ولهذا اختار أهل التفسير وصف أهل النار فكهين([7]) أي أشرين بطرين. ولكنّ الفكه أو الفاكه أو الفيكهان يظل هو الإنسان قليل الأذى، الذي يسلِّم بما يراه الناس، ولا يخالفهم إثماً وعدواناً، فيتعرض لهم بشره كالمتهكّم أو المستهكم([8]).

وتجدر الإشارة إلى أن الفكاهة قد تعبِّر في مضمونها عن السخرية، ولكنّها في الأعم أقل حدّة وإيلاماً([9]). وتأتي الفكاهة في الأكثر لتخفيف الألم النفسي أو نشدان الشيء المفقود، ويرى ابن قتيبة أن الفكاهة عامل من عوامل الاستمالة، ولون من ألوان الجمال مع ضرورة عدم المبالغة فيها([10]).

([1]) اللسان: مادة فكه.

([2]) مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص153.

([3]) عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، ص43.

([4]) مجدي وهبة: معجم المصطلحات في اللغة أو الأدب، ص153.

([5]) شوقي المعاملي : الاتجاة الساخر في أدب الشدياق ، ص109.

([6]) أحمد الحوفي: الفكاهة في الأدب، ص3.

([7]) انظر ، سورة المطففين، آية 31.

([8]) اللسان: مادة فكه.

([9]) عبد الحليم حفني: أسلوب السخرية في القرآن الكريم، ص16، زكريا إبراهيم: سيكولوجية الفكاهةو الضحك، ص69.

([10]) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ص315.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولهذا كان العرب يحبون الضحك والضاحكين "ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمّي أولادها بالضحّاك، وببسام، وبطلق...وإذا مدحوا الرجل قالوا هو ضحوك السن، وبسّام العشيّات....وإذا ذموا الرجل، قالوا هو عبوس، وهو كالح، وهو قطوب، وهو شتيم المحيّا، وهو مكفهر، وهو كريه، ومقبض الوجه، وحامض الوجه، وكأنّما وجهه بالخلّ منضوح"([1]).

ولعلَّ الجاحظ من أكثر الأدباء اهتماماً بهذا الأمر، فقد عرف به واشتهر، وكان ذلك عنده منهجاً تأليفياً، أشار إليه في مقدمة كتابه (البخلاء) بقوله([2]): "ولك في هذا الكتاب ثلاثة أشياء: تبيُّن حجة طريفة، أو تعرُّف حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة، وأنت في ضحك منه، إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد".

وذهب التوحيدي مذهباً راعى فيه حاجة النفس والبدن إلى الراحة، وقد طبق هو نفسه هذا، فختم بعض مجالسه بفكاهة في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" ، "لأن النفس تملّ، كما أن البدن يكلّ، وكما أن البدن إذا كَلّ طلب الراحة، كذلك النفس إذا ملّت طلبت الرَّوْح..."([3]).

- **<u>التهكم والهَزْل:</u>**

التهكم في الثقافة العربية لغة، وأسلوباً، وتأثيراً، نشاط موصول يتجلى في وسائل التعبير اللفظي كلها من شعر ونثر. وقد استمر هذا النشاط منذ القديم، يضفي بأسلوب ذكي جو المرح على المأساة، ويمثل الذروة في التعبير التركيبي المفصّح عن المشاعر والعواطف والإرادة والرأي، إفصاحاً يعتمد الفهم مع التركيب. وقد ذكر الثعالبي أن العرب إذ تعمد إلى المدح يراد به الذم، وتجريه مجرى التهكم والهزل إنما "تفعل ذلك فتقول للرجل تستجهله، يا عاقل، وللمرأة

([1]) الجاحظ: البخلاء،ص6 ،7..

([2]) العشيات: آخر النهار، منضوح: مرشوش، حامض الوجه في الغضب: إذا فسد وتغير.
الجاحظ: البخلاء،ص5.

([3]) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ، ج1، ص27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تستقبحها "يا قمر"([1]) وفي القرآن: "ذق إنك أنت العزيز الكريم"([2]). فالتهكم إيحاء أكثر منه إعلاماً، وإنشاء أكثر منه إخباراً، ولذا فإن من المتعذر تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، ولكن من الجائز إلى حد ما رسم نشاط التهكم ومحاولة بيان معناه([3]).

فالهِكْم: هو المقتحم على ما لا يعنيه الذي يتعرض للناس بشره، ومن معاني التهكم التكبّر والتّبختر بطراً، والطعن واشتداد الغضب على الآخرين، والاستهزاء بهم. والتهكم نوع عزيز في أنواع البديع، لعلوّ مناره، وصعوبة مسلكه، وكثرة التباسه بالهجاء في معرض المدح بالهزل الذي يراد به الجد. والتهكّم في الأصل التهدم، يقال تهكمت البئر إذا تهدمت، وتهكم عليه إذا اشتد غضبه، والمتهكم المحتقر، وقيل: تهكّمت: غضبت‘، وتهكّمت: تحقرت. وعلى هذا يكون المتهكم لشدة الغضب قد أوعده بالبشارة، أو لشدة الكِبْر، أو لتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك. هذا أصله في الاستعمال.

وفي المصطلح: هو عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء، فشاهد البشارة في موضع الإنذار([4]) قوله تعالى([5]):"بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً" وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى:"ذق إنك أنت العزيز الكريم"([6]) ، وقال الزمخشري: إن في تأويل قوله تعالى([7]):"له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله" تهكماً، فإن المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم، فإنهم لا يحفظونه من أمره في الحقيقة([8]).

([1]) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ، ص498.

([2]) سورة الدخان، آية 49.

([3]) عادل العوا: مواكب التهكم، ص15.

([4]) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، ص98.

([5]) سورة النساء، آية 138.

([6]) سورة الدخان، آية 49.

([7]) سورة الرعد، آية11.

([8]) ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، ص98.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصفوة القول، إن التهكم بالمعنى الواسع، هو التعرّض للناس بالشر، ومن ضروبه الرئيسة الفكاهة والدعابة والمِزاح والهَزْل، وهو بالمعنى الدقيق الاستهزاء والسخرية، وهذا هو المعنى القرآني. والفرق بينه وبين الهَزل الذي يُراد به الجِد أن التهكم ظاهره جِد، وباطنه هَزل، وهو ضد الأول، لأن الهَزل الذي يراد به الجِد، يكون ظاهره هزلاً وباطنه جداً، يقول عز الدين الموصلي([1]):

هَزْلٌ أريد به جِدّ عتابك لي كما كتمت بباطن الشيب بالكتم
والبين هازلني بالجِدّ حين رأى دمعي، وقال تبرّد وأنت بالدّيم

والتعبير التهكمي ينطلق من المجاز والرمز، ويستخدم الكناية والاستعارة والتورية والإبهام، ويصب الذم في قالب المدح([2])، والفرق بين التهكم والسخرية مرده إلى طبائع النفس فمن الناس من يسخر من آلامه ليهون حملها، فهي حالة نفسية هادئة أميل إلى الطبع النفسي منها إلى طبع الشعراء، وأما التهكم فيصدر عن النفوس العنيفة التي لا ترحم حمق غيرها أو جهله، ويختلف التهكم عن الهجاء، لأن الهجاء يصدر عن إنسان غاضب، حاقد، ويستهدف الانتقاص والتجريح والعدوان على المهجو، على حين أن التهكم يهدف إلى التهذيب والتقويم والإصلاح([3]). وأما الهزْل فغايته التفكه والانتقال من الحالة الجادّة إلى اللهو، ومن معاني الهُزالة الفكاهة([4]).

- **<u>المفارقة:</u>**

لم يكن هذا المصطلح شائعاً في التراث العربي بوصفه مصطلحاً نقدياً أو أدبياً أو بلاغياً، وهذا لا يمنع من وجود مصطلحات حملت شيئاً من عناصر معنى لفظة المفارقة، مثل التعريض، والتشكك، والمتشابهات، وتجاهل العارف، وتأكيد

([1]) المصدر نفسه، ص57.
([2]) عادل العوا: مواكب التهكم، ص12.
([3]) رياض قزيحة: الفكاهة والضحك في التراث المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي، ص81-86 .
([4]) اللسان، فكه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح. وفي الأدب الإنجليزي لم تظهر، ولم يجر استعمالها عموماً كما يقول ميوميك حتى بواكير القرن الثامن عشر([1]).

والمفارقة من أكثر المصطلحات قرباً من مصطلح السخرية، فكلاهما ينبثق من حقيقة واحدة، وهي التناقض بين ما يقول الناس وما يفكرون، وبين ما يعتقدون وما هو واقع الحال([2]). ويختلط المصطلحان في التعريف، فتأخذ المفارقة تعريف السخرية، فهي أن تقول شيئاً وتقصد العكس([3])، ويرى مجدي وهبه أن المفارقة هي التناقض الظاهري الذي يكون في عبارة متناقضة أو غير معقولة في ظاهرها مع أنها بالفحص والتأمل، يتبين أن لها أساساً من الحقيقة([4]).

والمفارقة أنواع أهمها نوعان، هما:

1- المفارقة اللفظية، وتميل إلى أن تكون هجائية.

2- مفارقة الموقف، وتميل إلى أن تكون ذات صفة كوميدية أو مأساوية أو فلسفية([5]).

وهناك خصائص أساسية يجب توافرها في جميع أنواع المفارقة، ومنها التضاد بين المظهر والمخبر، ثم الغفلة المطمئنة لدى صاحب المفارقة الفعلية، ولدى الضحية. ويأتي الأثر الكوميدي مميزاً للمفارقة وأحد أركانها التي تعتمد عليه، فقد تكون أكثر تأثيراً إذا اجتمع فيها العنصر الكوميدي([6]).

لقد اتفقت في السخرية والمفارقة عناصر كثيرة، سواء في التعريف أو الأسلوب أو النتيجة. وعلى الرغم من أن المفارقة تتخذ من السخرية طريقة للتعبير إلا أن ميوميك الذي يقر بهذا الأمر، يرفض أن تكون السخرية نوعاً من المفارقة، ويرى أن من شروط المفارقة أن نحسّ بقوة المعنى الظاهر والحقيقي معاً([7]).

([1]) د.سي ميوميك: المفارقة- موسوعة المصطلح النقدي، ص28.

([2]) المصدر نفسه، ص15.

([3]) المصدر نفسه، ص19، ص29.

([4]) مجدي وهبه: معجم مصطلحات الأدب، ص381.

([5]) د. سي ميوميك: المفارقة، ص43.

([6]) المصدر نفسه، ص57.

([7]) المصدر نفسه، ص81.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- **الهجاء والقذف والإفحاش:**

يروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال([1]): خير الهجاء ما تنشده العذراء في خدرها، فلا يقبح بمثلها، واستشهد بقول جرير:

ولو أن تغلب جمّعَت أحسابها يوم التفاخر لم تزنْ مثقالا

وأما القذف والإفحاش فيتفوق فيهما العامة على الشعراء([2]). ويرى قدامة أن الهجاء ضد المديح، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كان أهجى له([3]). ولمّا كان المديح الجيد إنما يكون بالفضائل النفسية، فكذلك الهجاء الجيد، إنما يكون بسلب الفضائل([4]) فمن خبيث الهجاء، قول الشاعر:

إن يغدروا، أو يفجروا أو يبخلوا، لا يحفلوا

وغدوا عليك مرجلين ن كأنهم لم يفعلوا([5])

وعلق على البيتين بقوله([6]): فمن جودة هذا الهجاء أن الشاعر تعمد أضداد الفضائل على الحقيقة، فجعلها فيهم، لأن الغدر ضد الوفاء، والفجور ضد الصدق، والبخل ضد الجود، ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل، وهو العقل، حيث قال: (وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا) لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقحّة...([7]).

هذا هو الأساس الذي وضعه قدامة للهجاء الجيد، وهو أن يعمد الهاجي إلى الصفات النفسية والفضائل الإنسانية، فيسلبها المهجو، وينفيها عنه كما رأينا.

([1]) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج2، ص170، 171.

([2]) أحمد بدوي: أسس النقد الأدبي عند العرب، ص250.

([3]) قدامة بن جعفر: نقد الشعر ، ص101.

([4]) قدامة بن جعفر: نقد الشعر ، ص101.

([5]) المصدر نفسه، ص102.

([6]) المصدر نفسه، ص103.

([7]) المصدر نفسه، ص103.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتشابك مفهوما السخرية والهجاء، وتتداخل العناصر المكونة لكل منهما، ويصعب أحياناً فصلهما والتفريق بينهما. ويتفق أحياناً المغزى العام من السخرية والهجاء. فقد يكون هدف الهجاء تقويم العيوب وإصلاحها([1]).

ويلتقي الهجّاء مع السخرية في مبدأ الموازنة بين واقع الأشياء، وما يجب أن تكون عليه غير أن الهجاء في أصله نوع من التراشق بالشتائم، ويقصد منه القدح والذم والحط من شأن من يوجه إليه([2]) ويرى خالد القشطيني في الهجاء نوعاً من السخرية القاسية([3])، ويرى آرثر بولارد أن الهجاء أصل الأنواع الأدبية الفكاهية([4]).

ويعتمد الهجّاء على ملكة الفكاهة والسخرية للنيل من الضحية، وتختلف نظرة الساخر إلى الموضوع عن نظرة الهجاء، إذ إنّ الساخر يخفي انفعاله خلف ضحكة صفراوية تحمل تحتها مدلولات باطنيّة على حين أن الهجّاء يواجه الموقف جادّاً فتظهر عليه علامات الغضب والانفعال.

ويلتقي الهجّاء مع السّاخر في دفع القراء إلى النقد والإدانة والمشاركة الوجدانية في النظر إلى هذه الضحية([5]) لكنه يبقى في مرتبة أدنى من الفكاهة أو السخرية "فهو أسلوب اجتماعي ليس فيه ما يتصف بالسمو"([6]).

- **<u>مصطلحات أخرى:</u>**

الدعابة: وهي بوصفها مزاحاً أقرب إلى الإضحاك([7]) قال هيجل([8]): "الدعابة هي ميل العقل والقلب إلى قول الحقائق بأسلوب مرح" وهي شيء موهوب غير مكسوب لأنها مركبة في طباع الهجائين.

([1]) آرثر يولارد الهجاء، موسوعة المصطلح النقدي ، ص291.

([2]) مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، ص259.

([3]) خالد القشطيني: سجل الفكاهة العربية ، ص5.

([4]) عبد العزيز شرف: الأدب الفكاهي، ص40.

([5]) آرثر بولارد: الهجاء، ص303.

([6]) المصدر نفسه، ص299.

([7]) اللسان: مادة دعب.

([8]) محمد محمد حسين: الهجاء والهجاؤون، مكتبة الآداب، الجماميز، ص40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والهُزْءُ والهُزءُ: السخرية([1])، وقد يأتي بمعنى المزح، لكن قد ينقلب من لعب الدّعابة إلى سخرية الهزْء والاستهزاء([2]) لقول الجاحظ([3]): ومتى أريد بالمزح النفع، وبالمضحك الشيء الذي له جُعل الضحك، صار المزح جِدّاً، والضحك وقاراً.

وهذه المعاني تؤكد ما ذهب إليه العقاد في ربط المصطلح بنفسية صاحبه، فضحك الخليقة الكريمة كما يقول يختلف عن نقيضها، والضحك في حالة الرضى يختلف عنه في حالة الغضب...([4]).

([1]) ابن منظور: اللسان ، مادة هزأ.

([2]) بو علي ياسين: الحد بين الهزل والجد، دراسة في أدب النكتة ،ص23.

([3]) الجاحظ: البخلاء،ص7 .

([4]) العقاد: ابن الرومي، حياته من شعره ، ص141.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

السخرية من ملامح الإنسان الخارجيّة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- السخرية من أعضاء الجسم ، وهيئته العامة

إنّ السخرية من الأجسام هي في حقيقتها تلاعب وعبث بالـــكيان الإنـــساني ، وليست العيوب كلّها مثيرة للضحك ، وإنّما يثير الضحك بعضها ، إذا عُرِض علينـــا عرضاً خاصاً يُوقظ انفعالاتنا ، بغرابته وتفرّده ، وهو ينحصر في العيوب أو المشاهد التي تبدو مرفوضة ومستهجنة لدى الشاعر. ومن العيوب المادّية التي قد تكون هدفاً للسخرية ، ما يتعلّق بجسم الإنسان ، وما يتّصل به ، كذلك الأشكال الغريبة التي تبرز في الهيئة أو الحركة ، " فترتسمُ صورةُ المتهكّم به وقد لوّنها خيالُ المتهكّم بـــألوان المبالغة غير المتوقعة ، وكأنّه يدعو النّاظر أو القارئ أو الـــسامع للمـــشاركة فـــي السخرية والضحك" ([1]) .

وربّما كانت أكثر الفكاهات الساخرة إثارةً للضحك ، تلك التي يـــسخر فيهـــا المرء من عيوبه الجسمية والنفسية ، أو من عيوب أهل بيته بصرف النظـــر عـــن الباعث والنتيجة ؛ لأنّها في النهاية تجعله هدفاً للتسلية والمتعـــة عنـــد الآخـــرين ، فيظهر أمامهم في مواقف الإحراج والضعف والإرباك .ويدفع الشاعر إلـــى ذلـــك أسباب عدّة، الأول : سبب نفسي ، إذ يسخر الشاعر من نفـــسه ثـــأراً مـــن الـــذات وقصاصاً لها، أو وسيلةً من وسائل التخفيف عن النفس ، فتكون سخريته من نفـــسه سخريةً من المجتمع وأحداث الحياة ، ومن هذا قول ابن الرومي [(2)] :

مَنْ كانَ يبكي الشّبابَ من جَـــزَعٍ ... فلستُ أبكـــي عليه مـــن جَـــزَعِ
لأنّ وجهي بـــــقبحِ صورتـــــه ... ما زال لي كالمـــشيبِ والـــصّلَعِ
إذَا مَا أخذتُ المرآةَ أســـــــلفني ... وَجَهَي وما مُتُّ هـــولَ مطّلَعـــي
شُغِفْتُ بالخُرَّدِ الحـــســـانِ ومَـــا ... يصـــلحُ وجهي إلاّ لـــذي وَرَعِ([3])

([1]) انظر رياض قزيحة: الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي، ص284.

([2]) ديوان ابن الرومي : ج 4 ، ص 111 ، 112 .

([3]) الخرّد : جمع خريدة ، وهي الفاخرة النفيسة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كي يَعْبُدَ الله فـــي الفـــــلاةِ ولاَ يُشـــــهدَ فيــها مــشاهد الجُمَــعِ

فيخالف الشاعر سنّة من يعود بذاكرته إلى شبابه ليتذكّر حيويتــه ونــضارته وذلك بسبب قبح وجهه ويرى أنّه لا يلزم إلا لخلوة التعبد، بعيداً عن النّــاس، كــيلا يزعج غيره بدمامته.

وأمّا السبب الثاني فهو التخلص من موقفٍ صعب ، وقد عُرِف أبو دلامــة([1]) بمثل هذه المواقف ، إذ يروى أنّ الخليفة المهدي أصرّ عليه أن يهجو أحداً ممن كان في حضرته وإلاّ قتله أو قطع لسانه ، وحاول الحضور مساعدته ، فكلّما وقعت عينه على واحد منهم غمزه بأنّ عليه إرضاءه ، وفي نهاية الأمر خــضع لإرادة الخليفــة وآثر أن يسخر من نفسه على أن يسخر من غيره [2] ، درءاً للخطر ، فجعل من نفسه قرداً وخنزيراً يقول: [3].

ألا أبـــلغْ إلــيكَ أبــا دلامـــة فليسَ من الكِرامِ ولا كرامَـــــهْ
إذا لبِسَ العمامــةَ كــان قِـــرْداً وخــنزيراً إذا نــزعَ العمامَـــهْ
جمعت دمامةً وجمعــتَ لـــؤماً كذاكَ اللــؤمُ تتبعــه الدّمـــــامهْ
فإنْ تكُ قد أصــبتَ نعــيمَ دنيــا فلا تفــرحْ فقد دنتِ القيــامـــهْ

([1]) هو أبو دلامة زَنْد بن الجَون، كوفي أسود، مولى لبني أسد ، وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه، وأدرك آخر أيام بني أمية، ولم يكن له في أيامهم نباهة، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى أبي العباس وأبي جعفر المنصور والمهدي، فكانوا يقدمونه ويصلونه ويحبون مجالسته ونوادره، وكان فاسد الدين، رديء المذهب، مرتكباً للمحارم مضيعاً للفروض، ومجاهراً بذلك.
انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء ،ص 466ا ، والأغاني ج10، ص 407. وانظر شوقي ضيف:العصر العباسي الأوّل ،ص295-298.

([2]) الأغاني ، ج 10 ، ص 422 .

([3]) المصدر نفسه ، ج10 ، ص 422 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الواضح أنّ خوف أبي دلامة من بطش الخليفة ، دفعه لرسم صورة مكتملة ، شملت الجانبين المادي والمعنوي ، فجمع إلى دمامته لؤماً وخبثاً . ولأبي دلامة مواقف أخرى في هذا الباب [1] .

وأما السبب الثالث فهو سبب نفعي ، يقصد منه الشاعر إلى الانتفاع بسخريته ، ولذا يسخَّر الشاعرُ جُلَّ جهده لإمتاع الخليفة ، والترويح عنه ، فيعبث بنفسه أو بأهل بيته من أجلِ مالٍ أو غيره ، ويبدو أنّ أبا دلامة كان له باع واضح في هذا الباب أيضاً، فمن سخريته قوله في أمّه [2]:

هاتيكَ والدتي عجوزٌ هِمّةٌ ... مثل البلية دِرْعُها في المِشْجَب[3]

مهزولةُ اللَّحْيَيْنِ من يرها يقُلْ ... أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطْرُبِ([4])

لقد جاءت سخرية أبي دلامة قاسية ومؤلمة ، فهو لم يتورّع في سلب أمه نبض الحياة وكينونتها الإنسانية ، فتركها مثل الخشبات التي تُنْشر فوقها الثياب ، وكأنّها فقدت كل معالم الحياة ، وأصبحت هامدة . ولم يتوقف في إمعانه ، فهو يخشى أنّ الأشياء الجامدة الصامتة قد تحمل بعض ملامح الجمال ، ولهذا جعلها غولاً مرعباً .

وأمّا السبب الرابع فهو ناشئ عن موقف سلبي تجاه المسخور منه ، فهذا مطيع ابن إياس ([5]) يسخر من والده متناسياً قوّة الرّابطة ، لخلافٍ بينهما [6] . فحاول أن

([1]) انظر سخريته من نفسه عندما طُلِب منه مبارزة أحد الخوارج ، ديوان أبي دلامة ، ص 54 .

([2]) الأغاني ، ج 10 ، ص 423 .

([3]) هِمّة : العجوز الفانية . المشجب : ومثله الشجاب ، وهي خشبات موثّقة منصوبة تنشر فوقها الثياب.

([4]) اللحيين :الفكين ، القطرب : دويبة .

([5]) مطيع بن إياس : هو شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وليس من فحول الشعراء في تلك ، ولكنه كان ظريفا خليعا ، حلو العشيرة ، مليح النادرة ، ماجنا متهما في دينه بالزندقة ، ويكنى أبا سُلمى . ومولده ومنشؤه الكوفة ، وكان أبوه من أهل فلسطين الذين أمد بهم عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف في وقت قتاله ابن الزبير ، وابن الأشعث، أقام بالكوفة وتزوج بها ، فولد له مطيع . انظر الاغاني ج 13 ، ص 186

([6]) انظر : غوستاف فون غرنباوم : شعراء عباسيون ، ص 15 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقلل من شأن والده ، لذلك جعله أضحوكةً بين الناس ، وأتى على صورته فمسخها ، وشوهها، ليجْزم أنّه لم ير أسوأ من خلقته ، يقول [1] :

هـــــذا إيـــــاسٌ مقبـــــــلاً جـــاءت بـــــه إحـــدى الهَنـــاتِ
هـــــوّزُ فـــــوه ، وأنـــفُـــــهُ كَلُمنَّ فـــي إحـــدى الـــصِّفاتِ([2])
وكـــــأنّ سعفـــــصَ بـــــطنه والثَّـــــغرَ شـــــينُ قُريّـــشـــاتِ([3])
لـــــــمّا رأيتـــــك آتيـــــاً أيـــــــقنتُ أنّـــــكَ شـــــرٌ آتِ

و تجاوز الشعراء كُلّ ما هو منطقي ، فتشعّبت أوصافهم وتباينت ، وخرجوا على المألوف ، وغيروا حقيقة الجسم ، حتّى أصبحنا نشك في صـــورته الآدميـــة ، فحاول بعض الشعراء استقصاء ما يمكن استقصاؤه من العيوب وإلصاقها بالمهجو ، فأصبح خالياً من أيةّ صفة إيجابية ، ومن هؤلاء أبو الشّمقمق ، إذ ألصق بداود بـــن بكر أوصافاً مغالية في السلبية ، كان الهدف منها الحط من شأنه فشبّهه بالتيس ، ثـــم جعل أنفه طويلاً كمنقار النسر ، أمّا رائحته فكريهة كرائحة الأسد ، امتزجت برائحة الصقر لتزيده نتانة ، يقول [4] .

ولـــــــه لحيـــــةُ تيْـــــسٍ ولـــــــه مِنْقـــــارُ نَـــــــسْرِ.
ولـــــــه نكهـــــةُ ليـــــثٍ خالطـــــتْ نكهـــــةَ صَـــــقْرِ.

([1])المصدر نفسه ، ص 38 .

([2]) يقال في الهُوز مثله، أي في الخُلق مثله، كلمن: رجل كلمانيّ ،كثير الكلام، اللسان، مادة كلم.

([3]) الصعفصة: السكباج، شين قريشات: كناية عن اتساع فمه.

([4]) انظر : غوستاف فون، ص 135 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أمّا أبان بن عبد الحميد اللاحقي ([1]) فحينما مرض جاره "أرجفَ أبان بموته ، ثُمَّ صَحَّ من عِلّتهِ ، وخرج فجلس على باب بيته ، وكانت علّته من السُّلّ ، وكان يكنى أبا الأطول ، فقال فيه أبان [2] :

أبـــا الأطْـــولِ طوّلـــَتْ ومـــا ينجيـــكَ تطويـــل‘
بـــكَ الـــسّلّ ولا واللـــ ـــهِ مـــا يبـــرأ مـــسلولُ.

فـــلا يَغْـــرُرْكَ مـــن ظنِّـــ ـــكَ أقـــوالٌ أباطيـــلُ.
أرى فيـــك عـــلاماتٍ وللأســـبابِ تأويـــلٌ.
هُـــزالاً قـــد بـــرى جـــ ـــمكَ المـــسلولَ مهـــزولُ.
وذبـــّـــاناً حـــوالیك فموقـــوذٌ ومقتـــولُ[3] .
وحُمّـــى مِنْـــك فـــي الظهـــر فأنـــت الـــدهر مملـــولُ
ولـــو بالفيـــل ممّـــا بـــ ـــك عُـــشْرٌ مـــا نجـــا الفيـــلُ.
فمـــا هـــذا علـــى فيـــكَ قِـــلاعٌ أم دماميـــلُ؟!([4])
أم الحمـــى أحبّتـــك فهـــذا البثـــرُ تقبيـــلُ؟!([5])

فقد سَخر الشاعر من معالم وجه جاره ، وذكر أنّه أصبح بمنظره هذا مخيفاً مرعباً ، وعمد إلى تعابير ومبالغات تحملُ تهكمّاً ساخراً ، يخيف من صور الموت، وكأنّه من خلال مخاطبته ، يحاول إقناع جاره بضرورة الموت ، إذ لا مفرّ منه أمام ما اجتمع في جسمه من علامات ، ويحاول بكل ما أوتي من حجّة إضعاف عزيمته ،

([1]) أبان بن عبد الحميد : هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير ، مولى بني رقاش ، قال أبو عبيده : بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش ، وهم : مالك ، وزيد قناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبه بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . انظر الاغاني : ج 23 ، ص 116،وانظر ترجمته في شوقي ضيف :العصر العباسي الأوّل ،ص330-335.

([2]) الأغاني ، ج23 ، ص124 ، الصولي : الأوراق ، ص 28 ، 29 .

([3]) موقوذ : مضروب حتى أشرف على الموت.

([4]) القُلاع : داء يصيب الفم

([5]) هذا البيت لم يرد في الأغاني وإنما ورد في :الأوراق للصولي – قسم أخبار الشعراء ، ص 28 ، 29 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيعدّد له أعراض الفناء فيه ، ويستغرب من بقائه حيّاً ، إذ لو اجتمعت هذه الأعراض في الفيل ، لما بقي على قيد الحياة .

ومن سخرية أبي نواس الجسمية قوله [1] :

قُـــلْ لاســـــماعيل ذي الخـــــا لِ على الخدِّ الســباعي
ولـــــذي الهامـــــةِ قـــد نـــصَّـــ ـــت على مثل الكُراعِ ([2])
ولـــــذي الثّغـــرِ الـــذي يُطْـــــ ـــبقُ بالشّدق التُّســاعي
كـــــأنَّ إعراســـــك طُـــــــــعماً للشّـــواهين الجـــياعِ([3])

وجاءت سخرية أبي نواس مغلّفة بخدعةٍ لفظية ، فبدأها بخطابٍ لطيف شفاف ، وذكر أنّ خدَّ مهجوّه خدّ مورّد ، وهذه صفة إيجابية تأتي في إطار المدح ، لكنّه أردف بأوصافٍ ساخرة ، وذكر أن هامة مهجوه مركبّةٌ على عنقٍ مثل ساق الشاة ، ثم جمع بين لفظين أحدهما للإنسان وهو الثغر، والآخر للحيوان وهو الشدق ، وهـذه مـن المفارقات التي تمنح السّاخر حدوداً أوسع من خلال المقارنة والموازنـة ، وتحمـل القارئ على الضحك ، ولا ينشغلُ الذهن في تحليل كثافة الصورة وأبعادها .

أمّا دعبل الخزاعي([4]) فقد اعتمد على السخرية الداخلية التي تتولّد من اختلال الأحوال في النفس ، فهو يتولى العاهة اليسيرة الضئيلة ، ويحاول الدخول إلى أعماق شخصياته حتّى نفطن لكل ما يستتر في داخل ضحيّته ، وهو لا يتعمّق فـي دراسـة نماذجه تعمّق الجاحظ ، ولا يستوفي وجوهها استيفاء ابن الرومي ، ولكنّه ينجح فـي

([1]) ديوان أبي نواس : ص 380 .

([2]) الكراع من الإنسان : ما دون الركبة الى الكعب . لسان العرب مادة كرع

([3]) الشواهين : النسر .

([4]) هو دعبل بن علي بن رزين من خزاعة ، ويكنى أبا علي ، عرف بهجائه للخلفاء ، وخاصة المعتصم . انظر ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص 515 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استثارة التهكم والاستخفاف ، ويترجّح في سخريته بين اللّعنة والنقمة [1] يقول في أبي نضير [2] :

أبا نُضَيرٍ تحلحلْ عــن مجالــسنا ... فإنَّ فيكَ لمن جــاراكَ مُــنتقــصــا
أنت الحمارُ حرونا إن وقعْتَ بــه ... وإن قصدت إلى معروفة قــَمَصا([3])
إني هَزَزْتُكَ لا آلــوك مـــــجتهداً ... لو كنتَ سيفا ولكنّي هززتُ عَــصَا

فآلم هذا الشعر أبا نضير وشكاه إلى أبي تمّام الطائي ، واستعان به عليه ، فقام أبو تمام يجيب دعبلا عن قوله ، يسخر منه ، ويتوعّده ، يقول أبو تمام [4] :

أدِعْبــلُ إنْ تطاولــتِ الليالـــــي ... عليكَ فإنّ شــعري ســـمٌ ســاعَهْ
ومَا وفَــدَ الــشيبُ عليـــــك إلاّ ... بــأخلاقِ الــدّناءةِ والــضّراعَـــهْ
وَوَجْهُكَ إنْ رَضْــيتَ بــه نــديماً ... فأنْتَ نسيجُ وحــدِكَ فــي الرّقاعــهْ
ولو بُدِّلْتَــهُ وَجــــــهاً بوجــهٍ ... لما صلَّيتَ يوماً فــي جماعـــــهْ
ولكنْ قد رُزقــتَ بــه سلاحـــاً ... ولو استعصيتَ ما أعطيــتَ طاعــهْ

فقد سخر من أخلاق دعبل ورأى أنّه رخيص النفس ، دنيء ، ليس همّه مــن شعره سوى الكسب ، ولو كان ذلك على حساب كرامته وسموّ نفسه ، ثم انتقل إلــى السخرية من وجهه ، وذكر أنه مخيفٌ ، ويصعب على صاحبه أن يقابل به النّاس أو

([1]) انظر إيليا حاوي ، فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 490 .

([2]) الأصفهاني : الأغاني ، ج 20 ، ص 300.

أبو نضير : اسمه الفضل بن عبد الملك، وقيل عمر بن عبد الملك، شاعر من شعراء البصرة، صالح المذهب، مولى لبني جمح، كان يغني في البصرة على جوارٍ له مولدات، ويظهر الخلاعة والمجون والفسق، وكان أبان اللاحقي يعاشره، ثم تصادما، وهجاه وهجا جواريه، ثم انقطع أبو نضير إلى البرامكة فأغنوه إلى أن مات.

انظر: الأغاني: ج 11، ص191.

([3]) حرون : الدابة التي استدر جريها فوقفت (اللسان مادة (حرن)) ، قمص : وثب من مكانه (اللسان (قمص))

([4]) الأصفهاني الأغاني : ج 20 ، ص 301 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجتمع فيهم ، أو يصلّي معهم . لكنّه استدرك بفائدة تتحقق من دمامته ، وهي إرهاب الناس وتخويفهم ، فيصبح قبحه سلاحاً يحمي به نفسه.

وسخر دعبل في موطنٍ آخر من لون بني عمرو واستغرب من اختلاف لونهم (الأشقر) عن أبيهم (الأسمر) وفي هذا تعريضٌ ساخرٌ وقذف بهم وكأنّه يتّهمهم في أصلهم، يقول:([1])

إنّ بني عمروٍ لأعجوبةٌ تعجزُ عن وصفهمُ الفكرهْ
أبوهمُ أسمرُ في لونهِ وهؤلاءِ في ألوانهم شُقْرَهْ
أظنّهُ حينَ أتى أمَّهم صيّر في نُطفتِهِ مَغْرَه ([2])

ويظلّ ابن الرومي الأكثر حظاً في هذا اللون من السخرية ، فقد وقف في سخريته على أعضاء الجسد كلّها ، فكبّر أعضاءً وصغّر أخرى ، وجمع في الجسد الواحد عاهات كثيرة ، ليصل بالمهجو إلى صورة كاريكاتورية مضحكة أحياناً ، ومرعبة أحياناً أخرى، ومن براعة سخريته قوله في أحدب [3] :

قصُرَتْ أخادِعُه وطالَ قَذالُهُ فكأنّه متربّصٌ أنْ يُصفعا.
وكأنّما ‘صفعتْ قفاه مَرّةً وأحسّ ثانيةً لها فتجمّعا.

فهو يصوّره هنا قصير العنق ، يسترسل شعره على ظهره ، ثمّ يصوره منكمشاً منقبضاً قد التصق رأسه بظهره في حركةٍ تشنجيّة ، لأنّه يتوقّع أنْ يُصْفَعَ على قفاه ، وكأنّما قد صُفِعَ مَرَّةً وآلمه الصَّفْع ، فهو يتجمَّع ليتّقي الصفعة الثانية، وقد عبَّر العقاد عن إعجابه بهذه الصورة بقوله [4]"وهي براعة لا نظير لها في وصف الشكل والحركة ، ولا في تضمينها هيئة السخر التي عمل فيها الشاعر عمله المركب

([1]) ديوان دعبل: ص79.

([2]) المغرة: طين أحمر يصبغ به.

([3]) ديوان ابن الرّومي، ج1،ص12.

([4]) العقاد : ابن الرومي – حياته من شعره – ص 136 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

، ليتم فيها نصيب العين والضحك والخيال ، فصورة الرّجل ، وهو يتهيأ لأنْ يُصْفع ، ثم يتجّمع ليتّقي الصفعة الثانية ، هي صورة الأحدب بنصّها وفصّها لا يعوزها الإتقان الحسّي ، ولا الحركة المهيبة ، ولا الهيئة الزريّة ، ولا التأمل الطويل في ضمّ أجزاء الصورة بعضها إلى بعض حتّى يتفق التشبيه هذا الاتفاق" .

ويجعل الضرب سبباً في تقصير القامة وسقوط الشعر ، لكثرته وشدته يقول[1]:

نحـــــنُ تركنـــــاه قـــــصيراً أصـــــلعا.
مـــن بعـــد مـــا كـــان طـــويلاً أفرعـــا([2]).
مـــــازال يكـــــسوه إذا مـــــا استُـــــصْفِعا.
صـــــــــفعاً ... حتـــــــــى قرّعـــــــــا.

وفي مشهد آخر ، يطلّ دبس بأنفه الطويل ، وكأنّه عاهة مرعبـة ، يخـشاها إبليس ، فجاء أنفه مضخّماً وثقيلاً ، يفوق وزن بقية أعضائه ، ولـذلك فقـد دبـس توازنه، ولم يعد قادراً على السيطرة على بقيّة أعضائه ، وهذه صورة كاريكاتوريـة عابثة ، يقول ابن الرومي [3] :

قـــولا لـــدِبْسٍ شَـــرَّ مـــن ... يطـــأ التّـــرابَ ويُـــرْمَسُ [4]
تبّـــاً لـــدَهْرٍ أنـــت فيـــ ... ـــــه مقـــدّمٌ ومُـــرَأّسُ [5]
لـــــو أن إبليـــــساً رآ ... كَ لكـــاد ذُعـــراً يُـــبلَسُ [6]
فـــالأنفُ مِنـــك لعُظمـــه ... أبـــداً لرأســـك يعكـــسُ
حتـــى يَظـــنُّ النّـــاس أنـــ ... ـــنكَ فـــي التّـــرابِ تَفـــرّسُ

([1]) ديوان ابن الرومي ج 4 ، ص 184 ، 185.

([2]) أفرع : طويل القامة .

([3])ديوان ابن الرومي ، ج 3 ، ص 278 ، 279.

([4]) يُرمس : يُدفن في التراب ، أي أنه شر المخلوقات حية وميتة.

([5]) تبا له : دعاء له بالهلاك والخسران.

([6]) يبلس : يسكت وينكسر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن وقفات ابن الرومي من الأنف قوله في عمرو النصراني ([1]) :

يا عمرو فخراً فقد أعطيت منزلــةً ... ليست لقسٍّ ولا كانت لــشَمّاسِ([2]).
للنّاس فيــلُ إمــامُ النّــاسِ مالكُــهُ ... وأنتَ يا عمرو فيــلُ الله لا النــاسِ.
عليك خرطوم صدقٍ لا فُجِعْتَ بــه ... فإنّــهُ آلــةٌ للجــودِ والبــاسِ.
لو شئت كسباً به صــادفت مكتــسباً ... أو انتصاراً مضى كالسيف والفاسِ.
من ذا يقوم لخرطــوم حُبيــتَ بــه ... إذا ضربتَ به قِرْناً على الــرّاسِ؟.
حَمَلْتَ أنفــا يــراه النــاسُ كلُّهُــمُ ... من رأسِ ميلٍ عيانــاً لا بمقيــاسِ.

لقد ضخّم ابن الرومي أنف عمرو، فجعله خرطوماً طويلاً يراه النــاس من بُعد ميل وجعله وساماً يزيد عمراً فخراً ومنزلة بين النصارى ، تفوق ما أعطي القس ، وخرج بهذا الأنف عن وظيفته الطبيعية التي خُلق لها ، وصار له وظــائف أخرى تجعل منه ثروة عظيمة ينتفع منها صاحبه، فقد رأى فيه الشاعر وسيلة مــن وسائل الكسب وجمع المال ، وهذا يأتي من خلال تسخيره للتفكّه والإمتاع ، ثم جعله وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس ، وذلك لأنه يشبه السيف أو الفاس فــي طولــه وحدّته ، وكلّ هذه الامتيازات التي خصّ بها أنف عمرو تثير في الــنفس التعجــب والتفكه.

وأفضت به دقّةُ التصوير إلى تمثيل الدّمامة في أتمّ أشكالها ، حتّى كأنّها تعبّر بنفسها عن معايبها ، وقاده حبّه التقصي ، إلى استقراء عيوب ومقابح من يسخر منهم إلى نهايتها [3] ، فكان ماهراً في عرضها ، ومتابعتها ، والبحث عن الخيــوط التــي تجمعها مع عناصر أخرى ، ومما قاله في أبي حفص الورّاق [4] :

([1]) ديوان ابن الرومي: ج3، ص302، 303

([2]) الشماس: من رؤوس النصارى: الذي يحلق وسط رأسه ويلزم البيعة، قال ابن سيدة: وليس بعربي صحيح، والجمع شمامسة ، ألحقوا الهاء للعجمة أو للعوض، انظر اللسان، مادة شمس.

([3]) حنا فاخوري : تاريخ الأدب العربي ، ص 540.

([4]) ديوان ابن الرومي : ج 2 ، ص 252.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصبحتَ قِـرداً يـا أبـا حفـصلٍ ولستَ أيضاً من ملامح القـرودْ.
تلـكَ قـرود غيـر ممـسوخةٍ وأنتَ قردٌ من مـسوخ اليهـودْ.

فالقرود تتفوّق في ملامحها على أبي حفص ، فهي غير ممسوخة ، في حين يظهر أبو حفص قرداً ممسوخاً يشبه مسوخ اليهود ، ويكرّر هذا التشبيه في سخريته من أبي يوسف الدّقاق ، في قوله [1] :

ألـم يُلحقـكَ أوشـكَ مـا لحـاقٍ بإخوتِكَ المـسوخِ مـن القـرودِ؟

ويصل ابن الرومي بمهجوّه إلى درجة التفرّد في الصفات القبيحة ، فهو يشبه نفسه ، ولا أحد يشبهه . يقول [2] :

بمـا أهجـوكَ يـا أنـتَ ألـيسَ أنـت الـذي أنـتَ؟

ويظهر ابن الرومي كلفاً بالقبح ، يبحث عنه ، ويفرح به ، ويعتقد أنه الوسيلة الناجحة التي يستطيع من خلالها أن يأخذ حقه من أولئك الذي سخروا منه، وقلّلوا من شأنه ، فجاءت سخريته تمتلئ بالسخط والكره ، "وانقلب إلحاحه في طلب رضا الناس واحترامهم إلى نقيض من الكُرهِ والسخرية" [3] ، يقول في أبي علي بن أبي قرّة [4] :

أقـصِرٌ وَعَـوَرٌ وصـلعٌ فـي واحـدِ؟
شَـواهدُ مقبولـةٌ ناهيـكَ مِـن شـواهدِ.
فكـفَّ منـه بـصراً مثـل الـسِّراجِ الواقـد.

([1]) المصدر نفسه : ج 2 ، ص 239 .
([2]) ديوان ابن الرومي، ج 1 ، ص 452 .
([3]) إيليا حاوي : فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 491 .
([4]) ديوان ابن الرومي : ج 2 ، ص 272 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأغرب من هذه الأوصاف ، قصرُ أبي حفص الورّاق ، فهو متفرّدٌ في نوعه ولا أحد يماثله ، إلى حدٍّ أنّه لو وقف على مرتفع من الأرض لحسبته في غيابة الجبّ، كأنَّ رأسه دُكَّ إلى أسفل ، ويواصل ابن الرّومي في مسخه ، ويجعل الضربة تكشف رأسه ، فيظهر ما كان مختبئاً فيه من أوساخ ، يقول ([1]) :

وقـــصيرٍ تـــراهُ فـــوقَ يفـــاعٍ فتـــراهُ كانّـــهُ فـــي غيابـــهْ ([2]) .
لم تَـــدعْ قفـــدهُ يـــدُ الـــدّهرِ حتّـــى قمعـــتْ فيـــه طُولَـــهُ وشـــبابَهْ ([3]).
وجلَـــتْ رأســـهُ نِعمّـــا فأضـــحى بارز الصّرحِ ما يواري صؤابَهْ([4]).

ويمعن ابن الرومي في البحث عن صفات جديدة ، تجعله يوغل في اللامعقول، وذلك من أجل اخراج صورة ممسوخة تماماً ، يقول في مهجوّه ([5]):

لـــهُ قـــرونٌ سَـــمقت فـــي العُـــلا أطالَهـــــا ربُّ البريـــــــاتِ
يـــسترقُ الـــسَمعَ علـــى قِرنِـــهِ إبلـــيسُ فـــي جـــوِّ الـــسمواتِ

فقرونه لطولها تعطي إبليس الفرصة ليتنصت على صاحبها ، ثم يـأتي إلـى صلعَة أبي حفص ، ويقول : إنها تشبه مرآة الفولاذ ، وعندما تُضرَبُ تسمعُ رنينهـا

([1]) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 389.
([2]) وقصير : أي ورب قصير
([3]) القفد : صفع القفا بالكف . القمع: الضرب بعمود من خشب أو حديد لدكّ الرأس.
([4]) صؤابة : القملة .
([5]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 448.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ضواحي بغداد ، ولأنّه تعوّد الضرب عليها أصبحت سيمفونية مطربة ، كأنّه يُشرفُ عليها ملحنٌ حاذق ([1]):

يا صلعةً لأبي حفصٍ ممرَّدةً كأنّ ساحتها مرآةُ فولاذِ.
ترِنُّ تحتَ الأكفِّ الواقعاتِ بها حتّى تَرِنّ لها أكنافُ بغدادِ.
كم من غناءٍ سمعنا في جوانبها من حاذقٍ بلُحونِ الصّقْع أستاذِ.
لا شيء أحسنُ منها حينَ تأخذها من الأكفِّ سماءٌ ذات إرَذاذِ.

ويجعل الشاعر من صلعة أبي حفصٍ مُتعةً للأكفِّ التي تعوّدت ضربها ، فإذا ما ذهبت صلعته فُجعت تلك الأيدي ، وكأنّما الحكمة من خلق أبي حفص أصلع هو إمتاع النّاس بضرب صلعته ، وهذه الصورة تجعلنا نتخيل أبا حفص ، وهو محاط بالأكف ، بعد أنْ أصبحت صلعته عنواناً لمن يريد المتعة . يقول ([2]):

رأسُ أبي حفصٍ عظيمُ المنفعهْ
كم من يدٍ أمستْ به ممتّعهْ
وأصبحتْ لقفدهِ مفجّعهْ
رأسٌ جلاهُ الدّهرُ حتى قُرّعَه
فلم يدعْ في جانبيه قزعهْ ([3])
كأنّما قرّعه ليصفعهْ
لله تلك الهامةُ المربّعهْ
مصقَوَلة مدهونة مصنّعهْ

([1])المصدر نفسه ، ج1، ص 311.

([2]) المصدر نفسه : ج 4 ، ص 185.

([3]) القزع :السحاب المتفرّق، والقزّعة، والقزْعة: خصل من الشّعر تترك على رأس الصّبي، كالذوائب متفرّقة في نواحي الرّأس، وقزّع رأسه: حلقه وبقيت منه بقايا في نواحي رأسه . انظر اللسان، قزع.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف الصلعة في موطن آخر أوصافاً جديدة تزيدها بـــروزاً ووضـــوحاً ، فتظهر مسيطرة تماماً على بقيِّةِ أعضاء الجسد ، يقول ([1]):

حَبلّـــــــقٌ كالمـــــــاعزِ الكَلوخْـــــــتِ ([2])
ذو هامـــــةٍ مثـــــلِ الـــــصّفاة المـــــرتِ ([3])
تبـــــرِقُ بالليـــــل بريـــــق الطّـــــسْتِ ([4])
صـــــــبحّها اللهُ بقفـــــــدٍ سَـــــــخْتِ ([5])

فهو يشبّه صاحبَ الصلعة بقصار المعز في دمامتها ، وهو يحمل صلعةً برّاقة، نلمح بريقها حتى في اللّيل ، والغاية من هذا الوصف إبرازها ، وشدّ الانتباه إليها ، وهذا يمهّد لإشهارها وإمتاع الناس بضربها . وتصل سخريته من الصلعة ذروتها في قوله ([6]) :

يـــا أيّهـــا الهـــاربُ مـــن دهـــرِهِ أدركـــكَ الـــدّهرُ علـــى خيلـــهِ .
يـــسوقُ مِـــن نُفْرتـــه طُـــرّةً إلى مـــدىً يقـــصّرُ عـــن نيلـــهِ([7]).
فوجهـــه يأخـــذُ مـــن رأســـهِ أخْـــذَ نهـــارِ الـــصّيف مـــن ليلـــهِ.
مثـــل الـــذي يرقّـــعُ مـــن جيبـــه وَهْيا بمـــا يأخـــذُ مـــن ذيلـــهِ ([8]).

([1]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 442،443.
([2]) الكلوخ : لفظة من الدخيل . أي القصير (أي قصار المعز ودمامها) .
([3]) هامة مثل الصفاة : أي رأس مثل الصخرة الملساء ، والصخرة المرت: الصخرة الناعمة العريضة.
([4]) الطست: الإناء ، واللفظة من الدخيل .
([5]) القفد : الصفع ببطن الكف ، السخت:الصفع الشديد .
([6]) ديوان ابن الرومي : ج 5 ، ص 117.
([7]) النّفرة : ما تفرّق من شعره ، الطرّة من الشعر :ما قطع منه .
([8]) الوهي: الشق في الشيء ، جمعه وَهِيّ وأوهية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يصف هذا الشخص الذي حاول تغطية صلعته بشعر مؤخرة رأسه هرباً من الدّهر ، ويشير إلى عجز الإنسان عن تغيير واقعه ، بقوله (أدركك الدّهرُ على خيله) فهو مخطئ إذا حاول ذلك ، لأنّ الدّهر يلحقه أينما ذهب ، ويظفر به ، وصوّر أيضاً تعب ذلك الإنسان في ردِّ شعر مؤخرة رأسه إلى الأمام ، لأنّ هذا الشعر بطبيعته لا يصل إلى الأمام (يسوق من نفرته طرة) ، ويسمو خياله في قوله ([1]):

فوجهه يأخذُ من رأسه أخذَ نهارِ الصِّيف من ليلهِ

واستطاع أن يقابل بين الوجه والنّهار من جهة البياض ، والشعر الأسود والليل من جهة السّواد ، كذلك بين نهار الصّيف الطويل ووجه الأصلع ، واستطاع أن يقدّم مجموعة من الصور والمشاهد التي جاءت لخدمة الصورة الأساسية التي أرادها وهي اتّساع الصلعة وامتدادها. ومن هذه الصور قوله : (رجلٌ يهرب من الدهر ، الدهر يركب على خيل ليدركه ، وجهه يأخذُ من رأسه ، مثل الذي يدفع من جيبه ...) .

وشبيه بهذه الصورة ، وصفه لصلعة خالد ([2])، فتبدو مسيطرةً تماماً على خلقته، وكأنّما أصبح كلّه صلعة ، يقول ([3]):

دخلتُ على خالدٍ مرّةً وقد غابَ في ذاته الأصلَعُ.

ويفطن ابن الرومي أثناء تقليبه لمعايب الآخرين إلى موضوع جديد ، فإذا كانت ضآلة الجسم موضع سخرية الشعراء ، فقد أصبحت ضخامته عند ابن الرومي موضعاً آخر للتهكم والسخرية ، وقد استعان في سخريته هذه بمقارنة لطيفة ، أجراها بين ضخامة جسم الفيل ، وصغر حجم ذكر النحل ، والغاية من ذلك أن يقول : إنّ

([1]) ديوان ابن الرومي : ج 5 ، ص 117.

([2]) لعله خالد بن يزيد الكاتب، ويكنى أبا الهيثم من أهل بغداد، وأصله من خراسان، وكان أحد كتاب الجيش، واتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي، وقيل إنه وسوس في آخر عمره.

انظر الأغاني: ج20،ص199.

([3])ديوان ابن الرومي: ج 4 ، ص 187.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جسم مهجوه ضخم يفوق ضخامة الفيل ، ولكنّ عقله وعلمه في حجم ذكـــر النحـــل، يقول ([1]) :

طـــولٌ وعـــرضٌ بـــلا عقـــلٍ ولا أدبِ فلـــيسَ يَحْـــسُنُ إلاّ وهـــو مـــصلوبُ .
فيـــلٌ واوزنُ منـــــه لـــــو يوازنـــــهُ في الحِلْمِ والعِلْم لا في الجسم يعسوبُ([2]).

ومن العيوب التي سخر منها الشعراء أيضاً الشراهة والتسلط في الأكل ، فمما قاله ابن الرّومي في أكول ([3]) :

وأمّا يَدُ البصريّ فـــي كُـــلّ صـــفحةٍ فأقلعُ من سَيلٍ وأغـــرفُ مـــن رفـــشِ.
يبـــادرُ فـــي قلـــعِ الطّعـــام ، كأنّـــه وكيلُ يتيمٍ ، أو مريـــبٌ علـــى نَـــبِشِ.
أأوعِـــدُه بالـــشعر ، وهـــو مـــسلّطٌ على الإنس ، والجنّان والطيرِوالوحشِ؟
ألـــم أره لـــو شـــاء بلـــع تِهامـــةٍ وأجبالَها ، طاحت هنـــاك بـــلا أرشِ؟
على أنه ينعى إلـــى كـــلِّ صـــاحبٍ ضروساً له ، تأتي على الثور والكبشِ
يخبّـــر عنهـــا أنّ فيهـــا تثلّمـــاً وذلكـــمُ أدهـــى ، وأوكـــدُ للجـــرشِ.

فالصورة هنا صورة إيحائية ، بعيدة عن الواقع ، استعان فيها الشاعر بوسائل المبالغة والغلو ، ليوهمنا بوحشية البصري في التهام الطعام ، فجعله قادراً على ابتلاع الطير والوحش ، والإنس والجن ، ولو رغب في ابتلاع جبل تهامة لتحقق له ذلك . ويُسْنِد ابن الرومي هذه الصورة ويقويها في موطن آخر ، فقد جعل من أسنان الأكول رحىً دائمة الدوران والطحن ، ويُقسِمُ لو أنّه وقفها للمساكين ، لما عانوا من غـــلاء الطحين ، ويشبّه استمرار مضغه باجترار الحيوان ، وهذا كناية عن عدم توقّفه عـــن الأكل ، يقول ([4]):

([1]) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 330
([2]) اليعسوب : ذكر النحل
([3]) ديوان ابن الرومي ج3، ص 333
([4])المصدر نفسه ، ج 6 ، ص295.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعضُ أضراســه يكــادمُ بعــضاً فهـــي مـــسنونةٌ بغيـــر سَـــنونِ.
لا دؤوبٌ إلاّ دؤوبُ رحاهـــــا أو دؤوب الرّحـــى التـــي للمنـــونِ.
قـــسماً لـــو وقفتَهـــا للمـــساكينِ لمَـــا مـــسَّهم غـــلاءُ الطحـــينِ.
ما ظننتُ الإنسان يجتـــرّ حتّـــى كنتَ ذاكَ الأنـــسان عـــينَ اليقـــينِ.

ويجرّد ابن الرومي هؤلاء الشَّرهين ، من الأحاســيس والانفعــالات ، فهــذا سليمان بن طاهر لم يعد يرتاح للمدح ، ولا يتأثر من الشتم ، يقول ([1]):

فتـــــىً لـــــم يخلـــــق اللهُ يديـــــه لـــــسوى اللّقـــــمِ ([2]).
فمـــــا يرتـــــاحُ للمـــــدحِ ولا يرتـــــاعُ للـــــشّتمِ.
فـــــرت جلدتَـــــه الألـــــ ســـنُ عـــن شـــحمٍ وعـــن لحـــمِ.
كأنّـــــا إذا ســـــألناهُ وقفنـــــا ســـــائلي رســـــمِ.

لقد قصر الشاعر وظائف اليد عند المهجو على الأكل ، وكأنّه يعيش ليأكــل فحسب ، وهذا يجعلنا نعتقد أن علاقات المهجو مع مجتمعه مبنيّة على شراهته ، فهو طفيلي ، ثقيل ، غير مرغوب فيه ، ويبدو أنّه تعوّد على الشتم وأصبح بليداً ، لا يتأثر به، مثله في ذلك مثل الطلل الذي لا يجيب من يقف عليه ويسأله .

2- السخرية من اللّحية:

شاع هذا اللون عند بعض شعراء هذا العصر ، وتعددت أوصافهم فيه ، فتناولوا اللّحية من زوايا متعددة ، لأسباب مختلفة . لكنّ الهدف الأساسي عند معظمهم لم يكن اللّحية لذاتها ، بل توبيخ أصحابها الذين جعلوا منها ستاراً يخدعون فيه عامّة الناس ، ويضلّلونهم ، حتّى أصبحت اللّحية عندهم شاهداً على المنكر والزّيف . أمّا بعــضهم

([1])ديوان ابن الرومي ،ج6 ، ص 8
([2]) اللقم : أكل الطعام سريعا دون بلع

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الآخر فحارب اللحى الطويلة المتهدّلة ، ورأى فيها مظهراً من مظاهر القبح ، تُنقص من مكانة صاحبها وتجعله مثاراً للسخرية والتهكم . ومن هؤلاء الشعراء آدم ابن عبد العزيز([1]) . فقد سخر في مجلس الخليفة المهدي من سليمان بن المختار وكان ذا لحية عظيمة وأصدر حكماً قاسياً على لحيته ، فنادى بقصّها أو جزّها أو تحريقها ، في قوله ([2]) :

قد استوجبَ في الحكمِ سليمانُ بنُ مختارِ.
بما طوّلَ من لحيهِ جزّاً بمنشارِ.
أو السيفِ أو الحلقِ أو التحريقِ بالنّارِ.
فقد صارَ أشهرَ من رايةِ بيطارِ.

وقد دفع موقف الشاعر هذا ، أصحاب اللحى الطويلة إلى الاحتجاج لدى الخليفة ليكفّ آدم بن عبد العزيز عنهم . فهذا أسيد بن أسيد – وكان وافر اللّحية – يقول للخليفة ، "ينبغي لأمير المؤمنين أن يكفّ هذا الماجن عن الناس" فلمّا علم آدم بذلك قال فيه ([3]) :

لحيةٌ تمتْ وطالتْ لأُسيدِ بن أُسيدِ.
يعجبُ الناظرُ منها من قريبٍ وبعيدِ.
هي إن زادتْ قليلاً قطعْت حبلَ الوريدِ.

ويهاجم آدم اللّحية مرّةً أخرى ، ويرى فيها عبئاً ثقيلاً على صاحبها تصل به إلى مرحلة الخطر ، فقد تجعله يفقد توازنه ومرونته، وقد تقطع أوداجه فتقتله،ولاشك أنّ الشاعر كان "بارعاً في تهكمه الذي اعتمد على المبالغة في رسم

([1]) هو آدم بن عبد العزيز بن عمر بن مروان بن الحكم، وأمّه أم عاصم بنت سفيان بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، كان في أول أمره خليعاً، منهمكاً في الشّراب، ثمّ نسك بعد ما عُمّر، ومات على طريقة محمودة. انظر الأغاني: ج15، ص190.

([2])الأغاني ، ج15 ، 193.

([3]) المصدر نفسه ، ج15، ص193.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الغريبة ، ممّا أشاع في أبياته روحاً فكهة ، تعتمد السخرية في النقد والتصويب" ([1]) .

أمّا السيّد الحميري فنظر إلى اللّحية من جانبٍ معنوي ورأى فيها شاهداً على المنكر والخداع ، يقول ([2]) :

سأحلقُ لحيتَه إنّها شهودٌ على المنكرِ والزّورِ.

ومن الشعراء من أستغلّ اللّحية ليعبر عن ضيقه بصاحبها ، فهذا مروان ابن أبي حفصة يبالغ في عرض اللّحية ، ويجعل المجالس الفسيحة تضج من صاحبها ، لأنّ لحيته موزّعةٌ في كلّ الاتجاهات، يقول ([3]) :

لقد كانت مجالسنا فِساحاً فضيّقها بلحيتِه رباحُ
مبعثرةُ الأسافلِ والأعالي لها في كلّ زاويةٍ جناحُ

ومن الأبيات المثيرة للسخرية في هذا الباب قول ابن الطبيب في رجلٍ متدين وكان كثيف اللّحية ([4]):

ما سرّني أنني في طول داودِ وأنّني علمٌ في البأسِ والجودِ.
ماشيتُ داود فاستضْحكتُ من عجَبٍ كأنني والدٌ يمشي بمولودِ.
ما طول داودَ إلاّ طولُ لِحْيتِهِ يظلّ داود فيها غير موجودِ.
تكنّهُ خصلةٌ منها إذا نَفَحتْ ريحُ الشتاء وجفّ الماءُ في العُودِ.
إنْ هبّت الريحُ أدّتهُ إلى عَدَن إن كان ما لفّ منها غيرَ معقودِ

([1]) رياض قزيحة : الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي ، ص 285

([2]) ديوان السيد الحميري ، ص 102.

([3]) ابن قتيبة : عيون الأخبار ، ج 4 ، ص 56.

([4]) المبرد :الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، والسيد شحاته ، ج 2 ، ص 128

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد حاول الشاعر أن يُغيِّبَ شخصية مهجوّه في لحيته ، بل جعلها تتحكم في حركته إذا ما هبّت الرّيح ، وكان غرضُ الشاعر على ما يبدو نقد الفئة التي تتظاهر بتمسّكها بالدين ، وتطلق لحاها ، بينما هي في حقيقة الأمر تخدع الناس بهذه المظاهر وتضللهم ، ولهذا أرادَ كشفها والتقليل من شأنها ([1]).

واستحوذت السخرية من اللّحية على كثير من شعر ابن الرومي . فمن يقرأ ديوانه يجد عنده السخرية من اللّحية ظاهرة تلحُّ على القارئ أن يقف عليها ؛ ليعللها ويتابعها ، فقد كان يتربّص بنقائص النّاس وعوراتهم ، ويبالغ بها ، ويضخمها ، ليقنعهم أو ليقتنع على الأقل أنّ لديه فضائل تناقضها . وكان تركيزه على اللّحية الطويلة المكتظة محاولةً لإقناع غيره أنّ نقيضها أجمل ([2]) وهذا قد يكون موقفاً ممن لا يجدون لأنفسهم مكاناً في مجتمعهم إلا بتطويل لحاهم ([3]) ويقول العقاد ([4]) : "إنه كان كث اللّحية وقصير شعرها" كما قال ([5]) :

ولم أزلْ سَبِطَ الأخلاقِ واسِعَها وإن غدوتُ امرأً في لحيتي كثثُ([6]).

ويشك ابن الرومي في قدرة أصحاب اللحى على قول الشعر ، بل يجعل غزارة اللّحية دليلاً قاطعاً على ضعف الشاعر ونزارة أدبه ، كما في نظرته للبحتري، إذ يقول فيه ([7]) :

البحتريّ ذنوبُ الوجه نعرفهُ وما رأينا ذنوبَ الوجه ذا أدبِ

([1]) انظر حسين عطوان : شعراء الشعب في العصر العباسي ، ص 53

([2]) انظر إيليا حاوي : ابن الرومي ، فنه ، ونفسيته من خلال شعره ، ص 113 .نفسه ، فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 499

([3]) عبد المجيد الحر : ابن الرومي ، عصره ، حياته ، نفسيته ، فنه من خلال شعره ، ص 136

([4]) العقاد : ابن الرومي ، حياته من شعره ، ص 1938، ص 113

([5]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 471

([6]) سبط الأخلاق : سهلها وواسعها . كثث : اجتمع شعرها وتجعد من غير طول

([7]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 301

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا شك أن ابن الرومي في هذا البيت يقع في مغالطة ، تناقضُ ما ذهب إليه من اعتباره أن اللّحية علامة من علامات التذكير ([1]) ، وذلك في قوله ([2]) :

أرعِ فيها الموسى فإنّكَ منها شَهِدَ الله في أثامٍ كبيرِ.
أو فقصّر منها فَحَسْبُكَ منها نصفُ شِبرٍ علامةَ التذكيرِ.

إنّ المتأمل في انتاج ابن الرومي الشعري يجد أنه امتلك دقة الملاحظة ، والشعور بالمتناقضات في نفسه وفي غيره ، حتى جعله ذلك ساخراً عابثاً ، يستخدم السخرية في أغراض أدبية شتى ، ويعرض صوراً قلّ أن نجد لها مثيلاً في العناية والإتقان ، كذلك نجد أنه ينطلق من نفسية ساخطة تُضْمر أنَّ الحياة وجودٌ لا عدل فيه ولا جمال، وأنه مظهر للقباحة ، ولذلك يرى الناس مشوهين ، تتناثر في أشكالهم ملامح القبح والبشاعة .

لقد تناسى ابن الرومي الوجه الايجابي للحياة ، وحول خيرها إلى آفة من الشرور بدافع الكره والسخط ، وحاول بقدراته الفنية كلّها أن يرسم الناس في مشاهد مشوهة، لذلك عمد إلى الرسم(الكاريكاتوري) الذي يُعنى بالمعاني الشاسعة الأبعاد ، والطريفة والغريبة والمبتكرة أحياناً ، وممّا قاله في اللّحية ([3]) :

إنْ تطل لحيةٌ عليك وتعرض فالمخالي معروفةٌ للحميرِ
علّق الله في عذاريك مخلا ةً ولكنّها بغيرِ شعيرِ ([4])
لو غدا حكمها إليَّ لطارتْ في مهبّ الرياحِ كلّ مطيرِ
ألقها عنْكَ يا طويلةُ أولى فاحتسبها شرارةً في السعيرِ
أرع فيها الموسى فإنك منها شهد الله في أثام كبيرِ

([1]) انظر العقاد ابن الرومي ، حياته من شعره ، ص 114
([2]) ديوان ابن الرومي : ج 3 ، ص 33
([3]) المصدر نفسه : ج 3 ،ص 32 ، 33
(5) العِذار: جانب اللحية، أي الشّعر الذي يحاذي الأذن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيّمـــا كوســـج يراهـــا فيلقـــى ... ربّه بعـدها صـحيحَ الـضميرِ[1]
هو أحْرى بـأن يـشكّ ويُغْـري ... باتّهـام الحكـيم فـي التقـديرِ
فـاتّقِ اللهَ ذا الجـلال وغيّـر ... منكـراً فيك ممـكن التغيـيرِ
أو فقـصّرْ منهـا فحـسبُكَ منهـا ... نـصفُ شِـبْرٍ علامـةَ التـذكيرِ
لـو رأى مثلهـا النبّـي لأجـرى ... في لحى النّـاس سُـنّةَ التقـصيرِ
واستحبّ الإحفاءَ فـيهنّ والحَلـ ... ـقَ مكـان الإعفـاء والتـوفيرِ

وهنا لجأ ابن الرومي إلى الأسلوب التفصيلي الساخر ، فأجرى مقارنـة بـين اللحية والمخلاة ، وأوجد علاقة مشتركة بينهما في شكلها ومعناها ، فلحيتـه تـشبه المخلاة في شكلها ، أمّا المعنى الأعمق فهو التعريض بصاحبها الذي يشبه الحمار ولو اكتفى الشاعر بهذه المقارنة لكان تشبيهه تقليدياً عادياً ، غير مثير ، ولكـن تمييـزه لفارق الشعير بينهما ، زاد المعنى جمالاً ، وأظهر قدرةً فائقة علـى التقـاط اللُّمـع والجزئيات ، وهذا ديدنه . وقد تحققت نقمته على اللحية في تمنيه أن يصل حكمها إليه فيجتثّها ، أو يطعمها للريح ، وذلك في قوله [2] :

لو غـدا حكمُهـا إلـيّ لطـارت ... فـي مهـبِّ الرّيـاحِ كُـلّ مطيـرِ
ألقِهـا عنـكَ يـا طويلـةُ أولـى ... فاحتـسبها شـرارةً فـي الـسعيرِ
أرعِ فيها الموسى ، فإنّـك منهـا ... شَـهِدَ الله فـي أثـامٍ كبيـرِ

ولكي يسدّ على صاحب اللحية أيّ بابٍ من أبواب الاحتجاج لجـأ إلـى الـدين بقوله[3]:

لـو رأى مثلهـا النبـيّ لأجـرى ... في لحى النـاس سُـنّةَ التّقـصيرِ.

([1]) الكوسج : الذي لاتنبت له لحية ،وهو بالفارسيّة كوسه (معرّب) .
([2]) ديوان ابن الرومي: ج 3 ، ص 33
([3])ديوان ابن الرومي ، ج 3 ، ص 33 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فبعد أن جعلَ من إرسال اللحية منكراً يخالف شرع الله ، ويكاد يكون كفراً ! لجأ إلى الحديث النبوي :"أحفّوا الشوارب وعفّوا اللّحى" ([1]) واستخلص العبرة التالية : لو رأى مثلها النبي لقلب تشريع الإعفاء والإحفاء ، وقال بحلق اللحى وإعفاء الشوارب، خشية أن يصبح المؤمنون مثل هذا الإنسان السخيف [2] .

ومما يلفت النظر أنّ ابن الرومي عندما شاهد ذلك الرّجل غفل عن صفاته جميعاً ، ولم يلتفت إلاّ للحيته ، كما أنّه غفل عن اسمه وكنيته ولقبه وعائلته ، ودعاه بصاحب اللحية الطويلة ،كأنّها وسيلة التعريف الوحيدة [3]، أو لعلّ اللحية بشذوذها شغلته لا عن اسم صاحبها حسب ، بل عن صاحبها نفسه ، ولشذوذها يصفها ابن الرومي بأنها (أهملت) ، ولهذا سالت وفاضت ، وهي لسوئها وقبحها تخيف من يراها، وكأنّها وجها منكر ونكير اللذين يقومان بتعذيب النّاس في قبورهم.

ويجمع في موطنٍ آخر بين صاحب اللحية والتيس ، ويرى أنّ التيس أشبه المخلوقات به ، ثمّ يجري بينهما علاقة تبادلية ينقل فيها قرن التيس إليه ، وينقل لحيته إلى التيس ، يقول [4] :

أنتَ تيسٌ والتيسُ أشبهُ شيءٍ بخلقتِكْ
أنتَ أولى بقرْنِهِ وهو أولى بلحيتِكْ

إنّه يستقصي أوصافاً متنوعةً لا تثير في النفس إلاّ الزّراية والقبح ، وفي هذه المرّة يصور اللحية بالغراب الذي لا ريش له ، ثم كأنّها مدهونةٌ بالقار. يقول[5] :

([1]) قال عليه السلام:"عشر من الفطرة، قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء (الاستنجاء)".
انظر: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، ج3، ص143.

([2]) خليل شرف الدين : أبو نواس ، ابن الرومي ، المتنبي – ما يخص ابن الرومي ، ص 165 .

([3]) إيليا حادي : ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ، ص 114 ، 115 .

([4]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 451 .

([5]) ديوان ابن الرومي:ج1 ، ص 443 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولحيـــــةٍ مثـــــل غـــــراب الحمـــــت [1]
كأنهّـــــــــا مدهونـــــــــةٌ بزفـــــــــت
ســـــرّحها الله لـــــه بالـــــسّلـــــتِ [2].

وفي مكانٍ آخر يجعل ضفائر زوجة مهجوه منها ، ويلجأ إلى المبالغة لإثبات طولها واتّساعها ، فلو يجمعُ الله لحى البشر ، لكانت كلّ اللحى لا تساوي إلاّ بمقدار ما حذف من لحية مهجوّه يقول [3]:

رجـــــلٌ عليـــــه لحيـــــةٌ منهـــــا قرامـــــلُ زوجتِـــــهْ
لـــــو يجمـــــعِ اللهُ اللّحـــــى كانـــــت حُذافـــــةَ لحيتِـــــهْ

ويشبهها في أبيات أخرى بمذَبّة الذباب ، وهذه صورة ماسخة ، مهينة ، يقول [4] :

ولحيـــــةٍ ســـــائلةٍ منـــــصَبّه شـــــهباء تحكـــــي ذنـــــبَ المِذَبّـــــه

ويذهب ابن الرومي في سخريته إلى ما هو أبعد ، فيـــرى أنّ هنـــاك علاقـــة عكسية بين طول اللحية وعرضها، ورجاحة العقل ، فعقل الفتى ينقص بمقدار طول لحيته ، يقول [5] :

إذا عَرُضَـــــت لحيـــــةٌ للفتـــــى وطالت وصـــارت إلـــى سُـــرّتهْ.
فنقـــصانُ عَقْـــلِ الفتـــى عنـــدنا بمقـــدار مـــا زادَ فـــي لحيتـــهْ.

فصاحب ابن الرومي فيه كثرة في اللحية وقلة في العقل .

([1]) غراب الحمت : الذي لا شعر له .
([2]) شرحها بالسلت : أي إرسال الشعر قبل المشط .
([3]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 449 .
([4]) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 175 .
([5]) ديوان ابن الرومي ، ج 1 ، ص 451 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن مظاهر مبالغته أيضاً اللجوء إلى التشخيص ، ولهذا يتعاملُ بصيغة المثنى في خطابه مع صاحب اللحية (أبي حفص الورّاق) ، لأنّ اللحية تمثّل عنده عدوّاً آخر ، يقول [1] :

إنّ أبـــا حفـــصٍ وعُثونَـــــــهُ كلاهما أصبحَ لـــي ناصبـــــا [2]
قد أُغريـــا بـــي يهجـــواني معـــاً وحدي ، وكان الأكثرُ الغالبـــا [3]
أقـــسمتُ مـــا اســـتنجدَ عُثونـــهُ حتّـــى غـــدا لـــي خائفـــاً هائبـــاً
إنْ كان كفـــؤاً لـــي فـــي زَعْمِـــهِ فليعتـــــزلْ لحيتَـــــهُ جانبـــــاً [4]

ولأجل كل ما سلف ينادي باجتثاث كل لحية نراها ، فكأنما هي الأفعى السامة التي لا بُدّ من قتلها . يقول [5] :

إن أنْـــتَ صـــادفتَ شَـــيْخ ســـوءٍ كأنَّمـــا الـــذّقنُ منـــه حِبْثَـــى [6]
فاســـتجرِ الله يـــا خليلـــــــي وضَـــعْ علـــى حلقـــهِ الهِلبْثـــا [7]

ويتقدم خطوةً للأمام فينادي بقتل صاحبها ، لكن إذا خيف الله في قتله ، فيدعو إلى نتف هذه اللحية شعرة شعرة ، وهذه وسيلة من وسائل التعذيب ، تنم عن كـــره وضغينة ، يقول [8] :

إن أنْتَ صادفتَ أخـــا لحيـــــةٍ قد جَلَّـــتْ مـــن كبـــرٍ صَـــدرَهْ [1]
فاقبضْ بيـــسراك علـــى أصـــلها وَضَـــعْ علـــى حلقومـــه الـــشَّفْرهْ

([1])المصدر نفسه ، ج1 ، ص 146 .

([2]) العثنون : اللحية أو مانبت منها على الذقن وتحته ، الناصب : المتعب ، المتضايق

([3]) أغريا به : أولعا به ، قوله : كان الأكثر غالباً ، يريد أبا حفص وعثونه .

([4]) فليعتزل لحيته : أي ليحلقها .

([5]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 467 .

([6]) حبثى : الحية المرقشة .

([7]) هلبثا : سكين اليهود

([8]) ديوان ابن الرومي : ج3 ، ص 109 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنْ خـشيتَ الله فـي قتلـــــهِ وخِفْـتَ منـه سـطوةً مـــرّهْ
فثِبْ إلـى عُثنونـه ناتفـــــاً فـأتِ عليـه شـعرةً شعـــرهْ

ويرى فيما بعد أن قطع رأس صاحب اللحية واجبٌ ديني فيه رضى الله سبحانه ومحبته . يقول [2] :

ولحيـةٍ سـائلةٍ منـصبَّـــهْ شـهباءَ تحكـي ذنْـبَ المذبّـهْ [3]
ألا فتـى يرضـي بـذاك ربَّـهْ يَـضُمّ كفيـه علـى إرزبّـهْ [4]
ثَمَّـةَ يعلـو رأسَـهُ بِـضَربـهِ يَـشفى بهـا قلوبَنَـا وقلبَـهْ

ومن مبالغات ابن الرومي في وصف اللحية قوله [5]:

ولحيةٍ يحملهـا مائـــــقٌ مثـل الـشّراعين إذا أشـرعا [6]
تقوده الرّيحُ بهـا صاغـــراً قَـوْداً عنيفـاً يُتْعِـبُ الأخْـدعا [7]
فإنْ غدا والريح فـي وجهـه لـم ينبعـثْ فـي وجهـهِ إصـبعا
لو غاصَ في البحر بـه غَوْصَـةً صـادَ بهـا حيتانَـهُ أجمعـا

فهو يرى أن حجم هذه اللحية يشبه شراعين يواجهان الريح ، وطولها هذا يجعل الرياح تقود صاحبها حيثما اتجهت ، فيصبح لا حيلة له ولا قوة أمام أثر اللحية، وهذا معنى طرقه قبله الشاعر ابن الطبيب [8]. ويذكر ابن الرومي في الأبيات ذاتها مظهراً

([1]) جللت صدره : غطته .
([2]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 175 ، 176 .
([3]) اللحية السائلة : اللحية الطويلة ، التي أهملت فتهدلت ، وأصبحت مسترخية ، الشهباء : البيضاء التي يشوبها سواد.
([4]) الأرزبة : القضيب من الحديد .
([5]) ديوان ابن الرومي : ج 4 ، ص 192.
([6]) مائق : أحمق
([7]) الأخدع : عرق في جانب العنق.
([8]) انظر المبرد : الكامل ، ج2 ، ص 128

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

آخر من مظاهر ضعف صاحب اللحية ، وهو أنّه إذا ما غاص في البحر علقت بلحيته كل الحيتان رغماً عنه ، لأن لحيته متدلية شاء أو أبى ، فيصبح منقاداً إلى أسفل ، ممّا يؤدي إلى هلاكه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

السخرية من الجوانب المعنوية في ذات الإنسان وحياته

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

1- السخرية من ضيق الحال:

اهتمّ شعراء الكدية بتصوير مشاعر الطبقات الفقيرة البائسة التي لم تخرج اهتماماتها في الحياة عن توفير لقمة العيش ، وما يتّصل بها من أمور بسيطة ، وخير مَنْ يمثّل هذه الطبقة أبو فرعون الساسي([1]) ، وله غير قطعة يصوّر فيها بؤسه، وبؤس أولاده الذين يعيشون حياة صعبة ، لا يجدون فيها طعاماً أو لباساً . ويعرض حاله بأسلوبٍ ساخر ، يثير في نفس القارئ الضحك والإشفاق معاً يقول: [(2)]

ليس إغلاقي لبابي أنَّ لي ... فيه ما أخشى عليه السَّرِقا
إنّما أغلقُهُ كي لا يرى ... سوءَ حالي من يَمُرُّ الطُّرُقا
منزلٌ داخِلُهُ الفقرُ فلو ... دخلَ السارقُ فيه سُرقا

فأبو فرعون الساسي يداري نفسه عن النّاس حتّى لا يروا بيته الذي يخلو من الطّعام والشراب ، ومن أقلّ ما يملكه البسطاء ، ويسوّغ سبب إغلاق بيته بأنه ليس فيه ما يُغري بالسرقة ، و نلمح سخريته في قلب الحال ، فلو دخل السارق بيته، لطمع أهل بيته في سرقته .

ومن الشعراء الذين صوّروا ضيق الحياة وقسوتها أيضاً أبو الشمقمق[3]، فيروى أنّ أحد إخوانه دخل عليه يوماً فرأى سوء حاله ، فأراد أنْ يخفّف عنه ما هو فيه ،

([1]) هو عدي بن الرباب من تميم ، واسمه شويش، وكنيته أبو فرعون، أحد شعراء الطبقة الفقيرة.
انظر طبقات ابن المعتز، ص 376،شوقي ضيف: العصر العباسي الأول ، ص435 0حسين عطوان : شعراء الشّعب، ص75-80، نفسه:الشعراء الصعليك في العصر العباسي الأوّل،ص116.

([2]) طبقات ابن المعتز ،ص376 .

([3])أبو الشمقمق: هو مروان بن محمد، ويكنّى أبا محمد، وأبو الشّمقمق لقب، والشّمقمق الطّويل، وهو مولى بني أميّة، كان خفيف العثون، عظيم الأنف، منكر المنظر، غير جيّد الشّعر على إكثاره فيه، هجا كثيراً من متقدّمي زمانه منهم، بشار وأبي العتاهية ومروان بن أبي حفصة وأبي نواس. وهجا يحيى بن خالد البرمكي.
انظر: المرزباني، معجم الشّعراء، ص319،ا شوقي ضيف :العصر العباسي الأوّل،ص436-440.،حسين عطوان : الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأوّل،ص93،92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال له : أبشر أبا الشمقمق ، فإنه رُوي في بعض الحديث أنّ العارين في الدنيا هم الكاسونَ يوم القيامة ، فقال ساخراً : إنْ كان والله ما تقول حقّاً لأكوننّ بزّازاً يوم القيامة ، ثم أنشأ يقول [1]:

أنا في حالٍ تعالى اللـ ـهُ ربّي أيِّ حالِ
ليس لي شيءٌ إذا قيـ ـلَ لمن ذا؟ قلتُ : ذا لي
ولقد أهْزِلتُ حتّى محتِ الشمسُ خيالي
ولقد أفلستُ حتىّ حلّ أكلي لعيالي
من رأى شيئاً محالاً فأنا عينُ المحالِ

فهو يصوّر بأسلوبه السّاخر حالته التي وصل إليها ، ويذكر أنه لا يملك شيئاً يُنسْب إليه ، أو يُرَدُّ إلى اسمه ، ليس هذا فحسب ، بل افتقر بيته إلى أدنى ما يملكه الإنسانُ من طعامٍ و شراب ، حتى أصبح نحيفاً ، لا يكاد يظهر خياله ، وإذ هو على هذه الحالة ، يجعل أكله محلّلاً لعياله ، لأنّه لم يستطع أنْ يُوفّر لهم ما ينقذهم من الموت . وله أشعارٌ كثيرة يصوّر فيها فقره وإقلاله ، وأنّه لا يقتني حتى ما يكسو به السّرير الذي ينام عليه ، ولا يملك من المتاع إلاّ حصيرة وبعض الأشياء البسيطة ، ومنها قوله [2]:

لو قد رأيْتَ سريري كنتَ ترحمُني اللهُ يعلمُ ما لي فيه تلبيسُ [3]
والله يعلمُ ما لي فيه شابكةٌ إلا الحصيرةُ والأطمارُ والدّيسُ [4]

ويشتاق لرائحة الخمر ، ويرى أنّها تأخذ عقل الحليم وتتركه شاردا" يقول [1]:

---

[1] غوستاف فون غرباوم : شعراء عباسيون ، ص 146 .
[2] المصدر نفسه : ص 141 .
[3] يريد بالتلبيس : ما يكسو به السّرير من الحشية والملاءة.
[4] الشابكة : ما يُضمّ بعضها إلى بعض .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عادَ أبــو الــشمقمقُ فــي الخَــسَارهْ وصـــبا وحَـــنَّ إلـــى زُرارهْ
مـــن بَعْـــدِ مـــا قِيـــلَ ارْعَـــوى وصَـــحَا لأبـــوابِ الـــشّطّارهْ
مـــــن قهـــــوةٍ مـــــسكيّةٍ واللـــــونُ مثـــــلُ الجُلّنّـــــارهْ
تـــــدعُ الحلـــــيمَ بـــــلا نهـــــىً حيـــرانَ لـــيس بـــه إحـــارهْ

ويشكو في موطنٍ آخر افتقاره لدابّةٍ يركبها ، ويقارن حاله بحال غيره، فغيره عند الرّحيل يقرّب إليه دابّته ، في حين يقرّب إليه نعله ، ويبدو أنّ هذا المطلب مـــن الأماني الصعبة عند هذه الفئة من المجتمع ، يقول [2] :

أترانـــي أرى مـــن الـــدّهر يومـــاً لِيَ فيـــهِ مطيّـــةٌ غيـــرُ رجلـــي
وإذا كنـــتُ فـــي جميـــعٍ فقـــالوا قرِّبُـــوا للرّحيـــلِ قرّبـــتُ نَعْلـــي
حيثمـــا كُنْـــتُ لا أخلِّـــفُ رَحْـــلاً من رآني فقـــد رآنـــي ورَحْلـــي

إنّها نوع من المفارقة التي تقوم على التّفاعل بينَ الشّاعر والمتلقّـي، لكنّهـا تنحصرُ في إطارٍ ضيّق، لا يتعدّى مقصد الشّاعر وهدفه، لوجود قـرائن المفارقـة اللفظيّة ومراميها، التي توحي بذلك.

ويشكر أبو الشمقمق الله عزّ وجل على سوء حاله راجيا فرجا من عنـده ، فيقول [3] :

الحمـــــــدُ لله شـــــــكراً أمـــشي ويركـــبُ غيـــري
قـــد كنـــتُ آمُـــلُ طِرْفـــاً فـــصِرتُ أرضـــى بِعَيْـــرِ
لـــم تـــرضَ نفـــسي بهـــذا يـــا ربِّ منـــك لخيـــرِ

---

[1] غوستاف فون : شعراء عباسيون ، ص 139 .

[2] غوستاف فون : شعراء عباسيون ، ص 145 .

[3] البيهقي: المحاسن والمساوئ ، ص 278 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقف مرِاراً ليصوّر سوء حظّه ، وحالة العدم التي تلازمه ، فكــأنّ الأرزاق تهرب من أمامه ، حتى ليجفّ البحر الذي يخوضه ، ويستحيل الدرُّ في يده حــصىً وزجاجاً ، ويصبح الماء العذب ملحاً لا يسوغ شرابه ، وهذه المعاني تدلّ على حالة نفسية يائسة يقول [1] :

لــو ركبــتُ البحــارَ صــارتْ فجاجــاً ... لا تــــرى فـــي متونهـــا أمواجـــاً
فلــو أنّــي وضــعتُ ياقوتــةً حَمْــــ ... ــراءَ فــي راحتــي لــصارتْ زجاجــا
ولـــو أنّـــي وَرَدْتُ عَـــذْباً فراتـــاً ... عــادَ لا شــكَّ فيــه مِلحــاً أُجاجــا

ويقول أيضاً [2] :

بــرزتُ مــن المنــازلِ والقبــابِ ... فلم يَعْسُرْ علــى أحــدٍ حجــابي
فمنزلــي الفــضاءُ وســقفُ بيتــي ... ســماءُ الله أو قِطَــعُ الــسّحابِ
فأنْــتَ إذا أردْتَ دَخَلْــتَ بيتــي ... عليّ مُــسلّماً مــن غيــرِ بــابِ
لأنّــي لــم أجِــدْ مِــصْراعَ بــابٍ ... يكونُ من السَّحابِ إلــى التّــرابِ
وَلاَ خِفْــتُ الإبــاق علــى عبيــدي ... ولا خفْتُ الهلاكَ على دوابــي [3]
ولا حاســبتُ يومــاً قهرمــاني ... محاسبةً فأُغلِظُ في الحــسابِ [4]

ولم تكن حال هذا الشاعر تخفى على أحد ، فهو وإن لم يَقُلْ شيئاً ، فإنَّ منزله خيرُ معبِّر عن ذلك . وقد ترك للناس أن يتعرفوا إلى بيته ، من خلال ذكر ملامح لا توجد في بيوت الآخرين ، ويوصلهم في نهاية الأمر إلى الفضاء الرّحب الذي يشاركه في ملكيته كُلّ البشر ، وليس بوسع أبي الشمقمق أن يضع له باباً يبدأ بالسماء وينتهي بالأرض ، ولهذا فإنّ في استطاعة النّاسِ جميعهم الدّخول إليه ، والخروج منه متــى

---

[1] غوستاف فون: شعراء عباسيون ، ص 132 .

[2] المصدر نفسه ، ص 131 .

[3] الإباق : الهرب .

[4] القهرمان : القائم بشؤون النفقة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شاءوا . ويذكر أنه لا يملك العبيد والدّواب ، ولا القيّم بشؤون النفقة ليحاسبه ويقف على عمله . وما أراده الشاعر من خلال هذه النقله ، لم يكن التعبير عن سوء حاله وحسب ، إذ لا حاجة لأنْ يقول: إنّه لا يمتلك الدّواب والعبيد والقهرمان بعد أنْ ذكر أنّه لا يملك حتّى بيتاً يأوي إليه ، لكنّه أراد أنْ يعقد مقارنةً ساخرةً ليعبّر بها عن سخطه على الوضع الذي يعيشه المجتمع في ذلك العصر . ففي حين لا يملك أبو الشمقمق شيئاً يملك غيره العبيد والقهرمان . وهو إذ يصور مسغبة عياله ، إنّما يصوّر مسغبة الطبقة العامّة في بغداد التي كانت تكدحُ لتملأ الطبقة المترفة بطونها ، يقول [1] :

ما جمع النّاسُ لدنياهُمُ ... أنفع في البيتِ من الخُبْزِ
والخبزُ باللّحمِ إذا نِلْتَهُ ... فأنْتَ في أمْنٍ من التَّرْزِ [2]
وقد دنا الفِطْرُ وصبيانُنا ... ليسوا بذي تمْرٍ ولا أُرْزِ
وذاك أنّ الدّهرَ عاداهُمُ ... عداوة الشاهينِ للْوَزِّ
كانت لهم عنزٌ فأودِيْ بها ... وأجدبوا من لبنِ العنْزِ
فلو رأوا خُبْزاً على شاهقٍ ... لأسرعوا للخبزِ بالجمزِ [3]
ولو أطاقوا القفْز ما فاتَهُمْ ... وكيف للجائعِ بالقفزِ

فأحلامه تبدأ من الخبز وتنتهي باللّحم ، ويعد الخبز واللحم سبيل الأمن من الهلاك له ولعياله، ومع ذلك لم تتحقق أمانيه ، فعياله انتظروا وقت الإفطار ، وليس أمامهم ما عند غيرهم من الأرز والتمر ، وقد وقف الشاعر على أهمّ المناسبات في حياة الأطفال ، وهي شهر رمضان ، ليُحرك إحساساً بالمشاركة الوجدانية ، وعلى

---

[1] غوستاف فون غرباوم : شعراء عباسيون ، ص 140 .

[2] الترز : الهلاك .

[3] الجمز : القفز .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرغم من الحزن الذي تثيره هذه الصورة ، إلاّ أنّها تشتمل على سخرية واضحة من الحياة التي لم تعطهم أبسط الأشياء .

ويبالغ أبو الشمقمق في التعبير عن سوء معيشته ، فيجعل شراب أولاده بول الحمير ، وهذه من المبالغات المؤذية ، يقول [1] :

إنَّ العيالَ تركتُهُمْ بالمِصْرِ خبزهُمُ العُصارهْ
وشرابُهم بولُ الحما رِ مِزاجُهُ بولُ الحمارهْ
ضجّوا : فقلتُ تصبّروا فالنُّجحُ يُقْرَنُ بالصّبارهْ

ويكثرُ حديثه عن البراغيث ولدغها لجسده ،وهذا مظهر آخر من مظاهر معاناته ، ومما قاله في ذلك [2]:

يا طولَ يومي وطولَ ليلتهِ فلَيَهْنَ برغوثُهُ بِجَذْلَتِهِ
قد عَقَدَتْ بندَها على جسدي واجتهدتْ في اقتسام جُمْلَتهِ

فالبراغيث تحاول اقتسام جسده ، وكأنّه قطعة أرض اخْتُلِفَ فيها ، فأصبحت مشاعاً، وهذا نوع من العبث بالذات التي تتحكم فيها الأقدار ولا ترحمها ،حتّى هانت على البرغوث فانتصر عليها.

ويصف الجرذان التي تعبث في بيته باحثةً عن طعام ، فتهيم على وجهها بعد أن تيأس منه ومن طعامه ، لتبحث عن غذائها في مكان آخر ، ولا يبقى معه سوى السّنور أو الهر ، فيرتدّ إلى نفسه حزيناً باكياً عندما لا يجدّ الفأر الذي اعتاد صيده ، يقول [3] :

ولقد قلت حين أحجرني البر د كما تُحجِر الكلابُ ثُعالهْ [4]

---

[1] غوستاف فون : شعراء عباسيون ، ص 140 .

[2] المصدر نفسه ، ص 132 .

[3] المصدر نفسه ، ص 149 .

[4] أحجره : أدخله في الحجر ؛ ثُعاله : الثعلب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مبيتٍ مــن الغــضارة قفــرٍ ... ليس فيــه إلا النَــوى والنَّخالــهْ [1]
عطّلَته الجُرذانُ مِن قلّــة الخيــــ ... ـرِ وطارَ الــذّبابُ نحــو زُبالَــه [2]
هاربات منه إلــى كــلّ خــصبٍ ... حينَ لــم يــرتجين منــه بُلالــهْ [3]
وأقــامَ الــسّنورُ فيــه بــشرٍ ... يــسأل الله ذا العــلا والجَلالــهْ
قلتُ لّمــا رأيتــه نــاكس الــرّأ ... س كئيباً يمــشي علــى شــرّ حالــهْ
ويكَ صبراً فأنتَ رأسُ الــسنانيــ ... ـرِ، وعلّلْتُــــه بحــــسنِ مقَالَــــهْ
قالَ : لا صبرَ لي، وكيفَ مقامي ... فــي قِفــارٍ كمثــل بيــدِ تبالَــه [4]
ثــمّ ولّــى كأنّــه شــيخُ ســوءٍ ... أخرجــوه مــن مَحــبسٍ بكفالَــهْ

ولا يملّ أبو الشّمقمق من تكرار هذه المعاني، لأنّ الجوعَ يلحّ عليــه وعلــى عياله فينسيه غيرها، وتصبحُ هذه الكلمات زفرات يخرجها باستمرار يقول: [5] .

ولقــد قلــتُ حــينَ أقفــرَ بيتــي ... مــن جــراب الــدّقيق والفَخــارهْ
ولقــد كــانَ آهــلاً غيــرَ قفــرٍ ... مُخْــصِباً خيــرُه كثيــرَ العمــارَهْ
فــأرى الفــار قــد تخــبّنَ بيتــي ... عائــذاتٍ منــه بــدار الإمــارَه
ودعــا بالرّحيــلِ ذبّــانَ بيتــي ... بــينَ مقــصوصةٍ إلــى طيّــارَه
وأقامَ الــسِّنورُ فــي البيــتِ حــولاً ... ما يرَى في جوانــب البيــتِ فــارَه
ينفضُ الرّأس منه مــن شــدّة الجــو ... ع وعــيشٍ فيــه أذىً ومــراره

([1]) زُباله : موضع في صحراء الكوفة.
([2]) بُلالة العيش: ما يسد الرمق.
([3]) تباله : مواضع لعرب الطائف على طريق اليمن من مكة، وهي لبني مازن.
انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، باب التاء، والباء.
([4]) غوستاف فون : شعراء عباسيون ، ص138.
[5] البيهقي : المحاسن والمساؤى ، ص 278 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شعراء الطبقة الفقيرة ، أبو هفّان ، فقد ثار على قسوةِ الحياة ، وطبيعتها التي أعطت من لا يستحق، وتركت من هم أهل لذلك ، يقول [1]:

كـــم مِـــنْ حمـــارٍ علـــى جـــوادٍ ومِـــنْ جـــوادٍ بـــلا حمـــار

ولم تكن الطبقة الفقيرة تظفر مع كدحها المتصل بشيء ، بل ظلّـت تعـاني ، ومن بين شعرائها الحمدوني ([2]) الذي كان شديد الإحساس بالمفارقات الصارخة التي تميّز الطبقات المترفة عن الفقيرة [3] ، ومما قاله [4] :

مَـنْ كـانَ فـي الـدّنيا لـه شـارةٌ فـنحنُ مـن نظّـارةِ الـدّنيا
نَرمُقُهـا مـن كَثـبٍ حـسرةً كأننـا لفـظٌ بـلا معنـى

ويشكو في موطنٍ آخر عريه ، فهو لا يملك حذاءً ينعله ، في حين يرى غيره يعتلي الخيول ، يقول [5]:

تـسامى الرّجـالُ علـى خـيلهمْ وَرِجْلـي مـن بيـنهم حافيـهْ
فـإنْ كُنـتَ حامِلنـا ربَّنـا وإلاَّ فأرجِـلْ بنـي الزّانيـهْ

وتعدّ قدرات القارئ عنصراً أساسياً في تأويل هذا الـصّنف مِـن الـسّخرية والوصول إلى مدلولاته المباشرة والضّمنيّة، ويتحقق ذلك بمعرفة المعـايير الأدبيـة والبلاغيّة، والتّقاليد الفنيّة، والقيم الجمالية، فضلاً عن معرفة بالسّياق الشعري. فنلحظ

([2]) الحمدوني: هو إسماعيل بن إبراهيم بن حمدويه ، أبو عليّ الحمدوني، وجده حمدويه، صاحب الزنادقة في عهد الرشيد، وهو مصريّ مليح الشعر، حسن التضمين.
الكتبي: فوات الوفيات، ج1 ص24،وانظر حسين عطوان:شعراء الشعب،ص86 وما بعدها ،نفسه : الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأوّل ،ص68.

[3] انظر حسين عطوان : شعراء الشعب في العصر العباسي الأول ، ص 86 .

[4] الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب ، ج 1 ، ص 513 .

([5]) البيهقي : المحاسن والمساوئ ، ص 278 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السخرية هنا على مستوى مقاطع نصيّة، تتيح للساخر بناء الدّلالة السّاخرة، وهذا يؤكد أنّ السخرية ليس لها تحديد نهائي داخل اللغة، ولكنها تستمدّ دلالتها من عمليّة القول وسياقه.

ولم يستطع بعض الشعراء أن يملكوا أنفسهم أمام هذا الوضع ، فوَجّهوا سهام نقدهم بأسلوب مباشر إلى الأمراء والمترفين[1]. فهذا ابن الطبيب([2]) قصد الحسن بن سهل ، وزير المأمون ، لكنه صدّه وخيّب أمله ، فارتد غاضباً وسخر منه في قوله [3]:

بابُ الأميرِ عرَاءٌ ما به أحدٌ ... إلاّ امرؤٌ واضِعٌ كفّاً على ذَقَنِ
قالتْ وقد أمَّلَتْ ما كُنتُ آمُلُه ... هذا الأميرُ ابنُ سهلٍ حاتمُ اليمنِ
إنَّ الرّجاء الذي قد كُنْتُ آمُلُه ... وَضعتُهُ ورَجاءَ الناسِ في كَفَنِ
في الله مِنهُ وجَدوى كَفِّهِ خَلَفٌ ... ليسَ السَّدى والنَّدى في راحةِ الحَسَنِ

فهذا النّص يحيلنا إلى مدلول معجمي واضح قائم على مستوى لغوي واحد، يرتبط بوجود دال مباشر، مما يجعل سخرية الشّاعر سطحيّة لا ترقى إلى مستوى التّحليل والرّبط، وهذا من شأنه أحياناً إضعاف الصّلة بين النص والمتذوق.

---

(1) انظر حسين عطوان : شعراء الشعب ، ص 86 .

(2) ابن الطبيب: هو إسحاق بن خلف ، كان رجلاً شأنه الفتوة، ومعاشرة الشطار، والتصيد بالكلاب، وكان أحسن الناس إنشاداً، وكأنه يتغنى في إنشاده.

الكتبي: فوات الوفيات، ج1 ص16.

(3) المبّرد : الكامل ، ج2 ، ص 23 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

2- السخرية من البخل والبخلاء .

إنَّ السخرية من البخل تناقض الفخرَ بالجودِ الذي تعوّده العرب ، ولم يمدحوا بمثله ، حتّى إنّهم عُرفوا بنار القرى [1] لذلك كانت بعض كتب النقد القديمة ، تجعله والمديح في باب واحد ، تحت اسم باب الأضياف والمديح ، كما فعل أبو تمام في حماسته ، والهجاء بالبخل قديمٌ أيضاً ، لا بدّ أنه واكب المدح بالجود، ولم يكن الشاعر الجاهلي والإسلامي ، يتجاوز في هجائه بالبخل معاني محددة ، تعتمد أساساً على نقض معاني الجود المألوفة [2] .

ولعل كتاب البخلاء للجاحظ من أهم المصادر التي أتت على تصوير هذه الصفة فقد وردت فيه عشرات من القصص التي تصور بأسلوب متهكم بخل أهل مرو وخراسان، وبخل من اشتهر من العرب بالحرص على جمع المال . وتشكل هذه القصص مصدرا خصبا لدراسة المجتمعات وعاداتها ،وطبائعها وأحزانها ،ومما قيل في أهل مرو على سبيل السخرية [3] :

مياسيرُ مَروٍ من يجودُ لضيفهِ ... بكَرْشٍ فقد أمسى نظيرا لحاتمِ
ومن رش باب الدار منهم بغَرْفَةٍ ... فقد كملتْ فيه خصالُ المكارمِ
يسمّون بطنَ الشّاة طاووسَ عُرْسِهِمْ ... وعند طبيخ اللحم ضَرْبُ الجماجمِ
فلا قدّس الرحمنُ أرضا وبلدةً ... طواويسهُمُ فيها بطونُ البهائمِ

---

[1] نار القرى : هي نار الضيافة ، توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل وكانوا يوقدونها على الأماكن المرتفعة لتكون أشهر ، وربما أوقدوها بالمنديل الرطب ، وهو عطر ينسب إلى مندل ، وهي بلدة من بلاد الهند ونحوه مما يتبخّر به ليهتدي إليه العميان ، وهذه النار عندهم أجلّ سائر نيرانهم .

انظر الآلوسي :بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج 1 ، ص 69 ، 70 .

[2] حسين خريس : حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه ، ج2 ، ص 189 .

[3] الجاحظ : البخلاء ، ص 281 ، 282 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاءت سخرية هذا الشاعر المجهول من أهل مرو في حديثه عــن طبيعــة كرمهم ،فهي في أقصى حالاتها لا تصل إلى أكثر من الجود بكرش الشاة ،وإن بلغت هذا الحد فقد وصلوا إلى منزلة حاتم الطائي ، ولذلك لا يؤمِّلُ منهم أكثر من هذا .

وقد دفع ضيق الحياة الفقراء إلى النظر في أموال الخلفاء والأمراء والأغنياء وسؤالهم، وأصيب كثيرٌ منهم بخيبة أمل ،وارتدّ غاضباً ، وعبّر عن سخطه بالهجاء الساخر ومن الخلفاء الذين سخر الشعراء من بخلهم الخليفة المنصور ، إذ يروى عن الأصمعي أَنه قال[1]: لقي المنصور أعرابيا بالشام ،فقال : " أحمد الله يا أعرابي الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت ، فقال الأعرابي :إن الله لا يجمع علينا حشفا وسوء كيـــــل ، ولايتكم والطاعون" ، وقال العسكري:كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك في بني أمية في بخله ، رأى بعضهم عليه قميصا مرقوعا ،فقال :سبحان من ابتلى أبا جعفر بالفقر في ملكه ، وحدا به سلم الخاسر [2] فطرب حتى كاد يسقط من الراحلة ، فأجازه بنصف درهم ،فقال :لقد حدوت بهشام فأجازني بعــشرة آلاف. فقال : ما كان له أنْ يعطيك من بيت المال يا ربيع 000 فما زالوا حتى تركه علــى أنْ يحدوَ به ذهاباً وإياباً بغير شيء".

ويروى أنّ المنصور ألزم رعيتة أن تلبس القلانس الطوال وكانوا يعملونهــا بالقصب والورق – فعبّر أبو دلامة عن استيائة من هذه الخطوة ،إذ كان هو وغيــره من الشعراء ينتظرون من الخليفة الجديد زيادة في العطاء لا زيادة في طول القلانس، يقول ساخراً [3] :

وكُنّــا نرجّــي مــن إمــامٍ زيــادةً فزاد الإمامُ المصطفى في القلانــسِ

---

[1] السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 265 .

[2] هو سلم بنُ عمرو مولى بني تيْم بنِ مُرّة ، ثم مولى أبي بكر الصديق ، رضوان الله عليهم ، شاعر مطبوع متصرّف في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار وتلميذه ، وعنه أخذ ، وعلى نمطه ومذهبه قال الشعر ، وسبب تلقيبه الخاسر ، قيل : لأنه ورث من أبيه مصحفاً ، فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : بل خلّف أبوه مالاً فأنفقهُ على الأدب والشعر ، وقال بعض أهله : إنك لخاسر الصفقة . فلقّب بذلك . انظر الأغاني ، ج19، ص173، انظر ترجمته في شوقي ضيف: العصر العباسي الأوّل،ص301-305.

[3] ديوان أبي دلامة ، ص 75 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تراها علـــى هـــامِ الرّجـــالِ كأنّهـــا دِنـــانُ يهـــودٍ جُلِّلـــت بـــالبرانسِ

وهذا نوع من السخرية النّاجحة التي تتحقق بوساطة قليل من المؤشرات فتكون أكثر تأثيراً.

ووقفوا في سخريتهم على مظاهر البخل بشتى أشكالها ، فسخروا من بخـــلاء المجتمع بجميع فئاته . فهذا اسماعيل بن عمّار [1] يصوّر بخل جارٍ له كان يزعجه ، بقوله [2]:

من كانَ يحسُدني جـــاري ويغبطنـــي من الأنامِ بعثمـــانَ بـــنِ درباسِ
جارٌ لـــه بـــابٌ ســـاجٍ مُغَلَّـــقٌ أبـــداً عليه من داخلٍ حُرّاسُ أحراسِ [3]
عبـــدٌ وعبـــدٌ وبنتـــاهُ وخادِمُـــه يدعون مثلَهمُ ما ليس من ناسِ [4]
صُفْرُ الوجوهِ كأنَّ الـــسُّلَّ خـــامَرَهُمْ وما بهم غَيْرَ جَهْدِ الجوعِ من باسِ
لـــه بنـــونٌ كأطْبـــاءٍ مُعَلَّقـــةٍ في بطن خنزيرةٍ في دار كُنّاسِ [5]
إنْ يُفْتَحُ البابُ عَـــنْهم بعـــد عاشـــرةٍ تظنُّهم خرجوا من قعْرِ أرماسِ [6]

فأبناؤه أهزلهم تقتيره بالطّعام ، فظهروا شاحبين كـــأنّهم مـــصابون بالـــسُّل ، واسترخت أجسامهم ، فكأنّهم حلماتٌ مسترخية ، متجعدة لخنزيرةٍ جائعة ، وشـــاهت خلقتهم ، فكأنّهم موتى خارجون من القبور [7].

([1]) شاعر مخضرم ، عاش في العصر العباسي والأموي ، كان له جار يسمى عثمان بن درباس فكان يؤذيه ، ويسعى به إلى السلطان في كل حال ، ثم سعى به أنه يذهب مذهب الشراة (الخوارج) فأخُذ وحبس. انظر الأغاني ، ج 11 ، 255 ، 256 .

([2]) الأصفهاني : الأغاني : ج 11 ، ص 255 ، 256 .

([3]) السّاج : ضرب من الشجر ينبت ببلاد الهند ويعظم جداً ، وخشبه أسود رزين ، لا تكاد الأرض تبليه.

([4]) يريد أن الحرس يستعينون بمثلهم من الكلاب عدداً .

([5]) الأطْباء : حلمات الضرع لذي الخفّ والظّلق والحافر ، والسبع ،واحدها طبي (بالكسر والضم) .

([6]) الأرماس : القبور

([7]) انظر حسين عطوان : الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ص339.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصوّر بشار بن برد الهمَّ والألم الذي يغشى ابنَ قزعة البخيل ، إذا ما طرق بابه محتاجٌ ، فهو يتجهّم ويحزن ، ولكنه يتحاشى هذا الموقف فيُبقي بابه مغلقاً ، ولا يستطيع صاحب الحاجة لقاءه إلاّ إذا تربّص به وكمن له، يقول [1]:

ولا تبْخلا بُخْـلَ ابـنِ قزعـةَ إنّـهُ مخافةَ أنْ يُرجى نداه حـزينُ
إذا جئتَهُ فـي الخلـق أغلـقَ بابَـهُ فلـم تلقـهُ إلاّ وأنـتَ كمـينُ

وسخر بشار من بخل آل سليمان بن علي ([2])، فجعـل دينـارهم ودرهمهـم عزيزين لا تُرجى رؤيتهما أو لقاؤهما ، لأنهما حُفّا بالعفاريت ، كما هي الحال عنـد الملكين هاروت وماروت ، نسمع بهما ولا يمكن أن نراهما ، يقول [3]:

دينـارُ آلِ سـليمانٍ ودرهَمُهـم كالبـابليّين حُفّـا بالعفاريـتِ [4]
لا يُبـصْرانِ ولا يُرجـى لقاؤهمـا كما سمعتَ بهـاروتٍ ومـاروتِ [5]

([1]) ديوان بشار بن برد ، ج4، ص233 ،234 .

([2]) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي، أحد أعمام السفاح والمنصور، ولد سنة اثنتين وثمانين، وتوفي سنة اثنتين وأربعين ومائة.

الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص362.

([3]) الأصفهاني : الأغاني : ج 3 ، ص 174 .

([4]) نسبة إلى ناحية من الكوفة .

([5]) هاروت وماروت : ملكان وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في سورة البقرة في آية (102) في قوله تعالى (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)

يروى أن المهدي لّما ضرب بشاراً بعث إلى منزله من يفتشه ، وكان يتهم بالزندقة ، فوجد في منزله طوماراً يوضّح أنه أراد هجاء آل سليمان ابن علي لبخلهم ، فأمسك عن ذلك إجلالاً للرسول عليه السلام ، لأنهم يتصلون به بصلة القرابة ، على أنه قرأ فيهم البيتين السابقين ، ولمّا قرأ المهدي ما كتبه بكى وندم على قتله.

انظر الاغاني : ج 3 ، ص 174 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويواصل سخريته فيصوّر مظهراً آخر من مظاهر البخل ، إذ يأتي على أضحية أهديت له ، فيقدّمها بصورةٍ فريدة ، يحمّلها ملامح تجعلها عديمة الفائدة ، ليقلّل من شأنها ، ويصل إلى بخل صاحبها ، يقول [1]:

وهبتَ لنا يا فتى مِنْقَرٍ ... وعجْلٍ ، وأكرمَهم أوّلا
وأبسَطَهم راحةً في النّدى ... وأرفَعَهُم ذروةً في العلا
عجوزاً قد أوردها عمرها ... وأسكنَها الدّهرُ دار البِلى
سلوحاً تَوهَمْتُ أنّ الرِّعا ... ءَ سقوها – ليُسْهِلها الحنظلا
فلو تأكل الزُّبد بالنِّرسيان ... وتدَّمِجُ المسك والمَنْدلا[2]
لما طيّب الله أرواحها ... ولا بَلَّ من عظمها الأنحلا
وضعتُ يميني على ظهرها ... فخلتُ‘ حراقِفها جَنْدلا
وأهوتْ شِمالي لعرقُوبها ... فخِلتُ عراقبَها مِغزلا
فقلتُ : أبيعُ ! فلا مشرباً ... أرَجِّي لديها ، ولا مأكلا!!
أم اشوي وأطبخُ من لحمها ... وأطيبُ من ذاك مضغُ السلا
إذا ما أمِرَّت على مجلسٍ ... من العجبِ سبحَّ أو هلَّلا
رأوا آيةً خلفها سائق ... يحثُّ وإنْ هرولْتْ هَرْولا
وكنت أمرتَ بها ضخمةً ... بلحمٍ ، وشحمٍ قد استكملا
ولكنَّ رَوْحاً عدا طَوْرَهُ ... وما كنتُ أحسبُ أن يفعلا
ولولا مكانكَ قلدْتُهُ ... علاطاً ، وأنشقته الخردلا
فجاءتك حتّى ترى حالها ... فتعلم أنّي بها مُبتلى!!
سألتُكَ لحماً لصبياننا ... فقد زدتني بها عَيِّلا
فخذها ، وأنت بنا محسِنٌ ... وما زِلْتَ بي محسناً مُجْمِلا

([1]) ديوان بشار بن برد ، ج4،ص153 –155.

([2]) النِّرسيان : جيد التمر ، وكان أهل العراق يضربونه بالزّبد ، ويعدونه أفخر طعام ، وهذا ما عناه الشاعر ، المندلا : عطر يُنسب إلى المندل ، وهي بلد في الهند .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد استهزأ بشار من كرم صاحبه في أضحيته العجفاء التي أرسلها إليه ، ونعتها بأوصافٍ مضحكة مثيرة للدهشة والغرابة ، فهي فريدة في صفاتها ، ولا تصلحُ لشيء فكان يؤمّل من صديقه أن يرسل إليه شيئاً من اللحم، فخيّب أمله، وبعث إليه ما يزيد فقره ، ولهذا يطالبه أن يستردها وهذا من كرمه وإحسانه مما يستحق عليه الشكر.

وعاب حماد عجرد ([1]) على صديقه حُريت بن أبي الصّلْت الحنفي بخله، وممّا قاله فيه [2]:

حُرَيثٌ أبو الفضْل ذو خِبْرةٍ بما يُصلِحُ المِعَدَ الفاسدة
تخوّفَ تُخمةَ أضيَافِهِ فعوّدهم أكلَةً واحدهْ

لقد ارتفع حماد في هذين البيتين إلى مستوىً عالٍ من التهكّم والاستهزاء ، فحوّل البخيل إلى طبيب ، خبيرٍ بالمِعَدِ ، فهو يهتمّ بصحّةِ ضيوفه ، ويتخوّف عليهم من التخمةِ ، ولذلك فهو لا يُطعمهم إلاّ مرّةً واحدة ، والمضحك هو هذا التلميح إلى الغاية الصحيّة من عمل هذا البخيل الذي يداري بخله ويستتر وراءه ، لكنّ طبعه يكشفه ويفضحه [3].ويهاجم حمّاد في موطن آخر محمد بن طلحة بقوله [4]:

زُرتُ امرأً في بيته مرةً له حياء وله خِيَرُ
يكْرهُ أنْ يُتْخِمَ أضيافه إنّ أذى التّخمة محذورُ
ويشتهي أن يؤجروا عنده بالصوم والصالح مأجورُ

([1]) هو حماد بن عمر من أهل الكوفة مولى لبني سواءة بن عامر بن صعصعة وكان معلما وشاعراً محسناً، وكانَ بالكوفة ثلاثة يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزِّبرقان النحوي، وكانوا يتنادمون ويتعاشرون وكأنهم نفس واحدة، ويرمون جميعاً بالزندقة.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص468،انظر شوقي ضيف: العصر العباسي الأوّل،ص386-389.

([2])ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص462 ، الأصفهاني : الأغاني ، ج 14 ، ص 479 .

([3]) انظر رياض قزيحة : الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي ص 294 .

([4]) ديوان أبي نواس ، ص 305 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكتسب سخرية أبي نواس قيمتها – بصفتها ظاهرة فنيّة – من وجود علائــق وأقوال لغوية ، وإشارات مرتبطة بالممارسة النّصية.

وينظر ابراهيم بن هرمة [1] في سلوك بخيلٍ عند استقباله للضيف في قوله [2]:

نكّـــسَ لمّـــا أتيـــتُ ســـائِله واعتلَّ تنكيس نــاظِمٍ الخــرزِ

وهذه الصورة تجعلنا نتمثل عدم توقّع البخيل لضيفه ، فلا يمتلك إلاّ أنْ يخفض رأسه ، متجاهلاً إياه ، غير راغبٍ فيه ، وحالته هذه شبيهة بحالة ناظم الخرز الذي لا يرفع رأسه أبداً . ومن سخريته أيضاً قوله [3]:

وإنّك إذ أطعمتنــي مِنْــكَ بالرّضــا وأيأستني من بعد ذلك بالغضبْ

كمُمْكنةٍ من ضِــرْعها كــفّ حالــبٍ ودافقةٍ من بعد ذلك مــا حلــبْ

فهو وإن أطعم ضيفه برضاه ، فإنَّ تجهّمه وغضبه أفسدا الضيافة ، مثله فــي ذلك مَثَل الشاة التي تسمح بحلبها ، لكن ما أنْ تلبث حتى تضرب برجلها إناء الحليب، فيذهب الحليب في الأرض ، فلا يُنتفعُ به .

ويكثر أبو الشمقمق من ملاحقة البخلاء وتصوير ما يظهر من تصرفاتهم ، وما تخفيه نفوسهم من مشاعر وأحاسيس، فمن صوره اللطيفة أنه جعل من كفي مهجــوّه قُفْلاً ، ولتأكيد شدّة بخله ، أضاع المفتاح ، وأوصلَ الحدّاد إلى حالة من اليأس فــي إصلاح الأمر، ليؤكّد أنّه لا أمل يُرجى من هذا البخيل ، يقول [4]:

([1]) هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل ، ينتهي نسبة بقبيلة (فِهْر) وهي أصل قريش . ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص453، الأغاني ، ج 4،ص 508.

([2]) شعر إبراهيم بن هرمة القرشي ، ص 134 .

([3]) شعر إبراهيم بن هرمة القرشي ، ص 64 .

([4]) غوستاف غون : شعراء عباسيون : ص 154 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كفـــاهُ قُفْـــلٌ ضـــاعَ مفتاحُـــهُ قد يَئِسَ الحَـدّادُ مـن فَتْحـهِ

ويصر على احتجاب ابن البخْتكان ([1])عن الناس حتى لا يقربه أحد ، فيؤاكله ويقف على بابه حاجبٌ مات هُزْلاً بسبب الجوع ومن أجل إكمال الصورة الساخرة المضحكة أشركَ أبو الشمقمق النّاس في إتمامها ، فهم يسألون من القادم؟ فيقال: لاحد، ومن الواقف أمام الباب ؟ فيقال: الحاجب ، وهذه المشاركة أضفت على الصورة حركةً وحيويّة ، بحيث يستطاع تخيلها بسهولة، يقول [(2)]:

وَمُحتَجـــبٍ والنّـــاسُ لا يقربونـــه وقد مات هُزْلاً من وراء الباب حاجِبُهْ
إذا قيل مـن ذا مُقـبلاً ، قيـل لاحـدٌ وإنْ قيل مـن ذا خَلْفَـهُ قيـل كاتبُـهْ

ويسخر أبو الشمقمق من بخل سعيد بن سلم ([3]) ، فمن يطلب عطاءه مثل مَن يطرق في حديدٍ باردٍ ، ويؤكد معنى العبث والاستحالة في تفصيله ، فهذا المهجو لو ملك كل البحار وطُلِبَ منه مقدار شربةٍ للطهور ، لرفض واقترح التيّمم بالصّعيد ، يقول [(4)]:

هيهاتَ تـضربُ فـي حديـدٍ بـاردٍ إنْ كُنْتَ تطمعُ في نوالِ سعيدِ
والله لـو ملـك البحـارَ بأسـرها وأتاهُ سَلْمٌ فـي زمـانِ مُـدُودِ
يبغيـه منهـا شَـرْبةً لطَهـورهِ لأبى ، وقال : تيمَّمنْ بـصعيدِ

([1]) هو نفسه داود بن بكر.

([2]) غوستاف فون غرباوم : شعراء عباسيون ص 132 .

([3]) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم أبو أمامه الباهلي البصري.

المرزباني: معجم الشعراء ص، 407.

([4]) المصدر نفسه ، ص 134

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقف على معاناة ضيف سعيد بن سَلْم ، فهو يتضور جوعاً ، وقد وجد على رغيفه عبارة (سيكفيكهم الله ما بدا ضوءُ نجم) ، فسعيد يريد أن يكتفي ضيفه بالتأمّل في ضوء النجم ، بجامع الشكل بين الرّغيف والنجم ، يقول [1]:

فانتهينـــا الـــى ســـعيد بـــن سَـــلْمٍ فإذا ضيفُه من الجوعِ يرمـــي
وإذا خبـــــزه عليـــــه سيكفيـــــــ ـــكَهُمُ اللهُ ما بدا ضَـــوْءُ نَجْـــمِ

ويطلب من عمر بن مساور ([2]) الكاتب أن يجود ولو بحجر ، ثم يفترض أنه جاد بحجر ، ليلاحقه بسخريته واستهزائه ، فإذا ما اجتمع الصبيان لكسر الجوز به ، كُسِرَ الحجرُ وبقي الجوز ، فحتّى حجره الذي قدّمه لم يكن ذا نَفْـــــع أو قيمـــة ، يقـــول [3] :

أنـــــا بـــــالأهوازِ جـــــارٌ لِعُمَـــــرْ لعظيمٍ زعموا ضَخْم الخطـــرْ
لا يُـــــرى منـــــه علينـــــا أثَـــــرٌ لا يكـــونُ الجـــودُ إلاّ بـــأثر
إنْ تكُـــن ورُقُـــك عنّـــا عجِـــزَتْ يا أبا حفصٍ فجُدْ لـــي بحجـــرْ
يكْـــسِرُ الجـــوْزَ بـــه صـــبيانُنا وإذا ما حَضَرَ اللَّـــوزُ كُـــسِرْ

ويصوّر بخل جعفر بن أبي زهير ، فيجعل الماء عنده سراباً ، وخبزه عزيزاً، لا تصل إليه الأيدي ، وكأنّه معلّق في السحّاب ، يقول [4]:

شرابُكَ فـــي الـــسّرابِ إذا عطـــشنا وخبزُكَ عند منقطـــعِ التّـــرابِ
رأيـــت الخبـــزَ عـــزَّ لـــديْكَ حتّـــى حسبتُ الخبزَ في جَوِّ السّحابِ
ومـــا روّحْتَنَـــا لِتَـــذبَّ عنَّـــا ولكنْ خِفْتَ مُرْزِئَـــةَ الـــذّبابِ

([1]) غوستاف فون غرباوم : شعراء عباسيون ، ص 150 .
([2]) هو أبو حفص الورّاق.
([3]) غوستاف فون: ص 135
([4]) المصدر نفسه : ص 131

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصبح الخبز عند أوفى بن منصور فاكهة عزّ مطلبها، فلا يرى عنده أبو الشمقمق شيئاً، ولهذا يحكم عليه أنه مغلول اليدين دائماً، يقول [1]:

ما كنتُ أحْسَبُ أنَّ الخبز فاكهةٌ حتى نزلتُ على أوفى بن منصورِ
يَبْسُ اليدينِ فما يسطيعُ بسطَهما كأنَّ كفّيه شدّا بالمساميرِ

ويأتي أبو الشمقمق بصورة مستوحاة من واقع الحياة عند غير الأسوياء من المجتمع ، فيشبه إعراض حارثة بن الأصم عن إكرامه بإعراض المرأة السيئة الخلق يقول [2]:

جئته زائراً فأعرضَ عنّي مِثْل إعراض قَحْبَةٍ سُوَسِيّة

ويتساءل في موضع آخر كيف يتسرب البخل إلى نفسية صاحبه ، ومن أين يتعلمه ، ويذكّر بكرم العربي ، وكأنّه يستنكر أنْ يكون البخلُ موجوداً في طباع العرب ، وهذا في قوله [3]:

لمّا سألتُكَ شيئاً أبْدَلْتَ رُشْداً بغيِّ
ممّن تعلّمت هذا أنْ لا تَجود بشيّ
أما مَررَتَ بعبدٍ لعبدِ حاتمِ طيِّ

ومن الشعراء من كان بخيلاً ، فوقع تحت ألسنة غيره ، فهذا مروان بن أبي حفصة ([4]) يهرب من ضيفه ، حتّى لا يكون مُلزماً بإطعامه ، وذكر الأصفهاني أنَّ

([1]) المصدر نفسه ، ص 136

([2])المصدر نفسه ،ص 153 .

([3]) غوستاف فون ، ص 152 .

([4]) مروان بن أبي حفصة، ويكنى أبا السِّمط: هو مولى مروان بن الحكم، وكان أعتق أباه، وقال مروان في ذلك:

بنو مروان قومي أعتقوني وكلّ الناس بعدُ لهم عبيدُ

ابن قتيبة: الشعر والشعراء ص46.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مروان "كان أبخل الناس وأشدّهم حرصاً" [1] وقد دفع موقف مروان بضيفه أن ذهب واشترى كل ما يحتاجه ، ثم رجع ، وكتب إلى مروان [2]:

يا تـــارك البيـــت علـــى الـــضـّيف وهاربـــاً مـــن شِـــدّةِ الخـــوْف
ضيفُكَ قـــد جـــاء بخـــــيرٍ لـــــه فارجعْ وكن ضيفاً على الضَيفِ
إذا اشتهى الـــضيف طبـــيخ الـــشتا أتـــاه بالـــشهوة فـــي الـــصّيفِ
وإن دنـــا المـــسكينُ مـــن بابـــــهِ شدّ علـــى المـــسكين بالـــسيفِ

إن المثير في هذه الأبيات أن معادلة الضيافة انقلبت عند هذا البخيل ، فأصبح ضيفاً على الضيف ، يُكرمه من ماله ، ويقوم على ضيافته ، ولـــم يكتـــف الـــشّاعر بالإشارة إلى تقصير مروان تجاه ضيفه ، وإنّما جعله عدوّاً للضيافة ، فإن اقترب من بيته مسكين أو صاحب حاجة ، أصبح في خطر ، فإن لم يطرده ، فإنه سيحاول قتله . وقد عمد الضيف إلى أسلوب من المبالغة المتهكّمة التي تشكك في صِحّةِ وقوع حادثة مثل هذه ، ولكنّ مثل هذه المبالغة قد تساهم في إظهار صفة البخل وإبرازها وإضفاء جوّ من المرح النفسي عند القارئ ، بسبب ما يراه من تصرفات غريبة عنـــد هـــذا البخيل.

ومما روي عن مروان أيضاً أنّه اشترى لحماً بنصف درهم ، فلمّا وضعه في القدر ، وقبل أن ينضج دعاه صديق له ، فردّه على القصّاب بنقصان دانق ، فـــشكاه القصّاب ، وجعل ينادي ، هذا لحم مروان ، وظُنّ أنّه يأنف لذلك ، فبلغ الرّشيد ذلك ، فقال :ويلك ما هذا ! قال : أكره الإسراف. وأنشد لرجلٍ من بني بكر بن وائل فـــي مروان قوله [3]:

وليس لمروانٍ على العِرْض غَيْـــرَةٌ ولكنّ مروانـاً يغارُ على القِـــدْرِ

([1]) الأصفهاني : الأغاني ، ج 10 ، ص 295 ، 320 .
([2]) الجاحظ : المحاسن والأضداد ، ص 64 .
([3]) الأصفهاني : الأغاني ، ج 10 ، ص 297 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الشعراء الذين أمعنوا في وصف البخل والبخلاء أبو نواس ، حتّى عــدّه علي شلق أستاذ المدرسة التي عُرِفت بمسخ الآخرين ، والعبث بهم. [1] وقد جــاءت صوره متنوعة غنية ، ومنها قوله [2]:

على خُبْزِ إســماعيل واقيــةُ البُخْــلِ ... فقدْ حلَّ في دارِ الأمانِ مــن الأكْــلِ
وما خُبْــزُهُ إلاّ كــآوى يــرى ابنــه ... ولم يُرَ آوى في حُــزُونٍ ولا سَــهْلِ
ومــا خبــزهُ إلاّ كعنقــاءَ مُغْــرِبٍ ... تُصَوَّرُ في بُسطِ الملوكِ، وفي المُثُلِ
يُحدّثُ عنها النّاسُ من غيــرِ رؤيــةٍ، ... سوى صورةٍ ما إنْ تُمِرُّ ولا تُحلــي
ومــا خبــزُهُ إلاّ كليــبُ بــن وائــلٍ ... ومن كان يحمي عزُّه منبــت البقــلِ
وإذ خبزُ اســماعيلَ حــلَّ بــه الــذي ... أصاب كلياً لم يكــن ذاكَ مــن ذُلِّ
ولكــنْ قــضاءٌ لــيس يُــسطاعُ ردُّه ... بحيلةِ ذي مكرٍ، ولا فكرِ ذي عَقْــلِ

فيرى أبو نواس أنّ بخل إسماعيل جعل خبزه في مأمن من الأكل، فأصــبحت رؤيته محالة، استحالة أن يرى آوى ابنه أو أن تُرى عنقاء مغرب ، التي تضرب بها الأمم المثل في المستحيلات، [3] ويصورونها بالوهم على بُسُط الملوك من غيــر أن يروها . وهي صورة لا طعم لها ولا ذوق ، وهكذا كان خبز اسماعيل عزيز المنال ، في عِزّةِ حمى كليب بن وائل ، الذي يضرب به المثل في العِزّة والمنعة [4] .

ولشّدة بخل الرقاشيين ، لو أشممتهم رغيفاً وهم في القبور لعادوا إلى الحياة ، يقول أبو نواس [5]:

ولــو أشــممت موتــاهم رغيفــاً ... وقد سكنوا القبورَ، إذن لعاشوا!

([1]) علي شلق : أبو نواس بين التخطي والالتزام ، ص 492 .
([2]) ديوان أبي نواس ، ص 361.
([3]) الجاحظ : الحيوان : ج 7 ، ص 51 .
([4]) انظر حسين خريس : حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه ، ج2 ،ص 331 .
([5]) ديوان أبي نواس ، ص 331 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما خبز الخصيب فهو معلّق في السّحاب لا تصل إليه الأيدي . وهذا المعنى سبقه إليه أبو الشمقمق في سخريته من بخل جعفر بن أبي زهير [1].

يقول أبو نواس [2] :

خبــزُ الخــصيب مُعَلَّــقٌ بالكوكــبِ يُحمى بكــلِّ مُثَقّــبٍ وَمُــشَطّبِ
جَعَلَ الطعام على الــسغابِ محرّمــاً قوتاً ، وحلّله لِمــن لــم يــسغبِ
فــإذا هُــمُ رأوا الرّغيــف تطرّبــوا طَرَبَ الصّيام إلى أذانِ المغــربِ

وهناك صورة طريفة في الفضل الرّقاشي [3] ، وفيها ينفذ أبو نواس إلى دخيلة البخيل ، وما يعتريه من أحاسيس ،عندما يشاهد ضيفاً ، فهو في ضيق نفسي إذا أحسّ أنّ ضيفه سيشاركه طعامه ، ثم تنبسّط أساريره إذا علم أنّه لن يفعل ذلك ، يقول [4] :

رأيــــتُ الفَــــضْلَ مكتئبــــا ينــــاغي الخبــــزَ والــــسمكا
فقطّــــب حــــين أبــــصرني ونكّــــس رأســــه وبكــــى
فلمّــــا أن حَلَفْــــتُ لــــه بــــأنّي صــــائمٌ ضــــحكا

لقد نجح أبو نواس في خلق حركة داخلية بأسلوب سلس ، وألفــاظ بــسيطة ، وربما كانت هذه إحدى سمات السخرية عند أبي نواس . وفي مشهدٍ آخــر لنفــسية

([1]) انظر غوستاف غون غربناوم : شعراء عباسيون : ص 131 .

([2]) ديوان أبي نواس ، ص 100 .

([3]) الرقاشي : هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش ، وهو من ربيعة ، وكان مطبوعاً ، سهل الشعر ، نقي الكلام ، وقد ناقض أبا نواس ، وقيل : إنه كان في العجم من أهل الري ، مدح الرشيد وأجازه ، إلاّ أن انقطاعه كان على آل برمك فأغنوه عمن سواهم ، وكانوا يروون أولادهم شعره ، ويدنون منه تعصباً له ، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم ، ينشدهم ويسامرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم بعد ذلك فأكثر .

انظر الأغاني : ج16، ص429،و ابن منظور المصري : أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه ، ص 43-44 .

([4]) ديوان أبي نواس ، ص 433.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البخيل ، يظهر لنا كيف تمنعه مراقبته لضيوفه أثناء تناولهم الطعام من الشبع ، وأما هو فإنّ غيظه واستياءه يمنعانه من الشبع، يقول [1]:

يلاحظهـــــم وهـــــم يـــــأكلو ... نَ طوْراً فُرادى وطوراً معــا
فيمـــــــنعُهُمْ ذاك أن يـــــــشبعوا ... ويمنعـــه الغـــيظُ أن يـــشبعا

ويرسم بخيله سعيداً يقلّب رغيفه ويلاعبه تارةً ، ويخرجه من كُمِّه ، ويـــشمّه تارةً أخرى، ويجلسه مرّةً ثالثة في حجره ويكلّمه ، لأنه عدِل له وقد أراد الشاعر من هذه الصورة أن يشير إلى أنّ حرص هذا البخيل على رغيفه جعله يتردّد في تناوله، ويتوعّد من يقترب منه بشتى صنوف العذاب ، يقول [2]:

رغيفُ ســـعيدٍ عنـــده عِـــدْلُ نفـــسه ... يقلّبه طوْراً ، وطَوْراً يُلاعبُـــه
ويخرجُـــهُ مـــن كُمّـــه فيـــشمّهُ ... ويُجْلِسُهُ في حِجره ويخاطبـــه
وإنْ جاءه المـــسكينُ يطلـــبُ فـــضلهُ ... فقـــد ثكلتـــه أمّـــه وأقاربُـــهْ
يكرّ عليه السوطُ مـــن كُـــلّ جانـــبٍ ... وتُكْسر رجلاه ، ويُنْتفُ شاربه

وتجاوز الشعراء شخص المهجو إلى أدوات الطبخ والقرى ومواعينها، فضلاً عن مادة الغذاء نفسها ، ليستنبطوا صوراً طريفةً تثُير السخرية من المهجو. يقول أبو نواس [3]:

رأيتُ قدورَ النّاسِ ســوداً مـــن الـــصَّلى ... وقِـــدرُ الرِقاشِـــيّينَ زهـــراءُ كالبَـــدْرِ
تبيّنَ في مِخراشـــها أنَّ عـــــــــودَها ... سليمٌ ،صحيحٌ، لم تـــصبْهُ أذى الجَمْـــرِ
يُبيّتُهـــا للـــــــمُعتَفي بـــــفنـــــائـــــهم ... ثلاثاً كـــنقَطِ الثّـــاء مـــن نقَـــطِ الحبـــرِ
ولو جئتها مـــلأى عبيطـــاً مُجَـــــزّلاً ... لأخْرَجْتَ ما فيها على طرَفِ الظُّفْرِ [4]

([1]) ابن منظور المصري : أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه ، 1969 ، ص 112 .
([2]) ديوان أبي نواس ، ص 100 .
[1] المصدر نفسه ، ص 303 .
[4] العبيط : اللحم الطري .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تروحُ علـــى حـــيِّ الرّبـــــــابِ ودارمٍ، وعمروٍ ، وتعروها قراضبةُ النمـــرِ ([1])
وللحيِّ قيسٍ نفحـــةٌ مـــن سجـــــــالها ، وقحطانٌ والغرِّ الطّوالِ بنـــي بكـــرِ ([2])
إذا ما تنادوا للرّحيـــلِ ســـــــعى بهـــا أمامَهُمُ الحـــوليُّ ومـــن ولَـــدِ الـــذّرِّ ([3])

وتختلف قدور هذه الجماعة عن غيرها اختلافاً يوحي بنفـــسيات أصـــحابها ، ويجعلهم مثاراً للسخرية ، فقدور الناس جمعيهم ســـود ؛ لأنّ النّـــار توقـــد تحتهـــا باستمرار، أمّا الرّقاشيون فالأمر عندهم مختلف تماماً ، وقد بدأ الشاعر سخريته منهم باستعمال صيغة الإفراد ، فهم لا يمتلكون سوى قدر واحدة ، تبقى نظيفة بيـــضاء ، لأنّها لا تلامس النّار ، وهذا كناية عن شدّة بخلهم ، فهم لا يطبخون ، و يظهر هذا في أثر الأثافي الثلاث التي توضع تحت القِدْر ، فأثرها يكاد يكون مفقوداً ، فلا نلمح إلاّ ثلاث نقط تشبه حرف الثاء ، وهذه الصورة تدلّ على سعة خيال ، وقدرة عالية فـــي التوظيف ، وأكثر ما يثير السخرية في هذه الأبيات الحجم البسيط الذي رسمه للقدر ، فهي لا تتسع لحماً إلاّ بمقدار ما يحمله الظفر ، وعند الرحيل يتركون أمر هذا القدر للنمل ليتولى سحبه .

ويقول في موطن آخر : إنَّ قِدْر الرّقاشي معروفةٌ، يُضْرَبُ بها المثل في كُلِّ شيء إلاّ أن تمسّها النّار ، وهي تشكو إلى قدور الجيران أنّها منذ عامٍ وهي جافّة لم يدخلها ماء للطبخ، يقول([4]):

قِدْرُ الرّقاشي مضروبٌ بهـــا المَثَـــلُ في كُلِّ شيء خلا النيرانَ تُبتـــذَلُ
تشكو إلى قِدْرِ جـــاراتٍ ، إذا التقتـــا اليوم لي سنةٌ مـــا مـــسَّني بَلَـــلُ

([1]) القراضبة : جمع قرضوب ، وهو اللص .

([2]) السجال : جمع سجل وهو الرجل الجواد .

([3]) الذرّ : صغار النمل .

([4]) ديوان أبي نواس ، ص 474.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد أراد أبو نوس أن يجرّد مهجوه من شياته العربية ، المتمثلة في العزّ والجود والنّسب الرّفيع ، فألحّ على ضآلة قِدْره وقدور قومه ، حتى إنها لتضيق عن صدر الجرادة ، وتتضجها نار الفتيلة الضئيلة ، وإذا ذُكِرت عندها النار فإنها تغلي ولا يحتاج الطاهي إلى خرقة لإنزالها عن النار ، وإذا ملأتها لحماً ، أخرجته كُلّه بعود صغير ([1])، يقول ([2]):

ودهماءَ تُرسيها رقاشيّ ، إذ شَتَتْ ... مركّبةُ الآذانِ أمُّ عيالِ ([3])

يغَصُّ بحَيْزُومِ الجرادة صدرُها، ... ويُنْضِجُ ما فيها اتّقادُ ذُبالِ ([4])

وتغلي بذكر النّارِ من غير حَرِّها، ... وَيُنْزِلُها الطّاهي بغيرِ جِعالِ ([5])

ولو جئتها ملأى عبيطاً مُجزّلاً، ... لأخْرَجتَ ما فيها بعودِ خلالِ([6])

هي القدرُ قدرُ الشيخِ بكرِ بنِ وائلٍ ... ربيعِ اليتامى عامَ كلّ هُزالِ

والرّقاشيّ يشبعه أدنى طعام ، لأنّه تعودّ على التقتير ، والمدهش أنّ مظاهر الشبع تبدو عليه بعد تناوله أبسط الأشياء. يقول أبو نواس ([7]):

وجُزَارٍ فيها الغريبُ ، إذا جا ... عَ قرَاها ، فمال بطناً لظهرِ ([8])

ثُمّ والى بين الجُشاءِ ، كأنْ قد ... بلغَ الشّبْعَ من قليّةِ جُزْرِ ([9])

والرّقاشيّ مِنْ تكرّمِهِ تجْـ ... ـزأُ أمعاؤهُ بإنشادِ شِعْرِ ([10])

([1]) انظر حسين خريس : حركة الشعر العباسي ، ج 2 ، ص 191 .

([2]) ديوان أبي نواس ، ص 479 .

([3]) دهماء : أراد القدر لسوادها .

([4]) ذبال : جمع ذُبالة بالضم وهي الفتيلة .

([5]) الجِعال : الخرقة يتزل بها القدر .

([6]) عود الخلال :عود يُجعل في لسان الفصيل كي لا يرضع.

([7]) ديوان أبي نواس ، ص 310 .

([8]) الجزار : ما يقص من جلد وخلافه ، الغريب :يريد غريب اللغة.

([9]) الجشاء : ريح يخرج من الفم مع حدوث صوت عند الشبع ، القليّة : ما قلي ، وجُعل مع الطعام ليطيّبه ، الجزر : ما أعدّ للذبح.

([10]) تجزأ الأمعاء : تكتفي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأبو نواس في سخريته من أكثر الشعراء عنايةً بالطّعام ، وبخاصة الخبز ، أو الرّغيف ، وهي عناية قلّما تجدها عند غيره من الشعراء ، وإذا ذكر الرّغيف عنده لم يأتِ في غرض الشكوى أو الحاجة ، كما هي الحال عند شعراء المسغبه والفقــر ، كأبي الشمقمق وأبي فرعون الساسي وأبي الينبغي وابن الطبيب ، لكنّه يأتي عنده في معرض الهجاء والسخرية والتهكم ولعلّ في تركيزه على الخبز ما يكــشف أحيانــاً الظروف المحيطة بهذه السخرية *، فقد ساق ابن منظور خبراً يقول فيه ([1]): "قــال الحسن بن محمد : ضُرِبت لاسماعيل بن أبي سهل بني نيبخت طارقة ([2]) في صحنِ داره ، فاصطحبنا أربعين يوماً ، ومعنا أبو نواس ، ما شقّ اسماعيل له رغيفاً لتغيير الفم ، فقال أبو نواس بعدَ ذلك ([3]):

خبــــزُ اســــماعيلَ كالوشْـــــــيِ ، إذا مـــا انـــشقَّ يُرْقـــا
عجبـــاً مـــن أثـــرِ الـــصَّنـــــعةِ فيـــه كيـــف يخفـــى؟!
إنَّ رفـــــــاءك هـــــــذا ، أحـــــذقُ الأمّـــــةِ كفّـــــا
وإذا قابـــــــلَ بالنّـــــــصـــــفِ من الجَرْدَق نِـصْفا ([4])
يُلـــصِقُ النِّـــصفَ بنـــصفٍ، فـــإذا قـــد صـــار ألفَـــا
ألطـــفَ الـــصَّنْعةَ حتّـــى لا تـــرى معْـــرزَ إشْـــفَى ([5])
مثلمـــا جـــاء مـــن التنُّـــو رِ مـــا غـــادرَ حرْفَـــا
ولـــه فـــي المـــاءِ أيـــضاً عمـــلٌ أبْـــدَعَ ظَرْفـــا

---

* يقول حسين خريس "عددتُ له نَحْواً من بضع عشرة مرّة ، ذكر فيها الخبز هاجياً اسماعيل بن سهل بن نيبخت والرّقاشيين والمعبدين والخصيب ، ومن اسمه سعيد".

انظر حسين خريس: حركة الشعر العباسي، ج2، ص191.

([1]) ابن منظور المصري : أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله ، وعبثه ومجونه ، ص 113 .

([2]) الطارقة : بيت من خشب ونحوه كالقُبّة .

([3]) ديوان أبي نواس ، ص 391

([4]) الجَرْدق (بالفتح) الرّغيف فارسي مَعَرّب .

([5]) إشفى : المثقب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَزْجُـــهُ العَـــذْبَ بمـــاء الـــــ ـــــبئرِ كـــيْ يـــزدادَ ضِـــعْفا
فهـــــو لا يـــــسقيك منـــــه مثلمـــا يـــشربُ صِـــرْفا

لقد نجح أبو نواس في جعل الأمر غير المعقول أمراً واقعاً فعلاً ، فـأيّ يـدِ صناع أبدعت هذا الرّغيف حتى جعلته قابلاً للإصلاح كما فسد دون أنْ يظهر أثـرٌ لغرز الإبرة ، فيعود صحيحاً سليماً ، وكأنَّ يداً لم تمسّه ، وأكثر من هذا أنّه أثقل هذا الرّغيف بالماء حتّى يزداد ثقلاً ، فيكون أرزن في النّظر والوزن [1] ثُمّ يزعم أنّ لهذا الرّجل البخيل مذهباً جديداً في الماء أيضاً ، فهو لا يسقي ضيفه الماء العذب خالصاً ، كما يشربه هو ، بل يقدّمه له مخلوطاً بماء البئر بينما يخصّ نفسه بمـاء أفـضل [2] ولعل سخريته هذه ناجمة عن وجود عداء بينه وبين بني نوبخت – وهم شيعة – وقيل إنهم دبّروا مقتل أبي نواس فيما بعد [3] .

على أنّ رغيف أبي نواس قد يكتسب صفة الإنسان ، فيشارك صاحبه البخيل بإيذاء من يأكله يقول [4]:

خبزُ المفضَّلِ مكتـوبٌ عليـه : ألا لا باركَ اللهُ في ضيفٍ إذا شبعا
إنّي احذِّركُم مـن خبـزِ صـاحبنا، فقد ترون بحلقي اليومَ ما صَنَعا

وفي صورة مقابلة قد يكون رغيفاً مدلّلاً ، له قرطٌ وشنف وخلخالان ، ولكنّ دلاله هذا يجعله في مأمن من الأكل ، يقول [5]:

فتـــىً لرغيفـــهِ قُـــرْطٌ وشـــنْفُ وخلخـــالانِ مِـــنْ خـــرزٍ وشَـــذْرِ
إذا فقـــدَ الرغيـــفَ بكـــى عليـــه، بكى الخنساء إذ فُجِعَـتْ بـصخرِ

([1]) انظر حسين خريس : حركة الشعر العباسي ، ج 2 ، ص 192 .
([2]) انظر محمد محمد حسين : الهجاء والهجاءون في الجاهلية ، ص 43 .
([3]) انظر عمر فروخ : أبو نواس ، ص 69 .
([4]) ديوان أبي نواس ، ص 379 .
([5]) المصدر نفسه ،ص 304 ، 305 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودونَ رغيفـــــه قلـــــع الثنايـــــا وحربٌ مثـل وقعـة يـوم بـدرِ

فليس سهلاً عليه ترك الرغيف، وإذا ما أصيب رغيفه فإن مصيبته فيه تعادل مصيبة الخنساء في أخيها صخر، وعندها سيظل يبكي عليه حزناً وألماً.

ويسخر مسلم بن الوليد من بخل سعيد بن سلم وسعيد بن يزيد، وخزيمة بـن خازم، بقوله([1]):

ديونـك لا يقـضي الزمـان غَريمُهـا وبُخْلُـكَ بخـلُ البـاهليّ سـعيدِ
سعيدُ بن سَـلْم أبخـلُ النـاس كلّهـم ومـا قومـه مـن بخلِـه ببعيـدِ
يزيـدٌ لـه فـضلٌ ولكـن مزيـداً تـدارك فينـا بخلُـه بيزيـد
خزيمـة لا عيـبٌ لـه غيـر أنّـه لمطبخـه قفـلٌ وبـاب حديـدِ

وأمّا دعبل الخزاعي فلم يسلم من سخريته بعض الخلفاء، ومنهم إبراهيم بـن المهدي الذي بويع ببغداد، وكان قد لجأ إليه أعراب السواد، فاحتبس عنهم العطـاء، وجعل يسوفهم، إلى أن خرج إليهم رسوله يوماً وقد اجتمعوا وضجّوا، وصرح لهم أنه لا مال عنده، فقال قوم من غوغاء أهل بغداد " أخرجوا غلينا خليفتنا ليغني لأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات، ولأهل هذا الجانب ثلاثة أخرى، فتكون عطاء لهم، فأنشد دعبل بعد ذلك بأيام قوله([2]):

يا معـشرَ الأجنـادِ لا تقنطـوا وارضَوا بمـا كـانَ ولا تَـسْخَطوا
فـسوف تُعطَـون حُنَينيـةً يلتـذُّها الأمـردُ والأشـمَطُ([3])

([1]) الأصفهاني: الأغاني ج19، ص35.

([2]) ديوان دعبل: ص 97، ابن جراح: الورقة ص21.

([3]) حنينية: نسبة إلى حنين المغني، الأمرد، الشاب الذي طلع شاربه و لم تنبت لحيته، الأشمط، : الذي خالط سواد شعره بياض.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمعبـــــــديّاتُ لقـــــــوَادكُمْ لا تـــدخلُ الكـــيس ولا تـــربطُ([1])
وهكـــــذا يـــــرزقُ قـــــوَادَه خليفـــــةٌ مـــــصحفُه البـــــربطُ([2])

فقد بشّرهم دعبل بأنّهم سيعطون غناءً بدل المال ، يُسَرُّ به الشّاب والأشـــيب ، كذلك سخر من الخليفة الذي أصبحت الموسيقى مصحفه ، ومركز اهتمامه الأوّل. وتـــشير أبيات دعبل إلى مفارقة واضحة في حياة الناس ، فمنهم من يطرقُ الأبواب ليوفّر لقمة العيش لأطفاله ، ومنهم من يعيش حياة اللهو والتّرف ولا يعرف شيئا عـــن غيـــره.

وتميّزت سخرية دعبل من البخل ، بصورها المتنوعة ، وكـــاد يتفـــرّد فـــي بعضها. ومنها تصويره حرص بخيلٍ قادَه بخله ليحفظ رغيفه في مكان لا يمكـــن أن تصل إليه الأعينُ بحالٍ من الأحوال ، ولهذا اختار مكاناً لا نتوقعه، فهذا البخيل اختار أن يضع رغيفه في وعاءين من أدم الطائف ثم في سلّتين ، ثم في منديل ، وختم كُلَّ سَلّة بحديد ، وحتى يتأكد من إغلاقها ربطها بمشدّ مصنوع من جلد الفيل ، ثُمّ وضعها في جرابٍ يحميها ، وأخيراً ألقاها في جوف تابوت ، واختار أن يكون هذا التـــابوت هو تابوت موسى عليه السلام ، المحفوظ بعناية إلهيه ، وجعل مفاتيحه عنـــد الملـــك إسرافيل عليه السلام ، وبعد هذه الوسائل ، فليس من المعقول أنْ تصل إليـــه عـــينُ بشر، يقول [3]:

إنَّ هـــذا الفتـــى يـــصونُ رغيفـــاً ما إليـــه لنـــاظرٍ مـــن ســـبيل
هو فـــي ســـفرتين مـــن أدم الطّـــا ئِفِ في ســـلّتينِ فـــي مِنْـــديلِ
خُتِمـــتْ كُـــلُّ سَـــلّةٍ بحديـــدٍ وسُيُورٍ قُدِدْنَ من جِلـــدِ فيـــلِ
في جِرابٍ في جَوْفِ تابوت موســـى والمفـــاتيحُ عنـــد اســـرافيل

([1]) المعبديات: نسبة إلى المغني معبد.

([2]) البربط: آلة موسيقية.

([3]) ديوان دعبل ، ص 136 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقارن دعبل بين الضيف والمضيف ، فالأول يتضوّر جوعاً ، ولا يستطيع النوم ، والثاني يقضي ليلته في الطعام والشراب ، متناسياً ضيفه ، يقول [1]:

وضيفُ عمروٍ وعمروٌ يسهران معاً عمروٌ لبِطنتهِ والضيفُ للجُوعِ

ويأتي على جماعةٍ تتخّذ عند الأكل وسائل تحصّنهم من دخول أحدٍ إليهم ، أو السّماع بأمرهم ، فهم يحفظون ألسنتهم من البوح بأمر طعامهم ، ثم يغلقون الأبواب ولو طلب منهم جارهم قبسة نار لمنعوها ، يقول دعبل مصوراً ذلك [2]:

قومٌ إذا أكلوا أخْفَوا كلامَهُمُ واستوثَقُوا من رِتاج البابِ والدّارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهمْ فَضْلَ نارِهمُ ولا تكُفُّ يدٌ عن حُرْمَةِ الجارِ

ويسخر من بخل غسان بن عبّاد([3]) بقوله [4]:

لقَطْعُ الرِّمالِ ونقلُ الجبالِ وَشُرْبُ البحارِ التي تصطخِبْ
وكشفُ الغطاءِ عن الجِنِّ أو صعودُ السماءِ لمن يرتقبْ
وإحصاءُ لؤم سعيدٍ لنا أو الثّكْلُ في وَلَدٍ مُنتخبْ
أخفُّ على المرءِ من حاجةٍ تكَلُّفُ غسّانِها مُرْتقَب
له حاجبٌ دونه حاجبٌ وحاجبُ حاجبهِ مُحتَجبْ

فقد لجأ الشاعر إلى ذكر مجموعة من المستحيلات ليؤكّد أنّ المحاولة مع هذا البخيل عبث ولا طائل منها ، فأهون من تحقّق حاجةٍ عنده قطع الرّمال أو شرب ماء

([1]) ديوان دعبل ، ص 182 .

([2]) المصدر نفسه ، ص 177 .

([3]) ولاه المأمون السند بعد أن خالف بشر بن داود بن يزيد المأمون، وجبى الخراج و لم يحمل إليه شيئاً.
الطبري :تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص179.

([4]) ديوان دعبل، ص 12 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر أو الدخول إلى عالم الجن ، فكيف بحاجةٍ تحقق عنده والوصول إلى حاجبه في غاية الصعوبة ؟

ويسخر دعبل من بخل طاهر بن الحسين([1]) يقول [2]:

وذي يمينـــــينِ وعـــــينٍ واحـــــدهْ نُقْـصانُ عـــينٍ ويمـــينٌ زائـــده
نَـــزْرِ العطيَّـــاتِ قليـــلِ الفائـــدهْ أعـــضَّه اللهُ ببظـــرِ الوالـــده

فهو عند الأكل يأكل قدر اثنين ، وإذا ما طُرِقَ بابه تعامى عن صاحب الحاجة وكأن له عيناً واحدة . وتكمن سخرية الشاعر في التعويض السلبي الـذي ابتدعـه ، لتحقيق غايتين ، وهما التعريض ببخل مهجوه والتعريض بشراهته .

ويأتي على إحدى النتائج السلبية التي يجنيها البخيل في علاقته مع مجتمعـه ومعارفه ،ويسخر من بخل رجلٍ من بني اهبان ، فهو لشدّة بخله ، أصـبح يعـيش وحيداً، فلا أحد يزوره أو يطرق بابه ، يقول [3]:

فاذهـب إليـك فـإني لا أرى أحـداً بـاب دارك طَلاَّبـاً ومَطلُوبـا

ويصر دعبل على إغلاق باب الرجاء من بخيله الذي يتحصن مـرةً أخـرى بالأبواب والحرس الذين يمنعون حتى الذباب من الدخول ، وصور المكان الذي يحفظ

([1]) الطاهر بن الحسين: من رجال المأمون، هزم علي بن عيسى بن هامان، فسماه المأمون ذا اليمينين.
الطبري : تاريخ الأمم والملوك، المجلد الخامس، ص55.

([2]) ديوان دعبل ، ص 172 .

([3]) المصدر نفسه ، ص 169 .

وخوفاً من فقدان الأخلاء نجد إسحاق بن إبراهيم يعاتب زوجته التي كانت تنهاه عن الكرم ، يقول :

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيلُ
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً في العالمين خليلُ
وإني رأيت البخل يزري بأهله فأكرمت نفسي أن يُقال بخيلُ

انظر اليافعي: مرآة الجنان ، ج 2 ، ص 86 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فيه الطعام بالحبس المحصن ، والطباخين الذين يحرسون الطعام بالملائكة ، لا يغادرون شيئاً . يقول [1]:

وإنَّ لـــه لطباخـــاً وخُبـــزاً ... وأنـــواعَ الفواكـــهِ والـــشَّرابِ
ولكـــن دونـــه حَـــبسٌ وضَـــربٌ ... وأبـــوابٌ تُطـــابَقُ دون بـــابِ
يـــذودونَ الـــذُّبابَ يمـــرُّ عنـــه ... كأمثـــالِ الملائكـــةِ الغـــضابِ

وقد نجح دعبل في بناء علاقات بين أشياء مختلفة ومتباعدة ، مثيراً في النفس الضحك والاستخفاف بالمهجو ، يقول [2]:

ارفُـــق بحفـــصٍ حـــينَ تـــأ ... كُلُ يـــا معاويَـــة مـــن طَعامِـــه
المـــــوتُ أيـــــسرُ عنـــــده ... مـــن مَـــضغِ ضـــيفٍ والتقامِـــه
وتـــراهُ مـــن خـــوفِ النزيـــ ... ـــلِ بـــه يُـــرَوَّعُ فـــي منامِـــه
ســـيانِ كَـــسرُ رغيفِـــهِ ... أو كَـــسرُ عَظـــمٍ مـــن عِظامِـــه
لا تَكـــسِرنَّ رغيفَـــهُ ... إن كُنـــتَ تَرغَـــبُ فـــي كلامِـــه
وإذا مـــررت ببابـــهِ ... فـــاحفظ رغيفَـــكَ مـــن غُلامِـــه

فكسر الرّغيف عنده مثل كسر عظامه ، ولا حديث معه ما دمت ترغب في مؤاكلته ، وعليك الحذر عند المرور أمام بيته ، لأنّ غلامه سوف يخطف ما معك من طعام ، بسبب جوعه ، أو ليوصله لسيده في داخل الدار.

ويلاحق دعبل في سخريته ابن عمران([3]) ولا يدع أملاً يتحقق عنده ، وإن كان بسيطاً هيناً ، فمن يقصده في أمر ما ، يظل واقفاً على بابه زمنـاً طـويلاً ، يعـاني

([1]) ديوان دعبل: ص 30 .

([2]) المصدر نفسه ، ص 189 .

([3]) لم يذكر المرزباني إلا اسمه وقال: هو محمد بن أبي عمران من أهل أصبهان. معجم الشعراء، ص 402.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويكابد شدة الجوع والعطش . وأشد من هذا معاناة جواده الذي يضطر لأكل روثه ، طلباً للحياة ، بعد أن حُرِم الطعام يقول دعبل [1]:

أتيتُ ابنَ عِمرانَ في حاجةٍ هُوِّينَةِ الخَطبِ فالتاثها [2]
تَظَلُّ جيادي على بابهِ تَروثُ وتأكلُ أرواثها
غوارِثُ تشكو إليَّ الخَلا أطالَ ابنُ عِمرانَ إغراثها [3]

ويواصل سخريته من ابن عمران فيجعله لا يتذكر الضيف إلا إذا كان محتاجاً له في أمر معين ، فإذا حضر ، أخذ حاجته منه ، ونسيه عند الغداء ، يقول [4]:

إذا بدت حاجةٌ له ذَكَر الضيـ ـفَ وينساهُ عندَ وقتِ الغداء

ويسخر في موطنٍ آخر من رجلٍ أصبح البخل شيمةً من شيمه ، صرفته عن الأفعال الكريمة ، واستعاض عن قضاء حوائج أصحابها في المماطلة والوعود لأن أي عطاءٍ في نظره يناظر بتر عضوٍ من أعضائه ، يقول [5]:

وصاحبِ مُغرَمٍ بالجُودِ قلتُ له والبخلُ يصرفُهُ عن شيمةِ الجودِ
لا تقضِيَن حاجةً أتعبتَ صاحِبَها بالمَطلِ مِنكَ فتُرزا غَيرَ مَحمودِ
كأنني رُحتُ منه حين نوَّلني بمُدمَجِ الصَّدرِ من مَتنيهِ مَقدودِ
كأنَّ أعضاءَه في كلِّ مَكرُمَةٍ يُنزَعنَ مُستكرَهاتٍ بالسَّفافيدِ

ويتهكم بأسلوب طريف من كرم صاحبه الذي أرسل إليه أضحية مهزولة ، مريضة ، وكأنّه كان يطعمها نبات الحرمل ، فأفسد لحمها ، يقول [1]:

([1]) ديوان دعبل ، ص 50 .
([2]) التاثها : التوى في قصائها .
([3]) غوارث : جائعة .
([4]) ديوان دعبل ، ص 12 .
([5]) المصدر نفسه ، ص 65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَعَثْـــــتَ إلـــــيَّ بأضـــــحيةٍ وكُنـــتَ حَريّـــاً بـــأن تفعـــلا
ولكنّهـــــا خرجـــــت غثَّـــــةً كأنّـــك أعلفتهـــا حـــرملا [2]
فـــــإن قَبِـــــلَ الله قربانهـــــا فـــسبحان ربِّـــكَ مـــا أعـــدلا

ويلحظ على نماذج دعبل حرصه فيها على تقنية الحوار مع البخيل أو مع مَن يتعامل معه، فخرجت سخريته صورة بينَ مستويين خطابيين، لكن يبقى دعبل هـو الذي يبتدع الأثر الأدبي في ذات القارئ أكثر من البناء الفني أو الظاهرة الأسلوبيّة، لأن ذاته أكثر بروزاً وحضوراً في نصوصه، فيبدو أحياناً متحكّماً بمفردات الموقف ودلالاته.

وكثرت السخرية من البخل عند الحمدوني ، وذلك بسبب فقره ، وعلى الرغم من أنه كان ينتظر الصدقات وأحوج ما يكون إلى علاقة وديّة مع مجتمعـه ، إلا أن لسانه كان ناقداً لمن يقصر في عطائه ، أو يقدّم له عطيةً ليست ذات قيمة ، ومن ذلك قوله في شاة سعيد بن أحمد بن خوسنداد [3]:

أســـعيدٌ قـــد أعطيتنـــي أضـــحيةً مكثت زماناً عنـدكم مـا تُطعَـمُ
نِضواً تعـاقرت الكـلابُ بهـا وقـد شدّوا عليها كي تمـوتَ فيولمـوا
فإذا الملا ضحكوا بهـا قالـت لهـم لا تهزأوا بي وارحموني تُرحموا
مرَّت على عَلَفٍ فقامـت لـم تَـرِم عنه وغنَّـت والمـدامعُ تُـسجَمُ
وقف الهوى بي حيث أنت فليس لـي متـــأخِّرٌ عنـــه ولا مُتقِّـــدمُ

([1]) ديوان دعبل ، ص 121 .

([2]) الحرمل : نبات له حب كالسمسم يُستعمل في التداوي ، ولا ترعاه الماشية .

([3]) الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب، ، ج 1 ، ص 549 ، الكتبي: فوات الوفيات، ج1، ص25.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واستطرد في سخريته من بخل سعيد بن أحمد ، فأتى على طعام الشاة التي أهداها له ، وذكر أنه ضوء الشمس والقمر ، وفي هذا توبيخ شديد لصاحبها لامتناعه عن إطعامها ، فهي لم تر العلف منذ زمن طويل ، ولو شاهدته في المنام لغنَّت وبكت فرحاً . يقول [1]:

أبا سعيدٍ لنا في شاتِكَ العِبَرُ ... جاءت وما إنْ لها بولٌ ولا بَعَرُ
وكيف تَبعَرُ شاةٌ عندكم مكثت ... طعامُها الأبيضان الشمسُ والقمرُ
لو أنها أبصرت في نومها علفاً ... غَنَّت له ودموعُ العين تنحدرُ
يا مانعي لذّة الدنيا بأجمعها ... إني ليفتنني من وجهك النظرُ

وقال أيضاً [2]:

شاةُ سعيد في أمرها عِبَرُ ... لما أتتنا قد مسَّها الضررُ
وهي تغنّي من سوء حالتها ... حسبي بما قد لقيت يا عمرُ
مرَّت بقطف خضر ينشّرها ... قومٌ فَظَنَّت بأنها خُضُرُ
فاقبلت نحوها لتأكلها ... حتى إذا ما تبيّن لها الخبرُ
وأبدلتها الظُّنونُ من طمعٍ ... يأساً تغنَّت والدمعُ منحدرُ
كانوا بعيداً وكنت أمهلهم ... حتى إذا ما تقرَّبوا هجروا

وهو يسعى إلى إشراك الشاة في كشف بخل صاحبها، فتركها تعبّر عن رفضها لواقعها بغناء مستهتر، وعزّز الشاعر معاناة هذه الشّاة من خلال إظهار استجدائها لصاحبها برفع الظلم عنها، ثم بهاجس الطعام الذي يلازمها حتى أصبحت تتخيل كل

([1]) الحصري : زهر الآداب وثمر الألباب، ج 1 ، ص 549 ، الكتبي: فوات الوفيات ج1، ص24.
([2]) الحصري : زهر الآداب : ج 1 ، ص 549 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشياء التي تراها طعاماً، ويصبح العلف لهذه الشاة دواءً يشفي ، لكن هيهات ، يقول [1]:

لسعيد شُويهةٌ سلَّها الضُّرُّ والعَجَفْ
فإن تغنَّت وأبصرت رجلاً حاملاً عَلَفْ
بأبي من بكفّه بُرءُ ما بي من الدَّنفْ
فأتاها مطمّعاً وأتته لتعتلفْ
فتولى فأقبلت تتغنَّى مع الأسفْ
ليته لم يكن وقف عذَّب القلب وانصرفْ

وكان أحمد بن حرب ([2]) من المنعمين على الحمدوني ، فوهب له طيلساناً أخضر لم يرضه ، قال أبو العباس المبرد [3]: "فأنشدنا فيه عشر مقطعات000" ومنها قوله [4] :

يا بنَ حربٍ كسوتني طيلساناً ملَّ من صُحبةِ الزَّمانِ وصدَّا
فحسبنا نسجُ العناكب قد حا لَ الى ضعف طيلسانِكّ سدَّا
طال ترداده إلى الرَّفوِ حتَّى لو بعثتاه وحده لتهدّى

فقد عاب الحمدوني على ابن حرب رثاثة الثوب الذي أهداه إياه، وذكر أنه بالٍ وأوهى من بيت العنكبوت، وقال أيضاً يبين أن هذا اللباس أصبح وطنه وعنوانه، وقد مله الناس عليه[5]:

([1]) الحصري: زهر الآداب، ج1 ص549، الكتبي: فوات الوفيات ج 1 ص 24 .

([2]) ذكر الكتبي أن الحمدوني اشتهر في قوله في طيلسان ابن حرب، ابن أخي يزيد المهلبي.، وشاة سعيد.
الكتب: فوات الوفيات ج1، ص24.

([3]) الحصري: زهر الآداب ، ج1 ، ص 550 .

([4]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 550 .

([5]) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 550 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يا طيلسان ابن حربٍ قد هممتَ بـــأن تُودي بجسمي كما أودى بك الزَّمنُ
ما فيك من ملـــبس يغنـــي ولا ثمـــن قد أوهنتْ حيلتي أركانُـــكَ الـــوهنُ
أقول حـــين رآنـــي النـــاس أَلزمُـــه كأنَّمـــا لـــي فـــي حانوتـــه وطـــنُ
من كان يـــسأل عنـــا أيـــن منزلنـــا فالأقحوانـــة منـــا منـــزلٌ قَمِـــنُ

وينتظم في هؤلاء الشّعراء البحتري ، إذ يروى أنه كان من أوسخ خلـــق الله ثوباً وآلـــة ، وأبخلهم على كل شيء ، وكان له أخٌ وغلام معه فـــي داره ، فكـــان يقتلهما جوعاً ، فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان ، فيرمي إليهما بـــثمن أقواتهمـــا ، مضيّقاً ومقتراً ، ويقول : كلا أجاع الله أكبادكمـــا ، وأعـــرى أجلادكمـــا ، وأطـــال إجهادكما ، ويروى أنه دخل عليه يوماً (أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب) فاحتبسه عنده ، ودعا له بطعام ، ودعاه إلى الأكل فامتنع عن الأكل ، وكـــان عنـــده شيخٌ شامي ، فدعاه إلى الطعام فتقدَّم ، وأكل معه أكلاً عنيفاً ، فغاظه ذلك ، والتفـــت إلى أبي مسلم الأصبهاني ، فقال له : أتعرف هذا الشيخ ، فقال : لا ، قال : هذا شيخٌ من بني الهجيم الذين يقول فيهم الشاعر ([1]):

وبنـــو الهُجَـــيم قبيلـــةٌ ملعونـــةٌ حُصٌّ اللِّحى متشابهو الألوان ([2])
لـــو يـــسمعون بأكلـــة أو شـــربة بعُمان أصـــبح جمعُهـــم بعُمـــانِ

ويماثل البحتري في هيئته رجلٌ يسمّى الحلبي، وكانَ من أوسخ النـــاس فـــي جبتـــه وثيابه([3]) سخر منه خالد الكاتب بقوله([4]):

وشـــاعرٍ ذي منطـــقٍ رائـــقٍ فـــي جُبّـــة كالعـــارضِ البـــارقِ

([1]) انظر الأغاني : ج 21 ، ص 32 .
([2]) حص اللحى : قليلو شعر اللحى .
([3]) وقع بينه وبين البحتري خلاف لقول البحتري فيه: سلْ الحلبي عن حلب.
الأغاني: ج20، ص400.
([4]) المصدر نفسه ، ج20، ص401.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قطعـــــاء شـــــلاّء رقاعيّـــــة دهريّـــة مرقوعـــة العـــاتق([1])
قـــدّمها العُـــرْي علـــى نفـــسه لفـــضلها فـــي القَـــدَرِ الـــسّابق

فخالدٌ يأخذ على الحلبي تقتيره على نفسه، إذ لزم لباساً واحداً لا يفارقه، فبلي وتهدّلت خيوطه وتزاحمت الرّقاع فيه، حتى تقدّم العري عليه. ويأتي الشاعر بصور مستوحاة من الطبيعة ، فيذكر أن طيلسانه يلمح على جسمه لمحاً، لا يكاد يثبت بالنظر كالسراب، وكالغيمة المسافرة، يقول([2]):

يأتيـــك فـــي جبّـــةٍ مرقّعـــةٍ أطـــول أعمـــار مثلهـــا يـــومُ
وطيلـــــسانٍ كـــــالآلِ يلبـــــسه علـــى قمـــيص كأنّـــه غـــيمُ
مـــن حلـــب فـــي صـــميم سِـــفْلتها غِنـــاهُ فقْـــر وعِـــزّه ضـــيمُ

ولابن الرومي إسهام كبير في ملاحقة البخلاء والتربص بحركاتهم ، والدخول إلى نفوسهم لاستكشاف مكنوناتها فتزيدهم قبحاً ، فمن سخريته قوله في بخـل أحـد رجال المتوكل ، وكان يتستَّر على عيوبه كما يقول بإنشاء نصف بيت أو ربع بيـت وإعطاء القليل من الخبز والماء ، يقول ([3]):

يـــا أيّهـــا الرجـــلُ المـــدلّسُ نفـــسه في جملة الكرماء والأدبـــاءِ ([4])
بالبيـــت يُنـــشِدُ رُبعـــه أو نـــصفه والخبزِ يُرزَأُ عنده، والمـــاء ([5])
تدليـــسه عنـــدَ الكواعـــبِ لِمَّـــة مخضوبةً بـــالخِطرِ والحنـــاءِ ([6])

([1]) شلاّء: وصف من الشلل، وهي أن يصيب الثوب سواد، ولا يذهب بغسله، رقاعيّة، كثيرة الرّقاع.

([2]) الأغاني: ج20، ص401.

([3]) ديوان ابن الرومي : ج 1 ، ص 50، 51.

([4]) المقصود : سعيد الصغير ، وهو أبو عثمان أحد رجال المتوكل ثم المنتصر بعده .

([5]) يرزا : يصاب منه شيء قليل .

([6])تدليسه: إخفاء عيوبه ، اللّمّة : المخضوبة : أي اللمة المصبوغة ، الكواعب : جمع كاعب ، وهي الفتاة الناهدة الثديين ، الخطر (بالكسر)، نبات مثل الحناء يختضب به . يقول إنه يخفي شعره الشائب عند الكواعب بالخضاب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن سخريته قوله في بخيله (ابن جراشة) ([1]):

إن كفيـــــــــــكَ لقُفْـــــــــــلٌ مُحكـــمٌ يـــا ابـــن جراشـــهْ
فعمـــــــودُ القُفـــــل يمنـــــا كَ ويـــــسراك الفراشـــــهْ
لـــيس ينجـــو الفلـــس مـــن كفـــ ـــــــفَيك إلا بالحُـــــشاشهْ
ضـــــيِّق الـــــصدر بخيـــــلٍ ضـــــيق الله معاشـــــهْ
وكـــــساه الخـــــوفَ والذلـــــ ـــــلةَ ، وابتـــــز رياشـــــهْ

فهو يجمع إلى بخله المادّي بخلاً في التعامل مع الناس والاستماع إليهم، فهـو ضيّق الصدر لا يحتمل غيره ، ولهذا يدعو عليه الشاعر أن يضيّق الله أرزاقه.

وتصبح السخرية أقوى عندما يزعم الشاعر أن البخل عند مهجوه جبلّة وطبع، وتخوّف من الحاجة . والجديد هنا أن البخيل يعترف ببخله ، فيصبح البخل عنده موقفاً يعرضه ، ويدعمه بالحجَّة ، وحجته هنا أنه لا يريد أن يحتاج شخصاً بخيلاً مثلـه ، فيصده ولا يعطيه ، يقول [2]:

غدَوْنا إلى ميمـونَ نطلـبُ حاجـةً فأوسَعنا منعْاً وجيزاً ، بلا مَطْـلِ
وقـال اعـذروني إن بخلـي جِبِلَّـةٌ وإن يدي مخلوقـةٌ خِلْقَـة القُفْـلِ
طبيعـة بُخـلٍ أكَّـدتها خليقـةٌ تخلَّقْتُها خَوْفَ احتياجي إلى مثلي

ويبشّر ابن الرومي ضيف البخيل بأجر الصيام غير المكتوب، أي النافلة ولو استطاع هذا البخيل لأحبط هذا الأجر ، وإن سماحه للضيف بالصوم سـخاء منـه ؛ لعلمه أن صوم الإكراه ليس له أجر ، أو لعلمه أن صوم ضيفه لا يمكن أن يقبل ، إذ

([1]) ديوان ابن الرومي : ج 3 ، ص 337 ، 338 .
([2]) المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 134 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بد من نيل عرضه بالسبّ والشتم ، وهو في هذا مخطئ ، لأن سـبَّهُ وشَـتْمَهُ لا يُفسدان الصوم ، فلا إثم على من يسبه ، يقول ([1]) :

يـا ضـيفَهُ : أبْـشِرْ فإنَّـك غـانم ... أجْرَ الصّيام ولـيس بـالمكتوبِ
ولو استطاع لحَـبطِ أجـرِك حيلـةً ... لاحتال في ذاكَ احتيال أريبِ ([2])
وأراه سـخّاهُ بـصومك علمُـهُ ... أنْ ليس صَومُ الكُرْه بالمحـسوبِ
أو ظنُّـهُ أنْ لا صـيامَ لـضَيْفِهِ ... مع رتعِهِ في عِرْضه المـسبوبِ
أيظـنُّ غِيبتَـهُ تُفطِّـرُ صـائماً؟ ... قبحـاً لـه ولظنِّـه المكـذوبِ
لا تحسبنَّ على امـرئ فـي شـتمهِ ... حُوباً ، فما في شتمه من حـوبِ
وهل المحاجر والجفون ، تـرى لـه ... وجهاً يؤكد قُبْحـه بقطـوبِ ([3])
أبـداً تـراه راكعـاً فـي ثـردةٍ ... مأدومةٍ بإهالـهِ المـصلوب ([4])

وللبخيل عند ابن الرومي وجهٌ آخر ، تظهر فيه الألوان القاتمة بشكل أوضح، فقد وصل بخله إلى حرمان أضيافه ثواب الصوم بدسه غلامه لهم ، فيشتمون سـيده ومولاه، فيذهب أجر صيامهم ، يقول ([5]):

بخيـل يـصوِّمُ أضـيافَهُ ... ويَبْخَـلُ عـنهمْ بـأجرِ الـصّيامِ
يـدسّ الغـلامَ فيـوليهمُ ... جفـاءً فيُـشْتَمُ مـولى الغـلامِ
فيحتـالُ بُخـلاً لأن يُفطـروا ... على رفثِ القـولِ دون الطّعـامِ

ويسخر من تحصن بخيله ، إذ لا مبرر له ، لأنه لا قيمة لعطائه ، وهو في

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج1 ، ص 332 .
([2]) احتيال أريب : أي العاقل اللبيب .
([3]) المحاجر : جمع محجر ، مادار بالعين .
([4]) الراكع (هنا) : المائل ، الثردة : الفتة بالمرق أو الثريد باللحم ، المأدومة : الممزوجة بالأدم ، هالة المصلوب : صب اللحم المشوي .
([5]) ديوان ابن الرومي ج 6 ، ص 11.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حالته هذه مثل شجر الينبوت الذي يدافع بشوكه عن الخروب ، يقول ([1]) :

فكأنـــك الينبـــوت فـــي إبدائـــه شوكا يذودُ بـــه عـــن الخـــروب
لـــو كـــان نائلـــك المحبّـــبُ نـــائلاً لعذرْتُ مَنْعةَ بابـــكَ المحجـــوبِ

ويظهر عند بخيله في موطن آخر إحساس جديد ، فقد توجه إلى رغيفه توجه إشفاق ، يفوق إشفاق الوالد على ولده ، ويصل إلى مرحلة الاتحاد مع رغيفه ، فالثاني بمثابة الروح للأول ، وحتى يلغي أي احتمال للتضحية والإيثار – لأن الإنسان قـد يضحي بروحه – خص هذه الصورة بالجبان الذي يفوق كل البشر في حرصه على نفسه ، يقول ([2]):

فتـــىً علـــى خبـــزه ونائلـــه أشفقُ مـــن والـــدٍ علـــى ولـــده
رغيفُـــه منـــه حـــين يـــسألُهُ مكانُ روح الجبانِ مـــن جـــسده

ويلفت الانتباه عند ابن الرومي التركيز على شخصية عيسى بن موســى بــن المتوكل ، فقد جعلها رمزاً للبخل ، ولهذا سعى إلى مسخها وتجريدها مـــن صـــفات كثيرة ، يقول ([3]):

يقتِّـــرُ عيـــسى علـــى نفـــسه ولـــيس ببـــاقٍ ولا خالـــدِ
فلـــو يـــستطيعُ لتقتيـــرهِ تـــنفَّسَ مـــن منخـــرٍ واحـــد
عـــذرناه أيـــام إعدامـــه فمـــا عُـــذْرُ ذي بَخَـــلٍ واجـــدِ؟[4]

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج 1 ، ص 381 .
([2]) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 301 .
([3]) المصدر نفسه : ج 2 ، ص 160 .
[4]) الإعدام : الفقر المدقع ، الواجد الغني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو استطاع عيسى أن يتنفس من منخر واحد لفعل ، لكنَّ التنفس من منخر واحد يكاد يكون مستحيلاً ، ويلجأ ابن الرومي إلى تصوير مشاعره الداخلية أثناء زيارة ضيف له ، يقول ([1]):

أكلتُ رغيفاً عند عيسى فملَّني ... وكان كهمِّي من محبٍّ مُقَرَّبِ
رآني قليلَ الخوفِ من لحظاتهِ ... وذلك من شأني له غيرُ معجِبِ ([2])
يريد أكيلاً رزؤه من طعامهِ ... كرُزْءِ كتابٍ من تُراب مُتَرَّبِ ([3])
إذا لحظتهُ عينُهُ عند مضغهِ ... طوى الأُنْسَ طيَّ الخائفِ المترقِّبِ

لقد أراد ابن الرومي أن ينقل نبضات قلب عيسى وأحاسيسه ونظرات عيونه ، فهو يريد ممن يؤاكله ألا يصيب من أكله إلاّ بمقدار ما يصيب الكتاب من التراب إذا أُلقي عليه ، و شبه ابن الرومي الضيف بالخائف الذي يترقب الأذى، وأراد ابن الرومي منه أن يخاف ويسكن ويقف عن الأكل إذا وقعت عيناه عليه .

ويدعو إلى التزوّد من الأكل عند زيارة عيسى ، إذ من الصعب تكرر تلك الأكلة فهي مثل عنقاء مغرب ([4])، ويحبّ في مفارقة غريبة أن يكون بطن أكيله ضامراً ، وبطنه ممتلئاً كبطن المرأة التي حانت ولادتها، ولهذا لا يطرب عيسى إذا سمع أضراس الأكيل ، يقول ([5]):

يحبُّ الخميصَ من أكلائه ... ويضحي ويمسي بطنه بطن مقربِ
وما أنسُ ذي أنسْ لعيسى بمؤنس ... ولا وقع أضراس الأكيل بمطربِ
تزود إذا آكلته فهي أكلة ... وما أختها إلا كعنقاء مغربِ

([1])المصدر نفسه: ج1 ، ص 154 ، 155

([2]) لحظاته : أي لحظات الأكيل التي يواجهها عند الأكل .

([3]) الرزء : مصدر رزأه ماله ، أي أصاب من ماله ، ورزأه طعامه : أصاب منه شيئاً .

([4]) عنقاء مغرب : طائر لا وجود له إلا اسمه ، ويُضرَب مثلاً لاستحالة حدوث الشيء.
انظر الجاحظ: الحيوان، ج7، ص51.

([5]) ديوان ابن الرومي : ج1 ، ص 154 ، 155

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ج) السخرية من ضعف الرجولة ، والجبن

يسخر دعبل من بني فضل مردداً أنّه لا يستطيع أن يميز ذكورهم من إناثهم ، ويؤكد هذا المعنى باستلهامه قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز ، يقول [1] :

إذا رأيت بني فَضْلٍ بمنزلةٍ لم تَدْرِ أيُّهُم الأنثى من الذَّكَرِ
قميصُ أُنثاهُمُ ينقدُّ من قُبُلٍ وقميصُ ذُكْرانِهِمْ تنقدُّ من دُبُرِ

ولجأ دعبل هنا إلى نقل الأدوار ومبادلتها ، ففي العادة الرجل هو الطالب ، والمرأة هي المطلوب ، ولذلك فإن قميص الأنثى يقد من دبر نتيجة التمنّع والإدبار لكنَّ دعبل نقل الأدوار ليؤكد ما ذهب إليه في البيت الأول .

ويسخر ابن الرومي من (خالد والشوكي) معتبراً الأول أما والثاني أباً ، يقول [2]:

خالد أمٌّ وأنت أبٌ أيّها الشّوكيّ لا كَذِبا
قد فصلتُ الحكمَ بينكما فاستريحا ، طال ذا تعبا

ومن العيوب النفسية التي سخروا منها الجبن ، فهذا دعبل يسخر من جبن أبي سعد المخزومي ، فهو يتردد في الإقبال على المعركة ، وكأنه وضع على نفسه حارساً يحميها من نفسه إذا فكرت بالإقدام ، يقول [3]:

كأنما نفسُهُ من طولِ حيرتها منها على نفسه يوم الوغى رصدُ

([1]) ديوان دعبل ، ص 180 .
([2]) ديوان ابن الرومي : ج1 ، ص 313 .
([3]) ديوان دعبل ، ص 60 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسخر دعبل من جبن إسماعيل بن جعفر الذي هرب من زيد بن موسى وخلى حريمه ، يقول [1]:

لقد خلَّفَ الاهوازَ من خَلْـفِ ظهـرهِ وزيدٌ وراء الزَّابِ من أَرض كَسْكَرِ
يهِّـول اسـماعيلُ بـالبيض والقَنـا وقد فرَّ من زيد بن موسـى بـن
وعاينتُهُ فـي يـومِ خلّـى حريمـه جعفـــــــــــــــــــــــــــــرِ
فيا قُبْحها منه ، ويا حُسْنَ منظـر

وكشف في سخريته عن جبن أمير مصر المطّلب بـن عبـد الله بـن مالـك الخزاعي وجعل حظ جنوده القتل بسبب إمارته عليهم ، وحظّ أعدائهم حمل السيف، ثم جعل شعاره في المعركة الفرار ، ولهذا تجده آخر من يواجه ، وأول من يفـر مـن المعركة ، يقول [2]:

إذا الحـرب كنـتَ أميـراً لهـا فحظّهُـمُ منـك أن يُقتلـوا
فمنـك الـرؤوس غـداة اللقـاء وممّـن يحاربُـكَ المُنْـصَل
شعارك في الحـرب يـوم الـوغى، إذا انهزمـوا : عجِّلـوا عجِّلـوا
فأنـت لأوّلهـم ، آخِـرٌ وأنـتَ لآخـرهمْ أَوَّلُ

وسخر ابن الرومي من جبن الحسين بن إسماعيل الطاهري بقوله [3]:

وفـارس مـا شـئت مـن فـارسٍ يهـزمُ صـفّينِ مـن القَمْـلِ

([1]) ديوان دعبل ، ص 127 .
([2]) المصدر نفسه،ص127.
([3])ديوان ابن الرومي ج5 ، ص 103 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلغة التهكم تظهر في جعله فارسا يحارب جيشا من القمل ، وهـذه الـصورة تصغّره وتجعله حشرة لا تقوى على شيء.

د) السخرية من الأنساب :

اختلفت دوافع الشعراء من وراء هذه السخرية ، فبعضهم كانت سخريته بدوافع شخصيته نتيجة بعض المواقف المؤذية ، وبعضهم استغلها للتعبير عن موقفٍ عدائي، ومن ذلك سخرية بشار من خلف بن أبي عمرو ، وكان قد مازحه وذكّره أنه مولى ، فغضب ، وقال فيه [1]:

ارفـقْ بعَمـرٍو إذا حرَّكْـتَ نـسبتَهُ فإنّـه عربـيٌّ مـن قـواريرِ

وبعضهم سخر من النسب ، لدفع حصول مصاهرة ، فهذا مروان بـن أبـي حفصة يعرّض بمصاهرة بني مطر ، ولذلك بعث كتاباً إلى أخ العروس وهـي مـن قومه ، يقول فيه ([2]):

لو كُنتَ أَشبَهتَ يحيـى فـي مُناكحـه لما تنقّيـت فحـلاً جَـدُّهُ مطـرُ
لله درُّ جيـادٍ كُنـتَ سائـسها ضيَّعتها وبها التحجيـلُ والغُـرَرُ
نبّئـتُ خَولـةَ قالـت يـوم أنكَحَهـا قد طالما كُنتُ منكَ العارَ أنتظـرُ

([1]) الأصفهاني : الأغاني ، ج3 ، ص 133 .

([2]) المصدر نفسه : ج10 ، ص 306 .

وينسب ابن قتيبة الأبيات السابقة إلى رجلٍ يقال له القلاخ العنبري قالها في مروان بن حفصة عندما تزوج خولة بنت مقاتل بنت طلبة بن قيس بن عاصم سيّد أهل الوبر، مع اختلاف بسيط في الأبيات.

انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ص 460.

ونسب المرزباني هذه الأبيات إلى القلاخ قالها في يحيى بن أبي حفصة عندما تزوج بنت مقاتل ومهرها ثياباً.

المرزباني: معجم الشعراء،ص 227.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالشاعر يتهم أخا العروس بأنه لم يكن على قدر المسؤولية التي تكفّل بها فأضاعَ أخته التي طالما خافت من هذا اليوم، وهي لم تكن تترقب منه إلا الخزي والعار.

واستسخف أبو نواس بنسب الفضل الرقاشي ، ونفى عنه أصالته العربية ، وذَكَر أنها مزيّفة ، وليست بخلق خالق ، وكلّ ما يصطنعه من مظاهر ليلحق بالأعراب ادعاء كاذب ، لأنه لا يصلح حتّى لحمل سقاء اللبن وأقداح الحليب ، ويصلح لحمل الإبريق فحسب، يقول ([1]):

يا عربياً من صنعة السوق وصنعةُ السّوق ذاتُ تشقيق
ما رأيكم يا نزارُ في رَجُلٍ يدخُلُ فيكم مِن خَلَق مخلوق
ويحملُ الوطبَ والعلابَ ولا يصلحُ إلا لحمل إبريق

ولم يكتف أبو نواس بهذا الحد ، بل أراد أن يخبر كل الناس بأصل الرقاشي المزيف ، ولهذا ضرب على الطبل للتشهير به ، يقول ([2]):

لقد ضربنا على الطّبلِ أنَّك في القومِ صحيح وصيح بالبوق

ويوجه أبو نواس سخرية لاذعة للهيثم بن عدي ([3]) ويشكك في أصله ، ويروى أن الهيثم بن عدي كان يتعرض لمثالب الناس ، ولذلك كرهه الناس وحبسه الرشيد سنتين ([4]) ومن سخرية أبي نواس من الهيثم قوله ([5]):

([1]) ابن منظور المصري ، أبو نواس ، ص 44 .

([2]) المصدر نفسه ، ص 44 .

([3]) الهيثم بن عدي : هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدي بن زيد بن لبيد بن جابر الطائي الكوفي . كان إخباريا ، راوية للأشعار ، نقل من كلام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً ، كان أبوه نازلاً بواسط ، وكان فيه خير . كان يرى رأي الخوارج واستعمل على صدقات بني فزارة ، أدرك المهدي والرشيد والأمين ، ومات في أيام المأمون سنة 207هـ ، وله تآليف كثيرة في اللغة والأخبار تزيد على الخمسين . أنظر ابن منظور المصري ، أبو نواس ، ص 144 ، 145 .

([4]) ابن منظور المصري ، أبو نواس ، ص 144 ، 145 .

([5]) المصدر نفسه ، ص 146 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحمــدُ لله هــذا أعجــبُ العجــبِ الهيثم بن عديٍّ صار في العــرب!.
يا هيثم بــن عــدي لــست للعــرب ولست من طيّءٍ إلا علــى شَــغَبِ

ومرَّ أبو نواس بمجلس الهيثم دون أن يعرفه الهيثم ، فلــم يعــره اهتمامــاً ، فانصرف أبو نواس مغضبا ، وهجاه بجملة من الأهاجي ، تدور كلها على السخرية من ادعائه العربية ، والتهكم به ، متهما إياه بالتلون . وقد أقسم أبو نواس الاَّ يهجــو دعياً؛ لأنه لا يستحق شرف الهجاء ، يقول ([1]):

مــررت بهيــثم بــن عــدي يومــاً وقِــدماً كنــت أمنحــه الــصَّفاءَ
فــأعرضَ هيــثم لمــا رآنــي كــأنّي قــد هجــوتُ الأدعيــاءَ
وقــد آليــت لا أهجــو دعيّــاً ولــو بلغــت مروءتــه الــسماءَ

ولاحق أبو نواس رجلاً بدوياً اسمه حمدان بن زكريا ، وكان مولعاً بهجاء أبي نواس ، ومعارضته في البراري ، وحاول أبو نواس أن يخرجه من الأحرار ، فجعله متذبذباً ، فما هو بالحر وما هو بالعبد ، ولو كان يعلم آدم عليه السلام أنه سيكون من ذريته لما أنجب أحداً ، يقول ([2]):

قــولا لحمــدانَ ومــا شــيمتي أن أُظهِــرَ الــودَّ لــه مُخلِــصا
مــا أنــت بــالحرِّ فتلحــى ولا بالعَبــد نــستعتبهُ بالعــصا
فرحمــــةُ الله علــــى آدمٍ رحمةُ من عمَّم ومــن خصَّــصا
لــو كــان يــدري أنــه خــارجٌ مثلك مــن جِرذانــه لاختــصى

وشبيه بقولِ أبي نواس هذا قول مسلم بن الوليد في نسب العبّاس بن الأحنف ([3]):

([1]) ابن منظور المصري ، أبو نواس ، ص 145 ، 146 ، 148 .
([2]) المصدر نفسه ، ص 124 .
([3]) الأغاني : ج 19 ، ص 41 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنو حنيفة لا يرضـــى الـــدَّعِيُّ بهـــم فاترك حنيفةَ واطلب غيرها نسبا
فاذهب فأنتَ طليـــقُ الحِلـــمِ مـــرتَهنٌ بسورةِ الجهلِ ما لم أملك الغضبا

فمسلم يحاول إقناع العباس بن الأحنف بالتخلي عن ادّعائه الانتساب إلى بني حنيفـــة؛ لأنهم لن يقبلوه بينهم، لذلك عليه أن يبحث عن نسب آخر يكون على شاكلته.

وقلّل دعبل من شأن الهيثم بن عدي ومن شأن أحمد بن أبي دؤاد ، وكانت لغته مع الهيثم قاسية، فشكك في انتسابه لأبيه ، واعتمد في ذلك على علم ودرايـــة كمـــا يقول، فقد استعان بوالده العارف بالأنساب، حتى لا يبقي للهيثم حجة في الدفاع عـــن نفسه أو إبطال ما قاله فيه ، يقول ([1]):

ســـألت أبـــي وكـــان أبـــي عليمـــاً بأخبـــار الحواضـــر والبـــوادي
فقلـــــت أهيـــــثمُ مـــــن عـــــديٍّ فقـــال كأحمـــد بـــن أبـــي دؤاد
فـــإن يـــكُ هيـــثمً مـــنهم صـــميماً فأحمـــد غيـــر شـــكّ مـــن إيـــاد

وهجا دعبل رجلاً طائياً ، فجعله خامل الذكر ، وسخر من قبيلته، فربط ذكرها بالسواد والتشاؤم ، فلو ذكر اسمها من مسافة بعيدة لانطفأ الضوء ، وسادت العتمة . يقول ([2]):

أنظـــــر إليـــــه وإلـــــى ظَرْفـــــهِ كيـــفَ تطايـــا وهـــو منـــشورُ
ويلـــــكَ مَـــــن دلاك فـــــي نِـــــسبةٍ قلبُـــكَ منهـــا الـــدَّهرُ مـــذعورُ
لـــو ذُكِـــرت طـــيٌّ علـــى فرســـخٍ أظلَـــمَ فـــي نـــاظِرِكَ النُّـــورُ

وقلّل أيضاً من شأن أبي نصير بن سعيد ، وجعله متذبذباً في نسبه، يتعلق في كلّ يوم بأذيال نسبٍ جديد، يقول ([1]):

([1]) ديوان دعبل ص 84 ، 85 .
([2]) المصدر نفسه ، ص 174 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــلّ يـــوم لأبـــي سعـــــ ـــيدٍ علـــى الأنـــساب غـــاره
فهـــو يومـــاً فـــي تمـــيم وهـــو يومـــا فـــي فـــزاره

وأفادَ ابن الرومي من هذا المعنى في سخريته من أبي بكر الحريثي ، فقال([2]):

للحُريثـــي أبـــي بكـــر غَبَـــبْ وله قرنـــانِ أيـــضاً وذنـــبْ ([3])
فـــإذا مـــا قـــال : إنّـــا عجـــمٌ قال قرناهُ جميعـــاً : قـــد كـــذبْ
وإذا مـــا قـــال : إنَّـــا عـــربٌ دفعتْ ذاك ولم تـــرضَ العـــربْ
وإذا مـــا قـــال : إنـــي شـــاعِرٌ قيل : خُذ كُـــلَّ شـــقيٍّ بـــالطّربْ

فقد صوّر ابن الرومي مهجوه بأبشع الصور لتحقيره والإزراء به ، فذكر أنه ثور له قرنان ، ولحم متدلٍّ تحت الحنك ، وإذا زعم أنه من العجم فهو كاذب، وقرناه يكذّبانه ، إذ لا يرضى قوم أن يكون منهم رجل بقرنين ، وإذا زعم أنه من العرب ، رفضته العرب كذلك ، وإذا ادعى أنه شاعر فهو شقي ، لأنه يعجز عن قول الشعر .

وينفي عنه في موطن آخر أي مفاخر منكراً عليه أن يكون خلفاً لسلف صالح؛ لأنّ أمه أخفت عنه أسماء آبائه، فلم يعترف بنسبه أحد ، ويتمنى لو أنها أنبأته ، ثـم يجعل نسبه في حركة دائمة، يختلف في كل يوم عن سابقه ، لأنه يجهل أَباه ، وينفي أن يكون من رجل واحد . يقول ([4]):

مـــا تـــرى لابـــن حُريـــثٍ حَـــسَباً أتراهُ جاء مـــن بـــيض التُّـــرب؟
كتمتـــــهُ أمُّـــــه آبـــــاءه فلهـــذا أنكـــر القـــومُ النَّـــسب
ليتهـــا أنبْأتـــه عـــن آبائـــه فلقد صُـــوِّرَ فـــي خلـــقٍ عجـــب
كـــلّ يـــومٍ لـــك فيـــه نـــسبً زادك الرَّحمَنُ في هـــذا التّعـــب

([1]) المصدر نفسه ، ص 174 .
([2]) ديوان ابن الرومي : ج1 ، ص 309 .
([3]) الغبب : اللحم المتدلّي تحت الحنك .
([4]) ديوان ابن الرومي : ج1 ، ص 309 ، 310 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـــسْتَ مـــن نُطفـــةِ فحـــلٍ واحـــدٍ أنتَ مـــن كُـــلِّ قريـــبٍ وَجُنُـــب

ويفصلُ ابن الرومي بين شكل الإنسان ومنبته ، فعلى الرغم من بهاء الوجوه وجمالها إلاّ أنها أحيانا تخدع ، فيتبين أن المنبت والأصل سيئان ، فكم بريق يعكـس وجهاً آخر يقابل النَّضارة ويكون نقيضه ! ولا أدلَّ على ذلك من لمعان الأرض مـن بعيد ، فتحسب روضة ، فإذا ما اقتُرب منها تبين أنها دمنة معشبة ، يقول ([1]):

دعتنـــي الـــى فـــضل معـــروفكم وجـــوهٌ مناظرُهـــا مُعجِبـــهْ
فـــاخلفتم مـــا توسّـــمته وقَـــلّ حميـــدٌ علـــى تجربـــهْ
وكـــم لُمْعـــة خِلتُهـــا روضـــة فالفيتُهـــا دِمنـــةً معـــشبهْ
ظَلَمـــتكُمُ : لا تطيـــبُ الفـــرو عُ إلا وأعراقهـــا طيّبـــهْ

هـــ) السخرية من الغباء والثقل والسماجة:

وقف الشعراء على هذه الصفات وأنكروها ، ولاحقوا أصحابها ،فمن السخرية من الغباء ما روي عن بشار بن برد ، إذ دخل عليه رجل غريب فسأله عن منـزل رجل ذكره له ، فجعل بشار يصفه له ، ويفهمه فلا يفهم ، فأخذ بشار بيده إلى أن بلغ منزل الرجل ، وهو يقول ([2]):

أعمى يقود بـــصيرا ، لا أبـــا لكـــمُ قد ضلّ من كانت العميان تهديـــه

فلما وصل به إلى منزل الرجل ، قال له : هذا منزله يا أعمى .

وسخروا أيضاً من الثقل والسماجة ، في صور مختلفة ، ترتد بالإنسان إلـــى واقع الحياة ، ليتمثل مشاعر الرفض التي يعيشها من يعاشر أمثال هـــؤلاء ممـــن لا يمتلكون الذوق السليم في التعامل مع الناس ، فهذا مطيع بن إياس يجعل من خصمه

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج1 ، ص 138 ، 139 .
([2]) انظر الصفدي ، نكت الهميان ، ص 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أثقل الناس ، وهو في كره الناس له ، واستيائهم من حضوره، يشبه رياح الصيف الجافة التي لا تحمل معها سوى المعاناة ، وأما في الشتاء فهو أثقل عليهم من الجليد ، ثمّ يساوي بين ثقل هذا الشخص في الآخرة وثقله في الدنيا ، في قوله ([1]):

قل لعبّاسٍ أخينا ... يا ثقيلَ الثَقَلاءِ
أنتَ في الصَّيفِ سَمُومٌ ... وجليدٌ في الشّتاءِ
أنتَ في الأرضِ ثَقيلٌ ... وثقيلٌ في السَّماءِ

ويسخر مطيع بن إياس من حمادٍ الراوية ، ويستثقل لقاءه ، إذ يُروى أن حماداً كتب إليه ([2]):

هل لذي حاجة إليك سبيلُ ... لا يُطيلُ الجلوسَ فيمن يطيلُ

فلما قرأ البيت كتب إليه ([3]):

أنت يا صاحبَ الكتابِ ثقيلُ ... وكثير من الثقيلِ القليلُ

وسخر أبو الشمقمق من بعض الثقلاء ، وجعله ذباباً يسقط في مرقه ، يقول ([4]):

أسمَجُ الناسِ جميعاً كُلِّهِمْ ... كذُبابٍ ساقطٍ في مَرَقه

وأما ثقيل أبي نواس فقد خاف أن تميد الأرض به ، فجمع في ذاته ثقل المخلوقات كلّها، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى ([1]): "وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم".

([1]) غوستاف غون غربناوم : شعراء عباسيون ص 30 .
([2]) المصدر نفسه ، ص 64 .
([3]) المصدر نفسه ، ص 64 .
([4]) المصدر نفسه ، ص 157 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر أنه إذا رأى هذا الثقيل فإنه يغصّ ، يقول ([2]):

خـــافَ مِـــنَ الأرضِ أن تميـــدَ بـــهِ فأوســـعَ النـــاسَ كلّهـــم ثِقَـــلا
أشـــرَقُ بالكـــأسِ حـــين أنظـــرُهُ ولو شـــرِبتُ الـــزّلالَ والعَـــسَلا

ويستثقل رجلا آخر فيجعل لقاءه أشد من وقع السكين على الأحشاء، يقول ([3]):

ثقيـــلٌ يطالعُنـــا مـــن أمـــمْ، إذا ســـــرّهُ أنفـــــي ألـــــمْ
لطلعتِـــهِ وخـــزةٌ فـــي الحَـــشَا، كوقعِ المشارطِ في المحـــتَجِم ([4])
أقـــول لـــهُ إذ أتـــى : لا أتـــى ، ولا نَقَلتـــــه إلينـــــا قـــــدم
فقـــدت خيالـــك لا مـــن عمـــى ، وصوتَ كلامِكَ لا مـــن صَـــمَم
تغَـــطَّ بمـــا شِـــئتَ عـــن نـــاظري ، ولـــو بـــالرِّداءِ بـــه تَلتَـــئِم

ويبلغ الشاعر عمقاً ودقة في البيتين الأخيرين ، فيصل بمهجوّه إلـى العـدم، ويصرّح بلغة الاستهزاء والاستهتار أنّ مهجوّه لم يرقَ إلى مـستوى البـشر حتّـى يخاطبه ويجالسه، لذلك يأمره بالاختفاء عن وجهه.

ويصف أبو نواس ثقيلاً آخر ، يروى أنه أثقل من جبل أحـد ، فـلا مـسرَّة لصديقه أبداً ، لأنه عابس متجهّم ، وعلامة البغض ظاهرة على وجهه مذ كان فـي المهد، وهو لشدة برودته لو أدخل النار لأطفأ حرها ومات من فيهـا مـن البـرد ، يقـول([5]):

لـــي صـــاحبٌ أَثقَـــلُ مـــن أُحـــدِ ، قرينُـــهُ مـــا عـــاشَ فـــي جَهـــدِ

([1]) سورة النحل : آية 15 .
([2]) ديوان أبي نواس ، ص 480 .
([3]) المصدر نفسه ، ص 529 ، 530 .
([4]) المحتجم : الذي يطلب الحجامة ، أي المداواة والمعالجة .
([5]) ديوان أبي نواس ، ص 207 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

علامـــة الـــبغضِ علـــى وجهـــهِ ، بيِّنـــةٌ مـــذ حَـــلَّ فـــي المَهـــدِ
لـــو دخـــل النـــارَ طفـــى حرَّهـــا ، فمـــات مـــن فيهـــا مـــن البَـــردِ

وتنوعت الأوصاف عند ابن الرومي في هذا الباب ، فمن سخريته قوله فـي رجل يسمى أبا القاسم ([1]):

يا أبا القاســم الــذي لــيس يَــدري أرصـــاصٌ كِيانُـــهُ أم حديـــدُ ؟
أنتَ عندي كماء بئرِك فـي الـصيـ ـف ثقيل يعلـوك بَـردٌ شـديدُ

ومن الملاحظ أن الشاعر قد استعان بعناصر ثقيلة مادياً ، للتعبير عن الثقـل المعنوي ، وهذا ينم عن ذكاء ومهارة في التوظيف ، فقد قابـل بـين ثقلـه وثقـل الرصاص والحديد ، وقابل بين برودته وبرودة ماء البئر في الصيف ، وفـي كلتـا الصورتين أراد الجانب المعنوي.

وفي صورة أخرى يجعل ابن الرومي من الصمت عند ثقيله أمراً مزعجـاً ، وذلك لطوله حتى أنه يهيأ لمن يراه أنه يضع في فمه كسرة خبز ، ثم يـضيف إلـى صمته تجهماً مزعجاً مؤذياً ، مما يجعله أثقل من يوم السبت ، على تلميـذ بليـد ، ومخبول ، يقول ([2]):

يـــؤذي النـــدامى بعـــد طـــول الـــصمتِ.
معـــــبسُ الوجـــــهِ طويـــــلُ الـــــسكتِ.
كأنمـــــا عـــــضَّ علـــــى جُلَّفـــــتِ ([3])
أثقـــــلُ مـــــن طلعـــــةِ يـــــوم الـــــسبت.
علـــــى ابـــــن كتَّـــــاب بليـــــدٍ هَبْـــــتِ ([4]).

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج2 ، ص 204 ، 205 .
([2]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 444 .
([3]) الجلفت : كسرة خبز .
([4]) الهبت : المخبول

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مذبـــــــذب بـــــــين الجهـــــــاتِ الـــــــستِ.

ويبدو أنّه خصّ يوم السّبت دون باقي الأيام؛ لأنّه تالٍ ليوم الجمعة اللذين يكون فيه البليد مسترخياً، غير راغب في انقضائه، والانتظام في الدراسة من جديد.

ويضيف ابن الرومي إلى الثقلين الذي يمسكان الأرض ثقـــلاً ثالثـــاً ، وهـــو مهجوه، وهذه من المبالغات التي لجأ إليها ابن الرومي ، بقول ([1]):

كـــــان لـــــلأرض مـــــرة ثِقـــــلانِ فلهـــــا اليـــــومَ ثالـــــثٌ بفـــــلانِ
أَتقِـــي غـــصةَ اســـمهِ علـــمَ اللَّـــــ ـــهُ فأكِني عن ذكـــره بالمعـــاني
يـــا ثقيـــلَ الثّقـــالِ أقـــذيتَ عينـــي ليـــتَ أَنّـــي كمـــا أراك ترانـــي

ويكرر المعنى ذاته في موطن آخر ، إذ يقول ([2]):

حمَّـــــلَ الله أرضـــــه ثقلَيهـــــا وعلاهـــــا بثالـــــث فيـــــهِ إدّ ([3])

ويقارن بين رؤية ثقيله ورؤية النائحة ، ويجعل رؤيته أثقـــل مـــن رؤيتهـــا، يقول([4]):

كـــأن بغـــداد لـــدن أبـــصرتْ طلعتَـــــه نائحـــــةٌ تلتـــــدمْ

ويجرّد هذا الثقيل من أيّة خفّة أو مرح ، لأن مرحه لا يثير في النفس القبول ، بسبب برودة صاحبه وثقله ، يقول ([5]):

([1]) ديوان ابن الرومي : ج6 ، ص 215 .
([2]) المصدر نفسه : ج2 ، ص 184 .
([3]) الإد : الأمر الفظيع والداهية المنكرة.
([4]) ديوان ابن الرومي : ج6 ، ص 8 .
([5]) ديوان ابن الرومي: ج2 ، ص 17 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذا مـــــــــازح امـــــــــراً جمـــــد الـــــروح أو ثَلـــــجْ

وسخر ابن الرومي من تقلّب أخلاق الأخرق ، فهو لا يثبت على حال ،فتـــارة تجده سهلاً ، وتارة أخرى تجده صعباً ، يقول ([1]):

وأخـــــرقَ تُـــــضَرّمُهُ نَفْحـــــة ســـــفاهاً وتطفئـــــه تَفَلَـــــهْ
فأخلاقُـــــه تـــــارةً وَعـــــرةٌ وأخلاقُـــــهُ تـــــارةً ســـــهلَهْ

و) السخرية من التناقض في حياة الشخص .

إن الساخر يرى بعين الناقد ، وهو أقدر الناس على التقاط الأخطاء والعيـــوب ، ويطمح دائماً إلى المثال ، ولا يتورع في التكبير والمبالغة ليشكل موقفاً من غيـــره ، وقد يتناسى الساخر إيجابيات المهجو كلها ، ولا ينظر إليه إلا من خلال خطئه ، فهذا سلم الخاسر يسخر من زهد أبي العتاهية الذي يخالف كما يعتقد معنى الزهد الحقيقي الذي ينادى به في وعظه ، فلو كان زاهداً صادقاً كما يقول ، لجعـــل بيتـــه مكانـــاً للعبـــادة ، ولابتعد عن مغريات الحياة وزخرفها يقول ([2]):

مـــا أقـــبح التزهيـــد مـــن واعـــظ يزهـــد فـــي النـــاس ولا يزهـــدُ
لـــو كـــان فـــي تزهيـــده صـــادقاً أضحى وأمـــسى بيتـــه المـــسجدُ
ورفـــض الـــدنيا ولـــم يلقهـــا ولـــم يكـــن يـــسعى ويـــسترفدُ
يخـــافُ أنْ تنفَـــدَ أرزاقـــهُ والـــرزقُ عنـــدَ اللهِ لا ينفَـــدُ

([1]) المصدر نفسه : ج5 ، ص 171 .

([2]) غوستاف فون غرباوم : شعراء عباسيون : ص 97 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويسخر دعبل من شخص يرى في شكله قيمة تغاير جوهره الحقيقي ، فهو في ظاهره قوي وشجاع ، ولكنه في واقع الأمر جبان ، ضعيف كالشاة ، يقول ([1]):

كأنـــه كـــبش إذا مـــا بـــدا لكنّـــه فـــي طبعـــه نعجـــةْ

ز) السخرية من إخلاف الوعد .

لم يتهاون الشعراء مع أصحاب هذا الخلق السيئ الذي عدّه الإسلام علامة من علامات النّفاق، بل انبروا في تتبع أصحابه وكشف مواقفهم، ومن ذلك ما قاله أبـــو دلامة في علي بن صالح ([2]):

لعلـــيَّ بـــنِ صـــالحِ بـــنِ علـــيٍّ حَـــسَبٌ لـــو يُعينُـــهُ بـــسَمَاحِ
ومواعيـــدُهُ الرِّيـــاحُ فهـــل أنـــ ـــتَ بِكَفَّيـــكَ قـــابضٌ للرِّيـــاحِ

فمواعيد صالح تتحقق إذا ما قبضت الريح ، وأما بشار فيكشف في ســخريته كذب حماد ، وعدم وفائه بمواعيده ، ويجعل منه مثل السّماء التي تخدع أحياناً فيظن أنها سترعد ، ولكنها تبرق فحسب ، ثم يؤكد هذه الصفة ، بتشبيه وعوده بالـــسّراب الخدّاع يقول [3]:

مواعيـــدُ حمّـــادٍ ســـماءٌ مخيلـــةٌ تكشّفُ عن رعدٍ ولكـــن ســـتبرقُ
إذا جئتَـــه يومـــاً أحـــال علـــى غـــدٍ كما وعدُ الكمُّون ما ليس يصدقُ [4]

([1]) ديوان دعبل : ص 52 .

([2]) ديوان أبي دلامة : ص 44 .

([3]) الأغاني : ج4 ، ص 467 ، 468 .

([4]) يعني أنه يسوّف كثيراً ، ومن ذلك قول أحد الشعراء :

لا يجعلنا كمكمون بمزرعةٍ إن فاته الماءُ أروته المواعيدُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما زلت استأنيك حتى حسرتني بوعدٍ كجار الآلِ يخفى ويخفق [1]

ونَدِم حمّاد عجرد على مصادقته لمطيع بن إياس، وشكا من مماطلته وإخلافه الوعد، واتهمه بالتغير والتبّدل، وأنه لا يثبت على حال، مما يجعل التعامل معه صعباً مزعجاً ([2]) يقول:

يا مطيع النّذلُ أنت الـ يومَ مخذول جهولُ
لا يغرّنْك غَرورٌ ذو أفانين ملولُ
ليس يحلو الفعل منه وهو يحلو ما يقولُ
ملذّانيّ مع الرّيـ ح إذا مالت يميلُ([3])
وجواد بالمواعيـ د وبالبذل بخيلُ
ليس يرضيه من الجُعْـ ل كثيرٌ أو قليلُ
ذاكَ ما اخترتُ خليلاً بئس والله الخليل
إنّما يكفيك أن يـ أ تيك في السر رسولُ
ساخراً منك يمنّيـ ك أمانيّ تطول([4])

الأغاني :ج4، ص468،467.

([1]) استأني به : انتظر به ، الآل : السراب ، وقيل : الآل هو الذي يكون ضحى ، كالماء بين السماء والأرض ، أما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطنا بالأرض.

انظر الأغاني : ج4 ، ص 467 ، 468 .

([2]) المصدر نفسه، ج14، ص498.

([3]) الملذاني: الكذوب الذي لا يصح ودّه.

([4]) قيل إن سبب هذه الأبيات أن حماد عجرد كان يهوى غلاماً من أهل البصرة ، وكان موصوفاً بالجمال، واندس له مطيع بن إياس، ونشب بينهما هجاء بسببه.

الأغاني: ج14، 498.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولم يكن حماد يتهاون في إخلاف وعدٍ قُطع له، بل كان يتبعه بسخرية حـادّة فيكشف الأمر ويعرّض بصاحبه ومما روي عنه ، أن محمدا بن أبي العباس قد وعد حماداً أن يحمله على بغل ثمّ تشاغل عنه ، فكتب إليه حماد يقول([1]):

أمـــا تـــذكر يـــا مـــولا يَ ميعـــادك فـــي البغـــل؟
وذاك الـــرّجس فـــي الـــدار جلـــيس لأبـــي ســـهل([2])
يريـــك الحـــزم فـــي الإخـــلا ف للميعـــاد والمطـــل

وربط ابن الرومي بين عاهة التمثل بالحيوان ، حيـث يفقـد المـرء شـرفه وكرامته، والغدر والإخلاف بالوعد وذلك واضح في سخريته من ابن الطـاهر ، إذ يقول ([3]):

رأيتـــك تنبحنـــي ســـادراً كفعلـــك بـــالقمرِ البـــاهر
ومـــا زال ذلـــك دأبُ الكـــلا ب ومـــا ذاكَ للبـــدرِ بالـــضّائرِ

ويعدّ هذا التّوظيف شكلاً متطوّراً، نلمح فيه خلفيّة ملائمة لجو النّص، فتبـدو كأنّها نصّ آخر موازٍ للنصّ الأصلي، مع توافق الظلال وانسجامها، فقد جعـل ابـن الرومي ابن الطاهر كلباً ، ينبحه كلّما رآه كما ينبح الكلب القمر ، ولم يكتف بذلك ، بل جعل الكلب في موطن آخر يتفوق على مهجوه من خلال مفارقة يجريها بينهما ، فالأول وفيّ يحامي عن المواشي ، والثاني ينعدم لديه الوفاء، وتتلاشى عنده النخوة

([1]) الأغاني: ج14، ص497.
([2]) الرِّجس: القذر عنى به عدواً آخر.
([3]) ديوان ابن الرومي : ج3 ن ص 85 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمحاماة ، يقول ([1]):

مقـــابح الكلـــب فيـــك طـــراً يـــزولُ عنهـــا ولا تـــزولُ
والكلـــبُ وافٍ وفيـــك غـــدرٌ ففيـــك عـــن قـــدره سُـــفولُ
وقـــد يحـــامي عـــن المواشـــي ومـــا تُحـــامي ولا تَـــصولُ

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج5 ، 187 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصـــل الرابـــع

السخرية من فئات اجتماعية مختلفة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- السخرية من الزوجات والأزواج والبنات .

تعتبر المرأة الشكل المادّي هو المجسّد لجمالها وأنوثتها؛ لذلك فإنّ السخرية من جسدها له بالغ الأثر في نفسها. ومن الغريب أن نجد من الشعراء من لاحق زوجته بسخريته واستهزائه، وصوّرها بأقبح ما عنده ، لكنّ مثل هذه الغرابة قد تزول عندما نعلم أنّ هذا اللون انحصر عند قلّة من الشعراء، كان كبيرهم أبا دلامة الذي عُرف بمواقفه المبتذلة التي دفعته للسخرية من نفسه([1]) ومن أمّه([2]) وأولاده وزوجته؛ رغبة في إرضاء الخليفة أو طمعا في عطائه أو عطاء زوجته، فها هو ذا يأتي بصورة مشوّهة الملامح رسمها لأمّ عياله، وأرسلها إلى زوجة الخليفة، وأخذ ثمنها مبلغا من المال وجارية ، يقول([3]).

ليس في بيتي لتمهيـ ... ـدِ فراشي منْ قعيدهْ
غيُر عجفاءَ عجوزٍ ... ساقُها مثْلُ القديدهْ([4])
وجهها أقْبحُ من حو ... تٍ طريٍّ في عصيدهْ([5])

وسعى أبو دلامة لاستكمال صورته القبيحة التي رسمها لزوجته، فأتى على علاقتها بأولادها، وغيَّرَ في عواطفها تجاههم، فجعلها قاسية في تعاملها معهم، وتنزعهم حقهم من الحنان، وتأكل نصيبهم ونصيب زوجها من الطّعام، وهذا كلّه يضاف إلى قبح هيئتها، يقول([6]):

([1]) الأصبهاني : الأغاني ، ج10، ص422.
([2]) المصدر نفسه : ج10، ص423 .
([3]) ديوان أبي دلامة ، ص 48 .
([4]) القديدة : لحم مجفّف ، وجلد جاف غير مدبوغ. انظر اللسان، قدد .
([5]) عصيدة : دقيق يلتّ ويقلى بسمن أو زيت .
([6]) ديوان أبي دلامة ، ص79، 80، 81 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا بـــاركَ اللهُ فيهـــا مـــن منبِّهـــةٍ ... هبّت تلومُ عيالي بعـــدما هَجَعـــوا
و مازلتُ أخْلِصُها كسبي فتاكُلُـــه ... دوني ودون عيالي ثم تـــضطجعُ
شوهاءُ مَشنأةٌ فـــي بطنهـــا ثَجَـــلٌ ... وفي المفاصلِ من أوصالها فَدَعُ([1])
ذكّرتُهـــا بكتـــابِ الله حرمتَنـــا ... ولـــم تكـــنْ بكتـــابِ الله تنتفـــعُ
فاخْرنْطمتْ ثمّ قالت وهي مُغْضبَةٌ ... أأنْتَ تتلـــو كتـــابَ اللهِ يـــا لُكَـــعُ
أخْرُجْ لتبْغ لنـــا مـــالاً ومزرعـــةً ... كمـــا لجيراننـــا مـــالٌ ومـــزدرعُ
واخْدع خليفتنـــا عنهـــا بمـــسألةٍ ... إنّ الخليفـــةَ للـــسؤال ينخـــدعُ

فأخضع أبو دلامة لاستجدائه ما تعارف عليه النّاس من قيم وأخلاق، ونسي أنّ الصورة التي يشوهها هي صورة زوجته فجمع عندها الـــشّرّ والقـــبحَ وســـوء الخلق، وبالغ في ذلك، لإدراكه أنه إذا ما شرح صدر الخليفة، وأراحه، فسيأمر له بالأموال والهبات .

ومن غرائب أبي دلامة سخريته من طفلته الصغيرة، متخلّيا بذلك عن كـــلّ شعور نبيل أو حنان أبوي دافئ ، فقد روي أنّه دخل إليه أبـــو عطـــاء الـــسّندي، فاحتبسه، ودعا له بطعام، فأكلا وشبعا ، وخرجت إلى أبي دلامة صبيّة له، فحملها على كتفه، فبالت عليه، فنبذها عن كتفه ثمّ قال([2]):

بَلْتِ عليَّ، لا حُيِّيْت، ثوبي ... فبالَ عليكِ شيطانٌ رجـــيمُ
فما ولَدَتْك مريمُ أُمّ عيـــسى ... ولا ربّاك لقمـــانُ الحكـــيمُ

([1]) ثجل :الثَجَل: عِظَم البطن واسترخاؤه وقيل هو خروج الخاصرتين، اللسان(ثجل)، الفدَعُ: عَوَجٌ وميلٌ فـــي المفاصل كلها، خِلقةٌ أو داء، كأنّ المفاصل قد زالت عن مواضعها لايُستطاع بسطها معهانظر اللسان،فدع

([2]) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ج8، ص492، ديوان أبي دلامة، ص112.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد تخيّل أبو دلامة ابنته الصّغيرة شيطانة، شريرة، مخيفة، ثمّ نسي ما جرى له، لكنّه أُعْجب ببديهته التي أسعفته بما قال، فطلبَ من ضيفه أنْ يجيزه وكأنّه يتحدّاه في ذلك، فقال أبو عطاء([1]):

صَدَقْتَ أبا دلامة لم تلدْها مُطَهَّرة ولا فحلٌ كريمُ.
ولكنْ قد حَوتْها أمُّ سوءٍ إلى لبّاتِها وأبٌ لئيم

" وعرف أبو عطاء كيف يواصل ما بدأه أبو دلامة فعمّ بالشّتم الأب والأمّ معاً، مذّكرا أبا دلامة ما نسيه، ومصعّدا هذا التهكّم الفكه الذي صوَّبه إلى صاحب الدّار، فكأنّه عقاب له على جفاف مشاعر الأبوّة في صدره"([2]) .

وليس بعيدا من سخرية أبي دلامة ما وجد عند دعبل، فقد ألغى ملامح زوجته تماما، إذ جعل منها حبلا ووتدا ، وجعل في كلّ عضو لها قرنا صلبا يخزه كلّما انقلب أو اقترب منها، وفي هذا سلبٌ لأنوثتها ونعومتها، لذلك افتتح أبياته بالعياذ بالله من ذلك اللّيل الذي يدنيه منها، يقول([3]):

لا باركَ اللهُ في ليلٍ يقرّبني إلى مضاجعة كالدّلْكِ بالمَسَدِ([4])
لقد لمستُ معرّاها فما وقعتْ ممّا لمستُ يدي إلاّ على وتدِ
في كلّ عُضْو لها قَرْنٌ تَصُكُّ به جَنْبَ الضّجيع فيضحي واهيَ الجَسَدِ([5])

وفي صورة كاريكاتوريّة أخرى يظهر دعبل زوجته في أقبح صورة، فيجعلها كبيرة الفم، عابسة، تصيب بالعين، مرتفعة الأنف، طويلة العينين، ضخمة

([1]) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج8، ص492، ديوان أبي دلامة 113.
([2]) رياض قزيحة : الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي، ص330 .
([3]) ديوان دعبل، ص173، 174 .
([4]) المسد: الحبل المحكم الفتل .
([5]) تصك : تضرب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشفة، كأنّها قطعت من مشفر الفيل، أسنانها متراكبة بعضها فوق بعض ، يقول([1]):

فوهاءُ شَوْهاءُ يُبْدي الكيدَ مضحكُها ... قَنْواءُ بالعَرْضِ، والعينانِ بالطّولِ([2])
لها فمُ ملتقى شِدْقيه نُقْرتُها ... كأنّ مِشْفرها قدْ طُرّ من فيلِ([3])
أسنانها أضعفتْ في خلقها عددا ... مظهّرات جميعا بالرّواويلِ([4])

ويواصل تشويهها في لوحة أخرى، يجمع فيها عناصر متنوعة، تخرجها من دائرة البشر، وتسلبها إنسانيتها. فركبتاها كركبتي الأرنب، وساقها طويلة كساق النّعامة، ورائحتها مثل رائحة القمامة، ورأسها منزوع من بعير، نحرها يابس، ولا تمتلك أيّ صفة انثويّة، سلبية في بيتها، ثقيلة، تشبه الحمى التي تقطع الظهر، ولا تعرف النّظافة، لذلك جعل رأسها بيتا للقمل، ولم يسلم ريقها عنده، فذكر أنّه مؤذٍ ضار، يقول([5]):

يا رُكْبَتيْ خُزْرٍ وساقَ نعامةٍ ... وزَبيلَ كنّاسٍ ورأس بعيرِ([6])
يا منْ أشبِّهُهَا بحمّى نافضٍ ... قطّاعةٍ للقلبِ ذات زفيرِ
صُدْغاكِ قد شَمِطا ونحرُكِ يابسٌ ... والصَّدرُ مِنْكِ كجؤجُؤِ الطّنبورِ([7])
يا مَنْ معانِقُها يبيتُ كأنّه ... في مَحْبسِ قملٍ، وفي ساجُورِ([8])
قبلتُها فوجدتُ لدغةَ ريقِها ... فوق اللّسانِ كلسعةِ الزّنبورِ

([1]) ديوان دعبل ، ص131 .

([2]) فوهاء : كبيرة الفم . شوهاء: عابسة، وتصيب بالعين. قنواء : مرتفعة الأنف .

([3]) المشفر: الشفة . شبهها بشمفر الفيل لضخامتها . طرّ: قطع .

([4]) مظهّرات: أي بعضها فوق بعض . الرواويل : جمع الراوول، وهو السن الزائدة خلف أخرى .

([5]) ديوان دعبل ، ص 89، 90 .

([6]) الخزر: ولد الأرنب، أو الذكر من الأرانب

([7]) الجؤجؤ: الصدر .

([8]) الساجور: خشبة توضع في عنق الكلب أو قلادة يشدّ بها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد تؤدي كثرة الأوصاف المبتذلة التي تجتمع في سياق واحد إلى اغتيال الحس الساخر، فينشغل الذهن بكثافتها ومراميها.

ويلاحظ على الشعراء أنهم سلبوا نساءهم الفضائل النفسية والجسدية التي طالما ركز عليها شعراء العربية وتغنوا بها، ومن هنا كانت سخريتهم لاذعة، شديدة الوقع والتأثير.

وفي مقابل السخرية من الزّوجات ، وجد من الشعراء مَن يهزأ من الأزواج ويعمد إلى تشويه صورهم، ويدعو إلى إقصائهم ونبذهم، ومن ذلك دعوة أبان اللاحقي امرأة من خلال قصيدة ساخرة إلى الهرب من بيت زوجها، بعد أن قبّح صورة زوجها في عينيها، ورسم لها خطة للفرار، نفّذتها، وهربت من بيتها ليلة زفافها ، روى أبو الفرج الأصفهاني أنّه "كان في جوار أبان اللاحقي رجل يقال له: محمد بن خالد، أراد الزّواج بامرأة موسرة، تدعى عمّارة بنت عبد الوهّاب ، وكانت كثيرة المال ، فقال أبان يهجوه، ويحذرها منه([1]):

لمّا رأيت البَزَّ والشّارهْ ... والفرشَ قد ضاقت به الحارهْ
واللّوزَ والسّكرَ يُرمَى به ... من فوق ذي الدّار وذي الدّارهْ
وأحضروا المُلهين لم يتركوا ... طبْلا ولا صاحب زمّارهْ
قلت: لماذا ؟ قيل: أعجوبةٌ ... محمد قد زُوِّجَ عمَّارهْ
لا عمَّرَ الله بها بيتَه ... ولا رأتْه مُدْرِكا ثارهْ
ماذا رأتْ فيه وماذا رجتْ ... وهي في النِّسوان مُخْتارهْ
أسودُ كالسّفودِ يُنسْى لدى التّنُّ ... ـور بلْ محْراكُ قيّارهْ
يُجْري على أولاده خمسةً ... أرغفةً كالرّيش طيّارهْ
وأهله في الأرض منْ خوفه ... إنْ أفرطوا في الأكل سيّارهْ
ويْحكِ فرّي واعصي ذاك بي ... فهذه أختُك فرّارهْ

([1]) الأصفهاني : الأغاني : ج23، ص122،123.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصاغ أبان سخريته في شكل قصّة، ومهّد لها بالحديث عن مظاهر الزّفاف، وبالغ في عرْضها، فقد غصّت الحارة بأنواع الفراش، ووزّع الحلو ابتهاجا، وأُحضر المغنون، كلّ هذه المظاهر دفعته للسؤال عمّا يجري، وهنا يبدأ الشّاعر سخريته، فيعرض إجابة ساخرة على لسان من حضر، فقد نظروا إلى زواج محمد ابن خالد من هذه المرأة بغرابة ودهْشة، إذ لا اتفاق أو تكافؤ بينَ العروسين. أما العريس فليس فيه ما يجذب عمارة إليه، فهو أسود نحيف يشبه محراك القار السّاخن، وأسرته فقيرة معدمة، وأمّا عمارة فجميلة غنيّة ، ولهذا حذّر أبان العروس قبل أن تقع في المصيدة ، ورأى أنَّ هذا الرّجل يطمع في أموالها فعارض بتهكمّه حصول الزّواج."فلما سمعت عمارة بشعره هذا، هربت منه، فحُرِم الثقفي من جهتها مالا عظيما"([1]).

ومثل هذا سخرية دعبل من أحمد بن أبي دؤاد، وقد تزوّج اثنتين من بني عجل في سنة واحدة، يقول([2]):

أيا للنّاسِ منْ خبرٍ طريفِ ... تفرَّقَ ذكرُه في الخافقينِ([3])
أعِجْلٌ أنكحُوا ابن أبي دؤادٍ ... ولمْ يتأمّلوا فيه اثنتينِ ؟
أرادوا نَقْدَ عاجلةٍ فباعوا ... رخيصا عاجلا نقدا بدَيْنِ
بِضاعةُ خاسرٍ بارتْ عليهِ ... فباعكَ بالنّواةِ التّمرتينِ
ولو غَلطُوا بواحدةٍ لقُلنا ... يكون الوهْمُ بين العاقِلَيْنِ
ولكن شفْعُ واحدةٍ بأخرى ... يدُلُّ على فسادِ المنصبينِ ([4])

لقد تجاوز دعبل في سخريته أحمد بن أبي دؤاد إلى بني عجل الذين أنكحوه اثنتين، وأخذ عليهم أنّهم وقعوا في الخطأ ذاته مرّتين، فكان حريّاً بهم أن يعرفوا

([1]) أنظر الأغاني : ج23، ص123.
([2]) ديوان دعبل ، ص155.
([3]) الخافقان : الشرق والغرب .
([4]) شفع الشيء : جعله شفعا أي زوجا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن أبي دؤاد على حقيقته بعد أن زوّجوه الأولى، لكنهم فرّطوا بالثانية فأصبحوا مثل التّاجر الذي كسدت بضاعته فباعها بخسارة، ومثل الذي أخذ نواة التمرة بالتمرتين، وفي هذا غباء وسذاجة .

ويكرر سخريته من أحمد بن أبي دؤاد في قوله([1]):

غَضبتِ عِجْلاً على فرجينِ في سنةٍ ... أفْسدْتَهُمْ ثمّ ما أصلحتَ من نَسبِكْ
ولو خَطبْتَ إلى طوْقٍ وأسرتهِ ... فزوّجوكَ لما زادوكَ في حَسبِكْ
إنْ كان قومٌ أراد الله خِزيهُمُ ... فزوّجوكَ ارتغاباً منك في ذهبكْ
فذاك يُوجبُ أنّ النّبع نجمَعُهُ ... إلى خِلافِك في العيدانِ أو غرَبِكْ([2])
عُدَّ البيوت التي ترضى بخِطْبتها ... تجدْ فزارةً العُكْلِيِّ من عَرَبِكْ

ب- السخرية من المغنين والمغنيات

شاع هذا اللون من السخرية في العصر العباسي، ووقف بعض الشعراء مدافعين عن القيم الفنيّة المتمثّلة في الغناء، فجعلوا من أنفسهم نقّادا يصدرون أحكاما، قام بعضها على التعليل، و كان بعضها انطباعيا قائما على حاستي الذوق والسمع، واستغلّ بعض الشعراء ثقافتهم ومعارفهم في صورهم، فهذا أبو نواس يلجأ إلى استخدام علم الكيمياء، إذ كان يروى أنّ شدّة برودة الشيء تعود به حارّا، يقول في المغنيّ زهير([3]):

قلْ لزُهيرٍ إذا حَدَا وشدَا ... أقللْ او أكثرْ فأنت مِهْذارُ
سَخُنْتَ من شِدَّةِ البرودةِ حَتّى ... صِرْتَ عندي كأنّك النّارُ
لا يَعْجَبُ السامعون من صِفتي ... كذلكَ الثّلجُ باردٌ حارُ

([1]) ديوان دعبل ، ص 29، 30 .

([2]) الغرب : نبت هش ضعيف .

([3]) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج2، ص777، ابن منظور المصري: أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذلة، وعبثه ومجونه، ص27.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن قتيبة في ذلك([1]): "وهذا الشعر يدلّ على نظرة في علم الطّبــائع لأنّ الهند تزعم أنّ الشيء إذا أفرط في البرد عاد حارّا مؤذيا" .

وأشار يحيى الشامي إلى تميز أبي نواس في هذا المعنى، وعدّه من نــادر معانيه، فهو ذو دلالة علمية، وظلال حضارية، يمثّل الجزء الآخر لفن أبي نواس، وبه تبوّأ زعامة المجدّدين في العصر العباسي([2]).

وشبيه بهذه الصورة التي رسمها لزهير ما قاله في المغني(حسين) ، فهــو يرى أن غناءه يصيب السامع بالغثيان لبرودة صاحبه،يقول([3]):

قد نَضِجْنا ونحنُ في الخَيشِ طُرّا ... أَنضجتنا كواكبُ الجــوزاء([4])

فأصِــيبوا لنــا حُــسَينا ففيــه ... عِوَضٌ عن جليد بردِ الــشّتاءِ

لو تغنّى، وفــوهُ مــلآنُ جمــراً، ... لم يَضِرْهُ لبــردِ ذاكَ الغِنــاءِ

ويفهم من أبيات أبي نواس أنه ينتقد الغناء البارد الذي يخلو مــن الحركــة والصخب، ويوجه صاحبه إلى الاعتناء بتفاعل المستمعين معه.

وأمّا سخريته من المغنية (قصرية) فانصبّت علــى أخلاقهــا، إذ اتهمهــا بالغدر والتفنّن بالكذب والخداع ، واللّعب بقلوب العاشقين، ومنهم أبو نواس، الذي هجرها بعد أن اكتشف كذبها وخداعها، يقول([5]):

قــولا لمــن يعــشق قَــصْريّةً ، ... يستفّ حُرْفا قبل إفلاســهِ([1])

فقد ثــوى فــي كــفّ ســدّاجة، ... مسرعة في قلعِ أضراســهِ([2])

([1]) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ج2، ص 777.

([2]) يحيى الشامي: أبو نواس ، الوجه الآخر ، ص154 .

([3]) ديوان أبي نواس ، ص42 .

([4]) الخيش (هنا): مروحة من نسيج كشراع السفينة كانت تُعلّق آنذاك في سقف البيت وهي مبلولــة بالمــاء، ويعمل لها حبل تجذب به فيهبّ منها نسيم عليل يبدّد أذى الحر، الجوزاء: من الأبراج .

([5]) ديوان أبي نواس ، ص353 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تواصـــل العاشـــقَ ، حتّـــى إذا مـــا أخـــذَ الفقـــرُ بأنفاســـهِ
دلّتْ بغـــدرٍ ، وقـــروُن الفتـــى تهتزّ بالكشخ على رأســـهِ([3])

ويمعن في ذكر معايبها، فيكشف بسخريته قبح منظرها، وسوء تـــصرّفها، ففمها أسود كأنّه مغطّى بالكحل، وردفها مثل الطست، وبطنهـــا كوعـــاء الخمـــر الكبير، وقد دفعته هذه العيوب ليتحلل من حبّها أمام الناس، يقول([4]):

أكثـــــري، أو فـــــأقلّلي، قـــــد مللنـــــاك فملّـــــي
مـــا إلـــى حبّـــك عَـــوْدٌ، مـــا دعـــا اللهَ مـــصلّي
قـــد وهبنـــاك لعَمـــري وتـــــــصدقْنا بحمـــــــل
لـــم يكـــن مثلـــك لـــولا سَـــفَهُ الـــرأي هـــوىً لـــي
أيّهـــا الـــسائل عنهـــا اســـمع اللفـــظَ المحلّـــي
شخصُها شـــخصُ قبـــيحٍ، ولهـــا وَجْـــهُ مـــولّى
وخفتْ عـــن كـــلّ عـــينٍ، وخَفـــتْ عـــن كـــلّ دَلّ
ولهـــا ثغـــرٌ كـــأنّ اللهَ غـــشّاه بكُحـــل
تـــصفُ النكهـــةُ منهـــا جيفـــةً فـــي يـــوم طـــلّ
ردفهـــا طـــست، ولكـــن بطنهـــا زكْـــرَةُ خَـــلّ([5])
اشـــهدوا أنّـــي بـــريء مـــن هواهـــا، متخلّـــى

ويسخر من قيان النخاس موسى بن جنيد في قوله ([6]):

إذا ما كنت عند قيان موسى فعند الله، فاحتسبِ الـسّرورا

([1]) القصرية: جارية القصر ، يستفّ الدواء: يأخذه غير ملوّث، الحرف : حبّ الرشاد .
([2]) السّداجة : الكذّابة .
([3]) الكشخ: جمع النساء والرّجال لريبة، والكشخان هو الدّيوث .
([4]) ديوان أبي نواس ، ص480،479 .
([5]) الزكرة : وعاء للخمر أو للخل .
([6]) ديوان أبي نواس ، ص 305 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خنافِسُ خلفَ عيدانٍ قعودٌ، يُطوِّلُ قربُها اليومَ القــصيرا
إذا غنّين صوتا كان موتــا وهجْنَ به عليك الزّمهريرا([1])

فالمتعة لا تطلب من قيان موسى، إذ لا مسرّةَ لمن يستمع إلــيهن، لأنهــنّ كالخنافس، وغناؤهن أشبه بالندب ، والعويل .

واستهزأ دعبل بقينة ابن زيات فجعل قبحها يفوق قبح الشيطان، وبالغ في وصف سوادها إلى حدّ يتحوّل فيه نور الصباح عند ظهورها إلى ظلمة الليل، وهذا كناية عن الهمّ والغمّ الذين تثيرهما ، يقول([2]) :

إنّ ابن زيّــاتٍ لــه قيْنَــةٌ أرْبَتْ على الشيطانِ في القُبْحِ
فلو بدتْ حاسرةً في الضّحى لاسْوَدّ منهــا فلــق الــصبح

وقد يترك هذا اللون من السخرية تأثيرا عميقا في نفسية المغنيّة، فيــدفعها إلى ترك الغناء، واعتزال النّاس، ويؤكّد هذا ما جرى في مجلــس شــراب بــين الشاعر الحسين بن الضحّاك ، وإحدى المغنيات، إذ يروى عن صاحب لــه أنــه قال([3]): "كنّا في مجلس ومعنا الحسين بن الضحّاك ونحــن علــى نبيــذ، فبعــث بالمغنية، وخمشها فصاحت عليه، واستخفّت به ، فأنشأ يقول([4]):

لها فــي وجههــا عُكَــنٌ وثُلْثــا وجههــا ذَقَــنُ
وأســنانٌ كــريش البــ ــطّ بين أصــولها عَفَــنُ

([1]) هجن : حرّكن وأثرن ، الزمهرير : البرد الشديد .
([2]) ديوان دعبل ، ص 56 .
([3]) الأغاني : ج7، ص162 .
([4])المصدر نفسه ،ج7 ، ص162.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال : فضحكنا، وبكت المغنية حتّى قد عميت، وما انتفعنا بها بقيّة يومنـــا. وشاع هذان البيتان، فكسدت من أجلهما ، وكانت إذا حضرت في مجلس وأنـــشدوا البيتين فتجن، ثم هربت من سرّ من رأى، فما عرفنا لها بعد ذلك خبرا ".

فســـخرية ابن الضحّاك أخفت ملامح وجههـــــا بين تجاعيد جعلتها هرمة، ولحية أخذت تلثي وجهها، وأسنان متعفنة، نتنة، ونحن أمام هذه المعاني لا نتمثّـــل امرأة تحمل ملامح النساء، والأقرب إلينا صورة عجوز هرمة .

وربط ابن الرومي بين صوت المغنية ومنظرها، واشترط أن تكون جميلـــة الصورة والصوت معا، وكأنّه ذهب إلى أنّ الجمال وحدة لا تتجزّأ ، فنراه يـــسخر من المغنّية شنطف، ويقول([1]):

شُنطفُ ياعُوذةَ السماواتِ والـــ أرض وشمسَ النّهار والقمرِ([2])
إن كان ابليسُ خالقـــا بـــشراً فأنت عندي من ذلـــك البـــشر
ولم تعافي من البُغاء، ولا الـــ ـــبردِ، وخُبثِ النسيم والدَّفر([3])
بل أنتِ فوق المُنى إذ ذُكر الـــ ـــقبحُ وفحشُ العيوب والقَـــذر
والطيرُ عند الغنـــاء مخـــتلج تضحك أشـــداقه إلـــى الكمـــر

فجمع لها رذائل المرأة كلّها ، لما أسخطه غناؤها، ونسب إليهـــا الـــدّعارة، ورائحة الفم الكريهة، ثمّ جعلها ممّن خلقهم الشيطان على صورته، وإذا غنّت تهزأ الطيور من صوتها، وكأنّ قبح الصورة استتبع سائر المقابح عندها .

([1]) ديوان ابن الرومي : ج3، ص88.

([2]) العوذة: الرّقية تقي الإنسان – في زعمهم – من العين والجنون.

([3]) الدّفر : النّتن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويزيد على هذا المعنى فيجعل من صوتها في موطن آخر سمّا يحيل كــلّ من يسمعه بين صريع وقتيل، ومن أجل ذلك يدعوها إلى السكوت رأفة بالنــاس، يقول([1]):

إذا ما شنطفٌ نكهتْ أماتــتْ فمن نُدمائها قتلــى وصــرعى
ودعها حيث لا تُسقى وتُرعى حماها الله أن تُــسقى وترعــى
فإن جاءت فلا أهلا وســهلا وإن ذهبتْ فلا حفظاً ورُجْعــى

ويجعل من شنطف امرأة لا تطاق ولا تحتمل، ويلجأ لإثبــات ذلــك إلــى أمرين، أحدهما معنوي، والآخر حسّي. أمّا الأوّل فهو أنّها مصدر نحس وشــؤم. وأما الأمر الآخر، فهو أنّها مصدر عدوى بالبرص، وهذا يجعل الناس تبتعد عنها، وتقصيها ، يقول([2]):

وجهك يا شنطفُ هَولُ المُطَّلَــعْ
يأخذني منــه انتفــاض وفــزعْ
ويطلع الــنحس بــه إذا طلــعْ
يا ويح أثوابك لو قــد تُنْتــزع
لنزعت عن برصٍ وعن لُمَعْ([3])

وهاجم ابن الرومي في سخريته المغنية كُنَيزة في غير مقطوعة، وأشار إلى قبح صوتها، وسوء أدائها، وثقل ظلّها، ومنها قوله([4]):

شاهدت في بعض ما شاهدت مسمعةً كأنّما يومهــا يومــانِ فــي يــوم
تظلُّ تُلقي على من ضــمّ مجلِــسُها قولا ثقيلا على الأســماع كــاللّومِ
لهــا غنــاءٌ يُثيــبُ الله ســامِعَهُ ضِعفي ثوابِ صلاةِ اللّيل والصّومِ

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج4، ص121 .
([2])المصدر نفسه ، ج4،ص187.
([3]) لمع : بياض من برص .
([4]) ديوان ابن الرومي ، ج5، ص 301 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظللتُ أشربُ بالأرطـــالِ لا طربـــا عليه، بل طلبـــاً للـــسّكرِ والنّـــوم

فصوتها يبعث على النّفور، ويجلب الملل والضّجر، كأنما تقرع الـــسّامعين أو تلومهم، بدلا من إطرابهم وإمتاعهم، ولذلك فهم يستحقّون على صبرهم أمام هذا الصوت ضعف ثواب قيام اللّيل ، وثواب مكابدة الصوم، ثمّ يبالغ بعد ذلـــك فـــي تناول الشراب ليغيب عن الوعي، هربا من صوتها القبيح، يقول فيها([1]):

وقينـــةٍ أبـــردَ مـــن ثلجـــهْ تظلُّ منها النّفسُ فـــي ضَـــجّهْ
ما أكذبَ المطنِبَ في وصفها لا صَـــدّق الله لـــه لهجـــهْ
فظيعةٌ فـــالحلق فـــي ســـكتةٍ وبطنُها القَرْقار في رجّـــهْ([2])
خالـــصة النّـــتن ولكنّهـــا في ريقها من ســـلحها مجّـــهْ
كأنّهـــا فـــي نَتْنهـــا ثومـــةٌ لكنّها في اللّـــون أتْرُجَّـــهْ([3])
تفاوتـــت خِلْقتهـــا فاغتـــدتْ لكلٍّ من عطّـــلَ مُحْتجّـــهْ([4])
لا تلكُـــم الأوصـــالُ مهتـــزّةٌ كـــلاّ ولا الأردافُ مرتجَّـــهْ
ما جنّ من عشقٍ فـــؤاد بهـــا كلا ولا ذابـــت بهـــا مهجـــه
رسم محيـــل بـــان ســـكّانه فمـــا علـــى أمثالـــه عرجـــه

لم يكتف ابن الرّومي بتجريدها من الصّفات الحسنة، بل جعلها منفّرة فـــي صوتها وأعضائها، ورائحتها. وهي في برودتها أشبه بالثّلج، وهذه صفة معنويـــة تغني عن صفات كثيرة. وأمّا صفاتها الجسدية فأكثر قبحـــا، فـــصوتها متقطّـــع، مزعج، يصاحبه هزّة من البطن، وهذه إشارة إلى ارتخائـــه وتهدّلـــه، ورائحتهـــا كريهة كرائحة الثّوم، ولونها أصفر كأنّها معلولة، وأعضاؤها متباينـــة لا تناســـق بينها .

([1])ديوان ابن الرومي ، ج2،ص32 .

([2]) القرقار : تنحت منه القصاع ، المصوّت .

([3]) اترجّه: يقصد أنها صفراء

([4]) في البيت مذهب كلامي لصحّة دعواه بحجّة عقلية، وهو يعني أنّ عدم تناسق جسم كنيزة، أصـــبح حجّـــة للمعطّلة الذين يقولون بوجود الكائنات بلا موجد، فكأنّهم يذهبون إلى تعطيل الصّانع جلّ وعلا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو أنّ الأصوات القبيحة لا تخدش أذنيه فحسب بل تنفّره من صـــاحبها، يقول([1]):

أبحّ فيه شذور حشرجةٍ منظومةٍ في مقاطع النّغمِ([2])

فقد أوّل ابن الرّومي "البحّة" في الصوت تأويلا عكسيا، يغـــاير المتعـــارف عليه من ارتياح السامع إليها وبخاصة في صوت المغنّي، جعلها حشرجة تنـــذر بالفناء، ونغمها يشبه أنفاس المسجّى على فراش الموت.

ويجعل هذه البحّة في موطن آخر سببا في إفزاع صبيانه،فيبكون ليلهم كلّه،

ويضطر لمشاركتهم أرقهم رغماً عنه، ولا ينفعه احتياله للنوم، يقول([3]):

بتّ وباتَ الصبيانُ فـــي أرقٍ من بَحّةٍ لم تـــزل تفزّعُنـــا
يبكون من خوفها ويـــسُهرني بكاؤهم، فـــالبلاء يجمعنـــا
نحتالُ للنّـــوم كـــي يواتينـــا بكلّ شيء ولـــيس ينفعنـــا
لا حفـــظ الله تلـــك مـــسمعةً ما يكره السّامعون تُـــسمعنا

ويقول في موطن آخر([4]):

ومُغـــــنٍّ بِبَـــــرْده ونـــــداهُ تَخمدُ النّارُ حين يفتح فـــاهُ
يتغنّى بغيـــر رُزءٍ، ولايـــــ ـــكتُ إلاّ بحكْمِه ورضـــاهُ
يتمنّى السّميعُ حـــين يُغنّـــي أنّه قبل ذاكَ صُـــمّ صـــداهُ

([1]) ديوان ابن الرومي : ج6، ص9.
([2]) شذور : جمع شذر ، وهي القطع .
([3]) ديوان ابن الرومي : ج4، ص184 .
([4]) المصدر نفسه : ج1، ص115.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يسخر من هذا المغنّي ويقبّحه ؛ لما يخرج من فمه أثناء الغناء من رذاذ يكفي لإطفاء نار مشتعلة، وهذا معنىً جديد، وينتقل إلى السامع، ويتمنّى لو كان أصيب بالصمم قبل سماعه هذا الغناء، بسبب قبح صوت المغنّي ورداءته.

ومن المغنين الذين سخر منهم ابن الرومي أبو سليمان الطنبوري، ومما قال فيه([1]):

أبو سليمانُ لا تُرضي طريقَتُــهُ ... لا في غنـــاء، ولا تعلــيم صــبيانِ
له إذا جاوبَ الطنبورَ محــتفلا ... صوتٌ بمصر وضربٌ في خراسانِ
عواء كلبٍ على أوتار مِندفــةٍ ... في قبحِ قردٍ وفي اســتكبار هامــانِ
وتحسبُ العينُ فكّيه إذا اختلفــا ... عند التّــنغم، فكّــي بغــلِ طحّــان

فقد جرّده من موهبة الغناء، ومن مقدرته على تعليم الصبيان الضرب على الطّنبور، ولجأ في ذلك إلى الأسلوب التأليفي فجمع معاني عدّة لخدمة معنى واحد، فصوّر ضرب أبي سليمان على الطنبور بعواء الكلب الذي يرافقه الضرب علــى أوتار مندفة ،ثمّ أتى على شكله ومسخه، وكعادة ابن الرومي يتعمّق فــي عــرض صورته، فيلجأ إلى الصورة الكاريكاتورية، ومنه قوله : إنّ قرعه متنافر، بعضه في مصر، وبعضه الآخر في خراسان، وترسيخا لمبدأ الجمال التكاملي الذي آمن به ابن الرّومي، يجمع سوء أداء المغني إلى سوء خلقته، ثــمّ يــأتي إلــى صــفة معنوية، فيجعله متكبّرا تكبرّ هامان على الرغم من فقــده كــلّ أســباب التكبــرّ والغرور. ويختم أبياته بصورة قبيحة إذ يجعل فكّي المغنّي اللذين يظهران حــين يفتح فاه بالغناء، فكّي بغل طحّان، ويبدو أنه يريد بغل الطحّان بــسبب "مداومتــه على فتح فكيه على اتّساعهما بسبب الإجهاد، أو بسبب ما يثور من غبار الطحــن ونخالته"([2]).

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج6، ص288.

([2]) انظر عبد الحميد محمد جيده: الهجاء عند ابن الرّومي ، ص149 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن هجائه الساخر الذي يبتدع فيه المعاني، ويغالي في صوغها وتمثيلها قوله في أبي سليمان([1]) .

ومُسمعٍ لا عدمْتُ فُرقَتَه ... فإنّها نعمةٌ من النّعمِ
يطولُ يومي، إذا قُرِنْتُ به ... كأنّني صائم ولم أصم
يفتح فاه من الجهاد كما ... يفتح فاهُ لأعظم اللُّقم
مجلسه مأتمُ اللّذات والـ ... ـقصفِ وعُرسُ الهموم والسَّدمِ
كأنّني طولَ ما أشاهِده ... أشربُ كأسي ممزوجةً بدمي
تشهدُه فرْطَ ساعتين قيُنْسـ ... ـيك عهودا، لم تُؤْتَ من قِدم
عشرتُهُ عشرةٌ تُبارك في الأعـ ... ـمار لولا تعجَّلُ الهرمِ
يسودُّ من قُبْحِ ما يجيء به ... حتّى كأنْ قد أسفّ بالفحم([2])
نبرته غُصَّةٌ، وهِزَّتُه ... مثلُ نبيب التّيوس في الغنم
يفزّع الصبية الصّغارُ به ... إذا بكى بعضهم ولم ينمِ

إنّ الشاعر قد نجح في تأليف المعاني المختلفة، وإيجاد علاقات مباشرة بينها على الرّغم من بعدها عن الذّهن، إذ قلّما يفطن المرء للعلاقة بين الغناء السيء ويوم الصوم، ولعلّ مداومته على المقارنة بين الأشياء، وتقليب المعاني المختلفة، يجعله دائما يعثر على بعض العلاقات، فيلتقطها، ويوظّفها توظيفا حسنا، وفي هذه الأبيات يصوّر حالتين، الأولى : حالة المستمع، فهو يعاني معاناة نفسية شديدة، نتيجة لسماعه غناء أبي سليمان، وقد استغل الشاعر لهذه الغاية عنصر الزمن، فجعله يطول مجازا، بسبب الملل والسأم، وربط بين زمن المستمع وزمن الصائم، بجامع الترقّب والانتظار. أمّا المعنى الثاني فجاء وصفيا، وفيه يسخر ابن الرومي من أعضاء أبي سليمان أثناء أدائه الغناء، حيث تتغيّر ملامحه، فيتجحّظ، وينقطع نفسه، ويسودّ وجهه، كمن يتعرّض للاختناق، أمّا فمه فيتحرّك حركة

([1]) ديوان ابن الرومي : ج6، ص 8–10 .
([2]) أسف وجهه (بصيغة المجهول): تغيرّ ، أي كأنّه ذُرّ عليه الرّماد، أو ذرّ عليه الفحم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واسعة تظنّه يلتهم لقمة عظيمة، وهنا ينقلب الأداء والفعل عند المغنّي، وتتغيرّ الحالة النفسية عند المستمع، فيُظنّ المغنّي أنّه يأكل ولا يغنّي، وهذه أوج السخرية والتهكمّ. يقول :

يفتح فاه من الجهاد كما يفتحُ فاه لأعظم اللّقمِ

ويستطرد ابن الرّومي في تشبيهاته الماسخة، فيجعل من صوت إحدى المغنيات سببا في ترك اللّذة واللهو، ويصور صوتها بالغصّة، يصاحبها تشنّج في عروق جيدها، فيظهر كلّ عرق، وكأنّه بيت للأرضة، يقول([1]):

قينة ملعونةٌ من أجلها رَفَضَ اللهوَ معا من رفضَهْ
تضغطُ الصّوت الذي تشدو به غَصَّةٌ في حلقها معترضهْ
فإذا غنّت بدا في جيدها كلُّ عرقٍ مثلَ بيت الأرضهْ

وتتكرر مثل هذه الصورة عند ابن الرومي، فإذا استمعت إلى صوت جحظه تظنّه شادّا وترا، أو مزدرداً حجرا، يقول([2]):

تخاله أبدا من قبح منظره مُجاذبا وترا أو بالعا حجرا

ويعود مرّة أخرى ليربط بين قبح منظر المغنية وصوتها، فهي إلى جانب قبح صوتها، واسعة الفم، نحيلة الجسم، كأنّها مصابة بالسّل، وهي لهزالها لا تصلح غذاء للطير، يقول([3]):

فقدتك يا كنيزةُ كلَّ فقدٍ وذقتِ الموت أوّلَ من يموتُ
فقد أوتيتِ رحبَ فمٍ وفرجٍ كأنّك من كلا طرفيك حوتُ
ويابسةُ الأسافلِ والأعالي كأنّكِ في المجالس عنكبوتُ
عظامٌ قد براها السُّلُ بريا فما فيها لبعض الطّير قوتُ

([1]) ديوان ابن الرومي : ج4، ص52 .
([2])المصدر نفسه ،ج3، ص182 .
([3]) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 447 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سأقترح السكوت عليك دهري فأحسن مـــا تغنـــين الـــسكوتُ

ويجري ابن الرومي مفارقة بين المغنية دريرة، والمغنية نزهة، فيخلع على الأولى صفات إيجابية وينفي تلك الصّفات عن الثانية ، في كلمات سهلة، ومعـــان بسيطة ، يقول([1]):

دريـــرةُ تجلـــبُ الطَّربـــا ونزهـــةُ تجلـــبُ الكُرَبـــا([2])
تغنَّـــي هـــذه فيظلـــ ـــل عنك الحزنُ قـد عَزَبـــا([3])
وتعـــوي هـــذه فتطيـــ ـــل منك الحزنَ والوصبا([4])
أقـــول لجـــامع لهمـــا: لقـــد أحـــضرتَنا عجبـــا
أتجمـــع بـــين مختلفيـــ ـــن ذا صعدا وذا صـــببا([5])

ففي حين أنّ صوت المغنية دريرة حسن ممتع، يسّري عن النفس، ويزيـــل همومها، ويظهر صوت المغنية نزهة أشبه بالعواء، لا يثير فـــي الـــنفس ســـوى الضجر والحزن ويقول([6]):

لـــيس كالـــسُّكْرِ دواءٌ لغنـــاءٍ كالـــدّواءِ
فاســـقني عـــشرين رطـــلا لا تَـــشُبْهنَّ بمـــاءِ
فلعـــلّ الـــسُّكْرَ يكفيـــ ـــني أذى هـــذا العُـــواءِ
مـــن رأى منتحِبـــا غيـــ ـــري على سوء الغنـــاءِ؟

([1])ديوان ابن الرومي ، ج1، ص176.

([2]) الكُرَب : جمع الكَرْب ، وهو الغّم والحزن .

([3]) عزب : نأى .

([4]) الوصب : شّدة المرض .

([5]) ذا صعدا : أي هذا صوت القيّنة دريرة، وهو يذهب صعدا أي عاليا ، وذا صببا: أي صوت القينة الأخرى نزهة، يذهب صببا، أي منخفضا .

([6]) ديوان ابن الرومي : ج1، ص81، 82 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكلّ الأصوات القبيحة تثير في نفسه الهمّ والغمّ، وحتى لا يسمعها يختار أن يشرب مرة أخرى عشرين رطلا من الخمر الصافية، لتتمكّن من تعطيل حواسه جميعا فيغيب عن الوجود، ويكشف في أبياته هذه عن حزنٍ عميق، بل ينتحب لما وصل إليه فن الغناء من انحدار في هذه الأصوات المنكرة التي سلبته رسالته.

جـ) السخرية من الخدم والجواري .

كان أبان بن عبد الحميد أشهر الشّعراء الذين سخروا من الخدم والجواري، فقد سخر من خمس جوار لرجل يدعى أبا نضير، كان يخرج بهنّ للغناء، يقول([1]):

سوَّدَ الله بخمسٍ وجهه ذُغنٍ أمثالِ طين الرّدَغَةْ([2])
حنفساوان وبنتاً جُعَلٍ والتي يغتُرّ عنها وزغه
يكسر الشّعر وإن عاتبتَه في مجالٍ، قال: هذا في اللغهْ

فلم يترك أبان وصفا قبيحا إلاّ وصف به الجاريات الخمس، فهو يتخيّل حين يراهنّ أنّهنّ حشرات وزواحف سود اللون منتنة الرّائحة، تزحف في الأوحال نحو حجورها! وهو بذلك يسلبهنّ كلّ عنصر جمالي، ويجرّدهنّ من أهمّ ما تعتزّ به المرأة، وهو جمال الجسم ورشاقته، وسخر أيضا من جاره المغفّل، فهو يلحن في قراءة الشعر، ويخالف أصول النحو، ويدافع عن أخطائه مُدَّعيا أنّه على صواب([3]).

ولأبي نواس أبيات يستهزئ فيها بالجارية "بنان" فيجعلها منفّرة، لا أحد يطيق النّظر إليها، خاصة بعد أن جرّدها من جمالها بأسلوب تفصيلي، فذكر أنّ

([1]) الأغاني : ج23، ص118 .

([2]) ذعن : سود كاليوم الغائم، طين الرّدغة: الوحل الشديد.

([3]) رياض قزيحة: الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلي نهاية العصر العباسي،ص289 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملامح وجهها مطموسة، مثل القمر في ليلة الثلاثين، وبهجة خدّها تشبه طاقة الشوك في الرّياحين، ثمّ مسخ جبينها وفمها وثناياها، وضفائرها وجيدها ومنكبيها وبطنها وساقيها، ومطلعها، وخطوتها، وتعرّض لأصلها، فجعلها من الشياطين، وجاءت أوصافه مشوّهة في لوحة كاريكاتورية، تنتزع فيها التشبيهات والأوصاف، وتتراكم بصورة تظهر عناية الشاعر بكثرة الأوصاف حتى أصبحت عبئاً ثقيلاً على الصورة الفنية. يقول([1]):

وجهُ بنانٍ كأنّه قمرٌ ... يلوحُ في ليلةِ الثلاثينِ
والخدُّ من حُسنهِ وبهجتهِ ... كطاقةِ الشّوكِ في الرّياحينِ
مبادِرٌ مِنْ جبينها نَسَمٌ ... في الطّيبِ يحكي مباولَ العين
والفمُ من ضيقه إذا ابتسمتْ ... كأنّهُ قَصْعةُ المساكينِ
لها ثنايا تحكي ببهجتِها ... وحُسنِها ألسُنَ الموازينِ
وحسُبك الحسُن في ضفائرها ... مثلُ الشماريخِ في العراجينِ([2])
والجيدُ زَيْنٌ لمن تأمّله ... أشبَهُ شيء بجيدِ تنينِ([3])
ومَنكِباها في حسن خَلقِهما ... في مثلِ رمّانتينِ منْ طينِ([4])
والبطنُ طاوٍ تحكي لطافَتُهُ ... ما ضمّنوه كتب الدّواوينِ
والساقُ برّاقةٌ خلاخِلُها ... كأنّها مِحْرَكُ الأتاتينِ([1])
تَفْتِنُ من رامها بلحظتِها ... كأنّها لحظة المجانينِ
وأحسَنُ النّاسِ محجراً أتِقاً ... أشبهُ شيء بمحجرِ النّونِ([2])
وأقرب النّاس في الخُطى خفرا ... خطوتُها من نَسا إلى الصينِ([3])
ولُدْتِ من أسرةٍ مباركةٍ ... لا عيبَ فيهم، من الشّياطينِ

([1]) ديوان أبي نواس ، ص589،590 .

([2]) الشماريخ : الواحد شمراخ، العذق عليه بسر أو عنب، العراجين: الواحد عرجون، وهو أصل العذق الذي يعوج ويبقى على النخل يابسا بعد أن تقطع الشماريخ.

([3]) التّنين : الحيّة العظيمة، والحوت.

([4]) المنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهذه السخرية تعتمد على التقويم التنقيصي، فعلاوة على التنافر الدلالي الذي يبرز في الصدر والعجز، تطفو العبارات التمجيدية التي تُحيل ضمنيّاً إلى السخرية التنقيصيّة.

ويأتي دعبل بصورة مختلفة الألوان والظّلال، يجمع فيها صفات متضادّة ليمسخ جاريته غزالا، فهي عنده قصيرة تتدحرج، تضع على حاجبيها الحبر، وتربط في عجيزتها المخدّة لتبدو كبيرة، ويفاجئنا في تشبيهه ضخامة أنفها بصورة معاكسة، إذ كان يتوقع منه أن يشترك طرفا التشبيه في صفة الطّول والضّخامة، لكنّه أتى بركن مناقض وهوَ الفستقة وهذه صورة أكثر إثارة وسخرية، أمّا ثدياها، فواحد صغير يشبه البلوطة، والآخر كبير يشبه القربة الممتلئة، وصدرها نحيف، تسمع صوت القلادة فوقه عندما تصطدم بعظامه، وإذا كشفتْ عن أسنانها حسبتها ناقة مسنّة، علقت في حلقها حشرة فاضطربت، يقول([4]):

رأيت غزالا وقد أقبلتْ ... فأبدَتْ لعينّي عن مِبْصقَهْ
قصيرةُ الخَلْقِ دَحداحةٌ ... تَدَحرجُ في المشي كالبُنْدُقهْ([5])
تُخطّطُ حاجِبَها بالمدادِ ... وتربِطُ في عَجْزِها مِرْفقهْ([6])
وأنف على وجهها مُلْصَقٌ ... قصيرُ المناخرِ كالفُستُقهْ
وثديان: ثديٌ كبلوطةٍ ... وآخرُ كالقِرْبةِ المُفْهقَهْ([7])
وصَدْرٌ نحيفٌ كثيرُ العظامِ ... تُقَعْقِعُ من فوقهِ المخْنَقَهْ([8])
وثغرٌ إذا كشَّرتْ خِلتَهُ ... تَخالُجَ فانيةٍ مُعْلَقهْ([1])

([1]) الأتاتين: الواحد أتّون بالتشديد، الموقد، والعامّة تخففه(اللسان،أتن).

([2]) الأنق: المعجب، المحجر: مادار بالعين، النون: الحوت .

([3]) نَسا ، فتح أوّله : مقصورة، وهي بخراسان، بينها وبين سرخس يومان، وبينها وبين مرو خمسة أيام .

([4]) ديوان دعبل : ص 111، 112 .

([5]) الدحداحة: القصيرة، البندقة: ما يرمى بها في القتال أو الصّيد .

([6]) المداد : الحبر ونحوه، المرفقة : المخدّة.

([7]) المفهقة: الممتلئة.

([8]) تقعقع: تصوّب . ، المخنقة: القلادة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتتجه سخرية ابن الرومي من خادمة اتجاهـا تـصاعديا ، ينتهـى إلـى الأسلوب القصصي، فقد ذكر الشخوص والزمان والمكان والحدث، وأقامَ سخريته على مجموعة من الافتراضات البسيطة التي يصطنع فيها السذاجة ويخفـي فـي طياتها المعرفة. يقول([2]):

لـي خـادمٌ لا أزال أحتـسبُهْ ... يغيـب حتّـى يـردّه سَـغَبُهْ([3])
نُرسـله لاشـتراء فاكهـةٍ ... فقَـصْرُنا أن تجيئنـا كتبُـهْ([4])
كم قال ضيفي، وقـد بعثـت بـه ... هيهـات ! يـوم الحـساب منقلبُـهْ([5])
وخلتُهُ قد سما إلى كـرم رضـ ... ـوانَ لكـي يُجتَبـى لـه عنبُـهْ([6])
وإنّمـا زارَ مالكـاً فـرأى ... زَقُّـومَ صـدقٍ فظـلّ ينتخبُـهْ([7])
ثمّ أتـاني، وقـد طمـا غـضبي ... عليه، والضّيف قـد طمـا غـضبه([8])
فقـال: هـاكم ولـيس فـي يـده ... إلاّ نـوى كـان مـره رُطَبُـهْ([9])
أو عَجْـمُ رمَّانـة وقـشرتها ... بغيـر مـاء، لقـد خـلا عجبـه([1])
ضـلَّ فمـا يهتـدي لطيِّبـةٍ ... كأنَّمـا مُجتنـاه محتطبـه([2])
غيبتُـهُ سَـرْمَدٌ، وخيبتُـهُ ... لا تنقـضي أو يَغولـه عطبـه([3])
يبطـئ حتى أكـاد أحـسبه ... صادف تيسـا فظـلّ يحتلبـه
أو أعـرض الـرَّدمُ دون حاجتـه ... أو لقـيَ اللّيـث هائجـا كَلَبـه
أو لكمـتْ لقـوةٌ لَهازِمَـهُ ... أو سـقطت مـن زمانـةٍ رُكَبـه
هـل مـشترٌ؟ والـسعيد بائعُـهُ ... هـل قابِـلٌ والـسعيد مـن يهبـه
أسـاء بالمـسلمين جالبُـه ... لا كـان مـن جالـب ولا جَلَبُـه!

([1]) التخالج: الاضطراب.

([2]) ديوان ابن الرومي: ج1، ص205،206.

([3]) لا أزال أحتسبه: أي أختبره، لكونه لا يجيد العمل، السغب: الجوع .

([4]) قصرنا : جهدنا.

([5]) قوله هيهات: أي لن يرجع، يوم الحساب منقلبه: أي إن كان يرجع فسيكون رجوعه يوم القيامة .

([6]) خلته: حسبته، رضوان: حارس الجنّة الموكلّ بها، يجتبى عنبه: يقطعه.

([7]) مالك: حارس جهنمّ، الزّقوم: قيل هي شجرة بجهنم، وقوله، زقوم صدق: أي وجد تلك الشجرة حقيقة.

([8]) طما غضبي : اشتدّ.

([9]) هاكم : خذوا، وقوله: وكان مرّة رطبه: أي جاءنا بالنوّى دون الرّطب .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يصور فشل خادمه في قضاء أمور سيّده تصويرا رائعا، فهذا الخـــادم يذهب لشراء الفاكهة لتقدّم للضيوف، ولا يؤوب إلاّ بعد أن يهلكه الجوع، إذ يلهـــو عن غرضه بأمور أخرى، فتنقطع أخباره، ويخيّل للضيوف الذين ينتظرون عودته بطعامهم أنه لن يعود قبل يوم الحشر، وكأنّه لا يشترى الفاكهة من الـــسوق، بـــل يسعى إليها من كروم الجنّة. وإذا قُدِّرت لهم عودته، وقد أخذ منهم الجـــوع كـــلَّ مأخذ، يأتي وقد حمل نوى تمر مرّ، أو بعض الرّمان اليابس، ويعلّل ابن الرومـــي غياب خادمه بافتراضات شتى، غايته منها السخر والتهكمّ، فقد يكون صادف تيسا وظلَّ يستدرّ حليبه([4]) أو لعلّ حاجته سقطت بين الرُّدم، فلا تطالعها يده، أو لعلّـــه اعترضه ليث هائج، ومنعه من العودة، ويختم القصيدة بالتدليل عليه لبيعـــه، بـــل لوهبه إلى أصحاب الحظّ التعس ويقول: إنّ من اجتلبه وباعه قد أســـاء بـــه إلـــى المسلمين جميعا .

والمثير في سخريته المبالغة في ذكر غيبته، ليصل حدَّ التّمنـــي أن تـــصل كتبه لمعرفة أخباره، وبعد طول غياب وطول انتظار يفاجئنا بحملـــه الـــذي كـــان مخيّباً للآمال، فقد حمل أسوأ ما يُحمل من الثّمار، فإذا أوبته أشدّ إثارة للغضب من غيبته، ويميل في المقطع الأخير إلى ابتداع الافتراضات التي تظللّ المعاني السابقة وتؤكّدها، " وجاء إلمام ابن الرومي بهجاء خادمه مؤكّدا الصّفة الوجدانية لـــشعره، ولصوقه الحميم بواقعه الحياتي، فكأنّ الشعر وسيلة له للتنفيس عمّا يعتريـــه مـــن مشكلات وهموم جزئية عارضة، فهو يتصّدى إلـــى أعلـــى مـــستويات التجربـــة

([1]) عجم رمانه : البارز من ذنب القشرة، قوله بغير ماء: أي عجم جاف، فلا عجبه: أي لم يعد يبالي ما يأتي به من الأشياء .

([2]) ما يهتدي لطيّبه : يضلّ عن الطيب ، ولا يميّز بينه وبين الخبيث، مجتناه حطبه : أي الحطب .

([3]) الغيبة السّرور: الدائمة، الخيبة: الفشل ، يعوله عطبه: يهلكه.

([4]) أشار إلى هذا المعنى البحتري في قوله :

أيا صالحا لا يجزك الله صالحا فإنّك مثلُ التيس أخفق حالبُهْ

أنظر الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص379.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعرية، وإلى الهموم الميتافيزيقية ، وإلى أدناها كالغضب الذي يعتريه من تخلّف خادم في خدمته"([1]).

وفي موطن آخر يجعل من خادمه دمنة كلّ ما تبقّى منها رماد، لا قيمة له، يقول([2]):

غيَّـــره الكـــونُ والفـــساد ولاحَ فـــي خـــدّهِ ســـوادُ
كأنّـــــه دمنـــــة امّحـــــتْ فكـــلُّ آثارهـــا رمـــادُ

ويسخر من زنجيّة، فيضيف إلى سوادها الغمّ والكرب، فإذا رأيتهـــا لـــشدّة سوادها تحسب أن صدرها مصبوغ باللون الأسود، يقول([3]):

هي سوداءُ غيـــرَ أنَّ عليهـــا ظُلمـــةً تـــدْلهمُّ منهـــا القلـــوبُ
فتراها كأنّهـــا حـــين تبـــدو عِظْلِمٌ فوق صدرها مَصبوبُ([4])

د- السخرية من الشعراء والكتاب والنحاة والمتكلّمين.

تنافس كثير من الشعراء في إثبات قدراتهم أمام الخلفاء والأمراء، وتسابقوا إلى نيل العطاء، والحظوة بمكانة رفيعة في مجالسهم، ودفعتهم هذه المنافسة للنيـــل من خصومهم، ولم يتورّعوا في الحطّ من أقدارهم، فتناولوا في سخريتهم شـــخص الشاعر وحاولوا كذلك أن يتبيّنوا عيوب شعره، فهذا أبو شهاب يهاجم الحسين بـــن الضحّاك، ويرى أن شعره لا يصلح إلاّ للخصيان، ومهما يحـــاول فلـــن يـــستطيع اللّحاق به ، يقول([5]):

([1]) إيليا حاوي: فن الهجاء وتطوّره عند العرب، ص557.

([2]) ديوان ابن الرومي : ج2، ص294 .

([3])ديوان ابن الرومي ، ج1، ص154 .

([4]) العِظْلِم: عصارة شجر ، سوداء اللون، يخضب بها .

([5]) أشعار الخليع بن الضّحاك، جمعها وحققها عبد الستار أحمد فرّاج، دار الثقافة، بيروت، 1960،ص77.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أيا شاعر الخصيان حاولت خطة سبقت إليها وانكفــأتَ ســريعا
تحاول سبقي بــالقريض ســفاهة لقد رُمْتَ جهلا من حِمايَ منيعا

وضمّ أبو نواس إلى الشعراء أهل العلم والمتكلمين والفلاســفة وهــاجمهم جميعا، فمن قوله في الشعراء، ما روي عنه في داود راويــة بــشار، إذ حــاول إخراجه من قائمة الشعراء، وسفّل شعره، واتهمه بالسرقة، يقول([1]):

إذا أنــــــــــــــشد داود، فقــــلْ أحــــسنَ بــــشارُ
لــــه مــــن شــــعرهِ الغــــثّ، إذا مــــا شــــاء، أشــــعارُ
ومــــا منهــــا لــــه شــــيءٌ ألا هــــذا هــــو العــــارُ

واشدّ من هذه الأبيات ما قاله في الشاعرين زنبور وأشجع الــسلمي، بــسبب مخالفتهما مذهبه الشعري، يقول([2]):

عــــاتبني الــــشّعرُ ذا إكــــاف وقال لي : الله منــك كــافٍ([1])

([1]) ديوان أبي نواس، ص307.
([2])ديوان أبي نواس ، ص392.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هجاك مــن قلــت لا يــساوي عود خلالٍ مــن الخــلاف([2])
فكنــتَ إذا لــم تجبــه أحــرى أنْ لا بـــه تقـــذرُ القـــوافي
كنــتُ كــربّ الحمــارِ أعيــا، فظلّ يــسطو علــى الإكــافِ
يا ربّ مــن راســب فتُهْجــى شــبيهة الفقــع بالفيــافي ([3])
أبو بك أبغــي أقــيس نفــسي زنبــورُ يــا واســع الــسّلافِ
أو أشجعُ، وهــو مــن ســليم، فيما رَوَوْا، رقعةُ الخِــضَافِ([4])
يكفيــك مــا فــيهمُ فــدعهمْ، أنفذ وقْعــا مــن الأشــافي([5])

وسخر أبو نواس من أهل اللغة، وخصّ أبا عبيدة في بيتين مــن الــشعر، وعدّه من بقايا آل لوط عليه السلام، يقول([6]):

صلّى الإله على لوطٍ وشــيعتهِ، أبــا عبيــدَة قــلْ بــالله: آمينــا
فأنت عندي، بلا شــكٍّ بقيــتُهم، منذ احتلمتَ ، وقد جاوزتَ سبعينا

وتأتي سخريته من الفقهاء والمتكلمين والفلاسفة، نتيجة لموقفهم من الخمر، وعدِّها كبيرةً من الكبائر لا تغتفر عند الله، فخاطبهم مــستخفّا بعلمهــم وادعــائهم المعرفة في أمور لا يقدّرها إلا الله سبحانه وحده، يقول([7]):

فقل لمن يّدعي في العلــم فلــسفة حفظتَ شيئا، وغابت عنك أشــياءُ
لا تحظر العفو إن كنت امرأ حرِجاً فإن حظْركَهُ فــي الــدّينِ إزراءُ

([1]) الإكاف : البرذغة .
([2]) الخلاف: شجر الصفصاف .
([3]) بنو راسب: رهط، الفقع: ثمار الكمأة. الفيافي: جمع فيفاء، وهي الصحراء .
([4]) الخضاف: النعل .
([5]) الأشافي : جمع أشفى .
([6]) ديوان أبي نواس، ص589.
([7])ديوان أبي نواس ، ص29.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يخصّ في هذه الأبيات إبراهيم النظّام شيخ المعتزلة في عصره ناسبا إياه إلى قصر الباع في العلم والفلسفة، فهو وإن ألمّ بشيء من العلم، فقد فاتته أشياء كثيرة، لأنّ الكمال ليس من طبع البشر، ويستنكر على النظام تزّمته ومنعه على الله العفو، ويعدّ هذا المنع أو النفي تنقصا للدّين واستخفافا بتعاليمه، ومعلوم أنّ المعتزلة تنفي مبدأ الشفاعة والعفو، وأنّ الفقيه إبراهيم النظام كان يميل إلى تحليل الُفّقاع (الشراب المشهور) ، ولا يرى بأسا في شربه، وهذا أمر أزعج أبا نواس، وأثار غيظه، لأنّ النظام طالما عرّض به لتعاطيه الخمر، ولهذا قال أبو نواس فيه([1]):

قولا لإبراهيم قولا هِتْرا غلبتني زندقةً وكفرا
إذا قلت: ما تتركُ؟ قال: بِرّا أو قلتَ: ما ترهبُ؟ قال: بحرا
أو قلت: ما تقول؟ قال: شرّا أصلاهُ ربيّ لهباً وجمرا

وتناول ابن الرومي في سخريته من الشعراء البحتري، وخصّه بكثير منها، لأنّه كان أشدّ المنافسين له لدى الخلفاء والأمراء، ولأنه كان أحيانا يظهر استعلاء وشموخا يستفزان ابن الرومي ، وقد يضاف إلى ذلك أنّ صاعد بن مخلد وزير الموفق كان واجدا على البحتري، لإهماله مديحه، فأغرى ابن الرومي بهجائه([2]) ومن قول ابن الرومي فيه([3]):

([1])المصدر نفسه ، ص304.

([2]) انظر عبد المجيد الحر، ابن الرومي،حياته ، نفسيته ، فنّه من خلال شعره، ص152،151 .

([3]) ديوان ابن الرومي: ج1، ص301، 302.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد قلتُ إذ نحلوهُ الشعّر: حاش لـــه ... إنّ البُرُوك به أولـــى مـــن الخبـــبِ([1])
البحتـــريُّ ذَنُـــوبُ الوجـــه نعرفُـــهُ ... وما رأينـــا ذَنُـــوبَ الوجـــهِ ذا أدبِ([2])
أنَّى يقـــولُ مـــن الأقـــوالِ أثقبَهَـــا ... من راح يحملُ وجها ســـابغَ الـــذَّنَبِ([3])
أولى بمن عظمت في النّاس لحيتُـــهُ ... من نِحلة الشعر، أنْ يُدعى أبا العجـــبِ([4])
ما كنت أحـــسبُ مكـــسوًّا كلحيتـــهَ ... يُعفى من القَفْـــد أو يُـــدْعى بـــلا لقـــبِ
لهفي على ألف موسى في طويلتـــه ... إذا ادّعـــى أنّـــه مـــن ســـادة العـــربِ
أو قال إنّـــي قريـــعُ النّـــاسِ كلّهـــمِ ... في الشعر، وهو سقيمُ الشعّر والنسبِ([5])
الحظ أعمى ولـــولا ذاك لـــم نـــرهُ ... للبحتـــريّ، بـــلا عقـــلٍ، ولا حـــسبِ
وغدٌ يعـــافُ مـــديحَ النّـــاس كلّهـــمِ ... ويطلبُ الشَّتمَ مـــنهم، جاهـــدَ الطّلـــبِ
داء من اللؤم يستشفي الهجـــاءَ لـــهُ ... كـــذلك الحـــكُّ يستـــشفيه ذو الجـــربِ

وتنطوي أبيات ابن الرومي على سخرية وتحقير، فهو يرى أنّ البحتـــري بهيمة أولى بالبروك من العدو الخبب([6]) ونسب إليه ما عند البهـــائم مـــن ذنـــب، وجعل لحيته علامة من علامات الغباء والبهيمية، فهو يرى أنه مـــن المحـــال أن تجتمع اللحية الطويلة والعقل الراجح الرّزين، ويظهر نقمة على لحيـــة البحتـــري عندما يتلهف على ألف موسى ليجزها، ويكاد يجرّد صاحبها مـــن كـــلّ فـــضيلة، فيحرمه من فضيلة الحسب، والسيادة، وينسب ما وصل إليه من نعمة وخير إلـــى الحظ الأعمى، لا بسبب صفاته وقدراته. ومن أشدّ ما قاله في البحتري([7]):

ما تجزعُ الشاةُ إذا شُـــحِطَتْ ... مـــن ألـــمِ الـــذَّبْح ولا الـــسَّلْخِ

([1]) البروك:الجلوس، وهو أن يلصق صدره بالأرض، ويكون للبعير، وهنا كناية عن العجز عن قول الشعر.
([2]) ذنوب الوجه: أي استطالة وجهه بشكل الذّنب، والذنوب: الوافر الذنب .
([3]) أنّى: كيف ، أثقبها: أبلغها، سابغ الوجه: وافره .
([4]) من نحلة الشعر : من ادّعائه .
([5]) قريع: الغالب في المقارعة ، سقيم النّسب: مشكوك في نسبه .
([6]) أفاد ابن الرومي من وزن الخبب في الشعر المستمد من عدو الإبل .
([7]) ديوان ابن الرّومي: ج2،ص97،98 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا من التفـصيل منكوسـةً ولا مـن الـشيِّ ولا الطَّـبْخِ
لكنّهـا تجـزع مـن خَلَّـةٍ تقدحُ في الأحشاءِ بـالمرْخِ([1])
تشفق أن يُكتبَ فـي جلـدها شعرُك يا ذا القرن والكَـشْخِ([2])

فالشاة لا تجزع من ذبحها أو سلخها أو شيّها أو طبخها، ولكنها تُـشفق أن يكتب في جلدها شيء من شعر البحتري، فهو ثقيل مرفوض حتّـى لـدى الـشاة المذبوحة ، ويبرز جمال هذه الأبيات في اشراك الأموات في إثبات الحكم.

وسخر ابن الرومي من الشاعر أبي المستهل، وعدّه أكثر جوعا من الذئب، فجعله يحمل سلّة فارغة إلاّ من بيوت العناكب، وهذا تعـريض بفقـره وإقلالـه، يقول([3]):

وشاعر أجْـوعَ مـن ذيـبِ معـشِّشٍ بـين أعاريـبِ
سـلَّتُه أقفـرُ مـن سبـسبٍ فيهـا طِـرازٌ للعناكيـبِ([4])

ويسخر من شعر البيهقي بقوله([5]):

يا أبـا أسـحاق قـل فيـ ـيّ كـشِعْري لا كـشعرِك
حـسرتي للـورق المكـ ـتوب فيـه مثـلُ هـذرك
لا لعرضـي مـن هجـاءٍ صـاغه فاسـدُ فكـرك
يـا أبـا اسـحاق واقلـبْ ثـمّ صـحِّف ثـم حـرّك

([1]) المرخ : شجر رقيق .
([2]) الكشخ، الكشخان: الدّيوث، وهو لفظ دخيل .
([3]) ديوان ابن الرّومي: ج1،ص360.
([4]) أقفر : أكثر فراغا، السبسب : المفازة .
([5]) ديوان ابن الرّومي : ج5، ص62 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتكمن سخرية ابن الرومي في التحسّر على الورق الذي يكتب عليه شعر البيهقي الذي يعدّه هذرا، ثمّ في تصحيفه لإسحاق، فجاء يحمل معنى في غاية القبح وهو السّحاق.

ولم يدع ابن الرّومي جهدا في التّقليل من شأن مهجويه من الشعراء والأدباء، بل كانت أحكامه عليهم قاسية وشديدة جداً ويصل به الأمر إلى دعوة مهجوّه لترك نظم الشعر، لأنّ الشعر في رأي ابن الرومي بحاجة إلى من يقدر عليه، ولهذا حكم على شعره بأنّه عديم الفائدة، فأولى به أن يبحث عن شيء يتقنه، ولا أظنّه يتقن شيئا، لذلك يدعوه إلى التلهّي بالإبرة والخيط، وهذا هو الأصل، يقول([1]):

كلُّ شعرٍ جهدتَ نفسك فيه ... وتكلَّفتَ نظمه تفقيعُ
لم يقله إلاّ مُوَطِّنُ نفسٍ ... أنّه عند بثّه مصفوعُ
فاترك الشّعر ، وارتدع من قريب ... واعدُ عنه إلى الذي تستطيعُ
فستلهيك إبرةٌ وخيوطٌ ... وإلى الأصل ما تؤولُ الفروعُ

ومن الذين تناولهم بسخريته إبراهيم بن محمد نفطويه(323هـ)؛ لأنّه أخذ عليه بعض المآخذ اللغوية، فقال فيه([2]):

عدِّ عن ذكره وسِمْ نفطويه ... بقوافٍ من الهجاء فواشِ([3])
سائرات في الأرض،شرقا وغربا ... فاغدُ للإثم آمنا، غير خاشِ
يدّعي العقل والزكانة، والعلـ ... ـم، ويضحي أطيش الطيّاش([1])
كم رأينا الأكفَّ جادت قفاه ... برذاذٍ من وقعها ورشاش

([1]) ديوان ابن الرومي ، ج4، ص190.
([2]) المصدر نفسه: ج3، ص346.
([3]) فواشي: منتشرة، ذائعة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يحرّض أصحاب اللغة على نفطويه، ويطالبهم باتخاذ موقف منه، لأنّه يدعي العلم والمعرفة مع أنه في حقيقة الأمر إنسان جاهل طائش، يخرج على أصول اللغة وقواعدها، ممّا أدى إلى استياء النّاس منه، فاستحق أن يضرب على قفاه.

ولم يكن نفطويه عرضة للسان ابن الرومي حسب، بل وقع تحت لسان غيره، فمما قاله فيه أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي([2]):

من سرَّه ألاّ يرى فاسقا فليجتهْد ألاّ يرى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه وصَّير الباقي صراخا عليه

لقد عمد الواسطي إلى التلاعب باسم نفطويه فقسمه إلى نصفين مستغلا معنى الجزء الأول منه (نفط) ودعا أن يحرق به، ومعنى الجزء الثاني (ويه) ليكون صراخا على حرقه، وكأنّما يريد من خلال هذه الصورة المرحة أن يدعو فعلا على صاحب هذا الاسم أن يشقّ إلى نصفين .

ويبدو أن ابن الرومي قد لاحق كلّ من انتقده أو أساء إليه من جمهور الشعراء والعلماء، فمن سخريته قوله في علي بن سليمان الأخفش (315 هـ) ([3]):

ولمْ جئتَ أسودَ ذا حُلكةٍ ولم تأتِ كالحيّةِ الأرقش؟([1])
لقد غُشّ فيك أبٌ غافلٌ فما دُهمةٌ منك لم تُغْشَش؟([2])

([1]) الزّكانة: من زكن، أي فطن وفهم، والزكانة: الفطانة والفهم .

([2]) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ج3، ص250 .

([3]) ديوان ابن الرومي : ج3، ص334 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يتساءل عن سبب مجيء الأخفش أسود البشرة، ويستغرب من عدم اجتماع ألوان كثيرة فيه، وكأنّه يعرّض في نسبه، وأخلاق أمّه.

وفي موطن آخر يشبهه بالكلب الذي يعضّ الصائد انتقاما من قوله العيب في شعره، يقول([3]):

تعيبُ شعري وقد طارت نوافذُه ... في القلب منك وفي الأحشاء والكبدِ
كالكلب يَعْذِمُ أعلى الرَّوْقِ مُنقبِضا ... في حالك اللّون صَدْقٍ غير ذي أَوَدِ([4])

إن السخرية هنا تتحقق داخل دلالة نابية، فيها إزراء واحتقار واستهزاء، نلحظ فيها ردّ فعل مشحون نتيجة موقف مؤثّر.

وينتقل إلى أحمد بن حريث أحد شعراء المعتزلة فيجعله كالدّابة ، يباع ويُشترى، يقول([5]):

أين من يشتري حِمارا ضليغا ... ليس في مشيه دنيّةُ ريْثِ
يحمل الدّينَ والأمانةَ والمنـ ... ـنّ اضطلاعا ويحمل ابن حُريثِ

وسخر من الكاتب الكوفي فضيل الأعرج، بقوله([6]):

أيا فضلا غدا فضلا ... عن الخِلق، وفي الزّمْنى([1])
أما والعرجِ المحض الـ ... ـذي أنت بهُ تكْنى

([1]) الأرقش: الحيّة المنقطعة بسواد وبياض .
([2])الدّهمة : السّواد.
([3]) ديوان ابن الرومي: ج2، ص269.
([4]) يعذم: يعضّ، الروّق: موضع الصائد، الصدق: الجاد، الأود: الجهد والتعب.
([5]) ديوان ابن الرومي: ج1، 483.
([6]) ديوان ابن الرومي : ج1، ص89، 90 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـــئن صُـــغِّر مـــا تُـــدعى بـــه مـــا كُبِّـــر المعنـــى
بلونـــــا منـــــكَ كوفيّـــــا لئـــيم الأصـــل والمَجْنـــى

فقد استغل ابن الرومي معنى الاسم ، فضيل (تصغير للفضل) ليشير إلـــى انعدام فضله، فحقّر أصله ومنبته، ورأى فيه كوفيا لئيم الأصل والعمل، واعتمد في ذلك على القلب الدلالي الذي يحقق السخرية بوساطة دلالة متنافرة، ، وهذه إحدى الصيغ التي يجد فيها الساخر متعة فنية في عرض قدراته اللغوية وأساليبه الماكرة.

وقلّلَ من علم المفضّل بن سلمة([2]) مستغلاّ أسماء نحاة عصره، ليتلاعب بها في إطار سخريته، مجريا مفارقة بينة وبينهم، بطريقـــة غيـــر مباشـــرة، ليـــصل بالمهجو إلى خانة الأغبياء، يقول([3]):

لو تلفّفت فـــي كـــساء الكـــسائي وتلبـــست فـــي فـــروة الفـــرّاءِ
وتخلّلـــت بالخليـــل، وأضـــحى ســـيبويه لـــديك رَهْـــنَ سِـــباءِ
وتكوّنت من سواد أبـــى الأســـــ ـــسود شخصا يُكنـــى أبـــا الـــسّوداءِ
لأبى اللهُ أن يعدّك أهـــل العـــــ ـــــلم إلاّ مـــن جملـــةِ الأغبيـــاءِ

فتظهر هذه الأبيات قدرة الشاعر على استغلال الجناس الاشتقاقي، ليهـــبط بالمهجو في صورة ساخرة ومضحكة، فهو وإن تلفّع في كساء (الكسائي) أو بفروة (الفرّاء) أو تخلّل (بالخليل بن أحمد الفراهيدي) وأصبح (سيبويه) (مسبيا لديه) كل

([1]) غدا فضلا: أي لا فضل له ، الزّمنى: المرضى الذين استعصى مرضهم وطال زمن شفائهم.

([2]) المفضّل بن سلمة بن عاصم: لغويّ عالم بالأدب، وكان من خاصة الفتح بن خاقان وزير المتوكّـل، مـن كتبه البارع في اللغة و(الفاخر في ما تلحن به العامة)، و(ما يحتاج إليه الكاتب)، و(جمـاهير القبائـل)، و(الاستدراك على العين) للخليل بن أحمد، (والملاهي)، و(ضياء القلوب)، في معاني القـرآن و(الـزرع والنبات) و(غاية الأرب في ما يجري على ألسنة العامة من كلام العـرب) ابـن النـديم : الفهرسـت: ص115-116 .

([3]) ديوان ابن الرومي : ج1، ص87،88 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذلك لن يجعله من أهل العلم والفضل، وأراد الشاعر من ذكر هؤلاء العلماء السخرية من غباء المفضل، فهو لن يصبح عالما وإن عاشر كل العلماء .

ويسخّف باجتهاد شاعر آخر في فهم الأشياء وتفسيرها، موظفاً الأمثال ومتلاعبا بالمفردات، مما زاد من تأثير سخريته، يقول([1]):

وشاعر أوقد الطبعُ الذّكاءَ به فكاد يَحْرِقُه من فرط إذكاءِ
أقام يُجْهد أياما قريحتَهُ وفسّر الماءَ بعْدَ الجَهْدِ بالماءِ

ويسخّر الجناس مرة ثانية لخدمة مبتغاه، فيأتي منسجما مع غايته، فلشدّة ذكاء هذا المهجو تحوّل الذكاء إلى إذكاء فأحرقه، والوجه الآخر من سخريته أنّ المهجو أقام أيّاما طويلة يحاول الاجتهاد والتفسير، لكنّه فسّر المعنى بذاته ، وعاد من حيث بدأ، فكأنّ كل ما يقوم به عبث لا طائل منه .

وعاب ابن الرومي على الشعراء وجود بعض العيوب النطقية، في ألسنتهم، ومن سخريته في هذا الباب ما ذكره عن أبي حفص من وجود لكنة في لسانه، فجعلت شعره لا يفهم حتى تفهم لغة الطير، ولهذا فهو يحتاج إلى سليمان عليه السلام، يقول([2]):

قالوا: هجاك أبو حفصٍ، فقلتُ لهم أعاش بعدي سليمانُ بن داوود؟
أنّى فهمتم كلام الطّيرِ ويحكُمُ والتّرجُمان الذي سمّيْتُهُ مودي؟
لو كان حيّا سليمان الذي اعترفت له الغواة وألقت بالمقاليد
أعياه شعر أبي حفص بلُكْنته حتّى يبلّد فيه أيّ تبليد

([1]) ديوان ابن الرومي : ج1، ص120 .

([2]) المصدر نفسه : ج2، ص273 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسفّه شعر سوّار بن أبي شراعة، فجعله خاليا من المعنى الذي يستفيد منه السامع خلوّ الأرض المالحة من الثمار، يقول([1]):

وقال الشّعرَ يُغْرِب فيــه حتّــى لِخيــلَ مــن اليمامــة أو أُضَــاخ([2])
ولم تجنِ المــسامعُ منــه معنــى وهل تُجْنَى الثّمارُ مــن الــسِّباخِ؟([3])

ولاحق الشعراء بعضهم حتّى بعد الموت ،ومن ذلك سخرية أبــي هــشام الباهلي من بشار بعد مقتله، فقد ذكر أنّه لم يفتقده أحد، ولم تفزع لموته زوجته ولا أولاده، ولا أحد من أقربائه، بل على النقيض من ذلك فقد فرحوا بنعيه، وســجدوا شكرا لله، يقول([4]):

يا بؤس ميْتٍ لــم يبكــهِ أحــدُ أجَــلْ ولــم يفتقــدْه مفتقِــدُ
لا أمُّ أولادهِ بكتــــــه ولــــــم يبــكِ عليــه لفرقــةٍ ولــدُ
ولا ابُن أختٍ بكى ولا ابُــن أخٍ ولا حمــيمٌ رقّــت لــه كبــدُ
بل زعمــوا أنّ أهلَــه فَرحــاً لمــا أتــاهم نعيّــه سَــجَدوا

فقد حوّل الباهلي في سخريته موقف الحزن والألم عند ذوي بــشار إلــى سرور، وبالغ في عرضه، عندما جعلهم يسجدون شكرا لله على الــتخلّص منــه، وكأنّه لم يترك أي ذكرى طيّبة .

وامتدت سخرية الشعراء إلى جهلة الناس وعامتهم، ومن ذلك قــول ابــن الرومي([5]):

([1])ديوان ابن الرومي ، ج2، ص105.
([2]) أضاخ: إحدى قرى اليمامة التي هي اليوم بجوار الرّياض .
([3]) السّباخ: الأرض المالحة .
([4]) الأغاني: ج3 ، ص173.
([5]) ديوان ابن الرومي: ج1، ص33، 34.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاهلٍ أعرضتُ عن جهلهِ ... حتّى شكا كفّي عن الشكوى
قد هام وجدا باكتراثي له ... وقد أبت نفسيَ ما يهوى
إنّ مِنَ السلوى لخيلولةً ... تُوهِمني البلوى به بلوى([1])
أحضرتُ نجوى النفس تمثالَهُ ... مستحييا من شاهد النجوى([2])
وقلت للشعر: ألا أعِدْني ... على طويل الغَيِّ مستهوى([3])
فقال: من خاصمتَ مستهلَكٌ ... ليست على أمثاله عدوى([4])
لو كان لي في مثلهِ موضعٌ ... غادرتُهُ أحدوثة تُرْوى
بكلّ بيتٍ سائرٍ عائرٍ ... يُسمَعُ، والوجهُ له يُزوى([5])
لكنَّ من تُهدي له شتمَهُ ... تهدي إليه المَنَّ والسلوى

فهذا الجاهل بليد، تعوّد الإهانة ، حتى أصبحت شيئا أساسيا في حياته، يفتقدها إذا غابت عنه ، ويرى فيها هدّية أطيب من المنّ والسلوى .

وشملت سخرية الشعراء الصبيان الذين يتعلمون ، فهذا أبو الشّيص([6])يجعلهم في غاية القبح والسّوء، ويهاجم البيئة التي تربوا فيها ويعدّهم نتاج المزابل، ويدعو عليهم بالجهل والموت، يقول([7]):

يا فراخ المزابل ... ونتاجَ الأراذل
اقرأوا لا قرأتم ... غير سحر وباطل
روّح الله منكم ... عاجلاً غير آجل

([1]) الخيلولة: الظّن .
([2]) النجوى: السر، وشاهد النجوى هو الله سبحانه وتعالى.
([3]) أعدني على : أعنّي، المستهوى: الذي استولت عليه الشياطين وذهبت بعقله .
([4]) فقال : أي الشّعر الذي طلبت عونه .
([5]) العائر : العُرّة: القَذر .
([6]) أبو الشيص : محمد بن عبد الله بن رزين (ت200هـ) أو قبلها، قال ابن الجوزي في سنة(196هـ) وقد كفّ بصره. الصفدي : نكت الهميان: ص259.
([7]) الصفدي : نكت الهميان: ص259 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ- السخرية في مواقف مختلفة

نظم شعراء السخرية مجموعة أخرى من المقطوعات والقصائد الساخرة المتنوّعة، بحيث يصعب وضعها تحت العناوين السابقة. ومن طريفها قول محمد ابن عبد الملك بن الزيّات أبياتا في السخرية من بابك الخرّمي، وكان الأفشين قتله بأمر من المعتصم بعد أن قتل خلقا كثيراً. وقد استغلّ ابن الزّيات في سخريته الموقف الذي قتل فيه بابك الخرّمي، فقد أركبه المعتصم فيلا وألبسه قباء ديباج وقلنسوة، وقد خُضِّبَ الفيلُ بالحناء، يقول ابن الزّيات([1]):

قد خُضِّبَ الفيلُ لعاداتهِ ليحملَ شيطانَ خراسانِ
والفيلُ لا تُخضّبُ أعضاؤه إلاّ لذي شأنٍ من الشانِ

وقال المعتصم([2]):

لم يزلْ بابكُ حتّى صارَ للعالم عِبْرَهْ
ركِبَ الفيلَ من بر كبُ فيلاً فهو شُهْرَهْ

فقد عبرّ ابن الزيّات بنبرة ساخرة عن فرحته بما صار إليه بابك الخرّمي ، وزاد عليه المعتصم أن جعل قتل الخرمي عبرة لغيره ([3]) .

وشبيه بهذه الأبيات ما قاله دعبل في وصف جماعة من الزّط([4]) وهم مصلوبون يقول([5]):

([1]) الوافي بالوفيات : ج1،ص62.

([2]) المصدر نفسه: ج1، ص62.

([3]) كان ذلك في سنة (222هـ).

([4]) الزّط : جماعة من الهنود قاتلهم المهدي ، ونفاهم إلى صقلية، حيث قاتلهم الروم .

([5]) ديوان دعبل ، ص100.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم أرَ صفًّا مثــلَ صــفِّ الــزُّطِّ
تسعون منهم صُلِبوا فــي خــطِّ
كأنَّمـــا غَمَّـــسْتَهُمْ فـــي نَفْـــطِ
من كُلِّ عالٍ جِذْعُــهُ بالــشَّطِّ([1])
كأنَّــهُ فــي جِذْعــهِ المُــشْتَطِّ([2])
أخو نُعاسٍ جَــدَّ فــي التَّمطِّــي
قــد خــامَرَ النــومَ ولــم يَغَــطِّ

فقد أراد دعبل أن يصوِّرَ ذِلّةَ هذه الجماعة وانحناءهم أثناء صلبهم، فــذكر أنّ رؤوسهم متدلّية تكاد تلامس الأرض، كجذوع الشجر المنحنية، لكنّه لم يشأ أن يوجد علاقة ايجابية بينهم وبين الشجر، خاصة أنّ الشجر الأخضر يثير في النفس المتعة والرّاحة، فنزع هذه العلاقة الإيجابية ، وذكر أنّ هؤلاء سود الوجوه كــأنّ القار يقطر منهم .

ووصف دعبل في موطن آخر مشهد اختطاف ديكه من قبل جاره صالح([3]) وضيوفه، فأتى بأسلوب ساخر على الحالة التي تمّ فيها اختطافه، وجعلهــا أجــواء حرب، كان فارسها الدّيك ، فقيّد وذبح، واجتمع عليه أولاد صالح وضيوفه لنتــف ريشه، وكانت الجلبة كأنّهم أوثقوا ملك التّرك أو هزموا قبيلة ناعط ، وفي تلمــيح جميل إلى كبر سنّ هذا الدّيك، رسم دعبل صورة متحرّكة، فقد وضعوا لحم الدّيك في أفواههم، وفي حركة من اليد للمساعدة في عملية الانتزاع، خرجــت الأســنان لصلابة لحمه، ولم يستطيعوا تثبيت أنفسهم، فوقعوا وارتطموا بالحائط، وتهــشّمت أقفاؤهم، يقول([4]):

([1]) الشّط: شاطئ النهر .

([2]) المشتط الطويل .

([3])هو صالح بن عبد القيس ، كاتب المأمون، كان جارا لدعبل في بغداد .

([4]) ديوان دعبل، ص99.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسَرَ المؤذِّنَ صـــالحٌ وضـــيوفُهُ أسْرَ الكميِّ هفـــا خـــلالَ المـــاقِطِ([1])
بعثـــوا عليـــه بنـــاتِهِم وبنـــيهمُ مـــا بَـــيْن ناتِفـــةٍ وآخـــرَ ســـامِطِ([2])
يتنـــازَعونَ كـــأنَّهُمْ قـــد أوْثَقُـــوا خاقانَ، أو هزموا كتائـــبَ نـــاعطِ([3])
نهشوهُ فانتُزِعَـــتْ لـــه أســـنانُهُمْ وتهـــشَّمتْ أفقـــاؤُهُمْ بالحـــائطِ !.

واستهزأ ابن الرومي بجماعة من الترك، فذكر أن أمورهم مثيرة للعجب، وأنّ أكبر ما فيهم قرونهم، وهذه الصورة تجعل منهم حيوانات، ولذلك ابتعد عنهم، وأكدّ أنه كان على حق في ذلك، يقول([4]):

أمـــوركمُ بنـــي خاقـــانَ عنـــدي عُجابٌ فـــي عجـــابٍ فـــي عجـــابِ
قرونٌ فـــي رؤوسٍ فـــي وجـــوهٍ صِلابٌ في صِلابٍ فـــي صِـــلابِ([5])
هجـــرتكُمُ وهجـــركُمُ ورائـــي صوابٌ في صـــوابٍ فـــي صـــوابِ

وحمل ابن الرّومي على قومه، بقوله ([6]):

رأى القومُ لي فضلاً يعُاديه نقصُهم فمالوا إلى ذي النقص، والشكل أقربُ
خفافيشُ أعـــشاها نهـــارٌ بـــضوئه ولاءمها قِطْعٌ مـــن الليـــل غَيْهَـــبُ
بهائمُ لا تُصْغي إلى شَـــدْوِ مَعْبَـــدٍ وأمَّا على جـــافي الحُـــداءِ فَتطـــرَبُ

فمحاسنه نقيض مساوئهم ، ولذلك تركوه ومالوا إلى أهل السوء من أمثالهم وهم في ذلك مثل الخفافيش التي لا تبصر في النّهار ولا يلائمها إلاّ ظلام الليـــل، كذلك فهم محرومون من الذوق ، فلا يصغون إلى المغنّي المـــشهور معبـــد، بـــل

([1]) الكمي: الشجاع، هفا: ذهب ، الماقط: المضيِّف في الحرب .
([2]) سمط الذبيحة: أزال ما على جلدها من صوف أو وبر أو ريش قبل طبخها وسمط السكين : أحدّها.
([3]) خاقان : اسم كلّ ملك تركي، ناعط : اسم قبيلة .
([4]) ديوان ابن الرومي : ج1، ص411.
([5]) صلاب (الاولى): صلبة ، صلاب الثانية: جمع صلب وهو عظم الظّهر .
([6]) ديوان ابن الرومي : ج1 ، ص 148،149 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يصغون للحداء الثقيل، وربّما تأثّر ابن الرّومي بقول السيّد الحميري في تعريضه بحسّاده([1]) .

يخفى على أغبياءِ النّاس معرفتي أنّي النّهارُ وهمْ فيه الخفافيشُ

ويُظْهِرُ ابن الرومي عدم مبالاته بغضب رجل من أصدقائه بأسلوب ساخر، ينّم عن إهمال له وتصغير لشأنه، لهذا يقول: من يسأل بك إذا غضبت؟ وهل غضبك يجعل الثريا تفترق؟ أو هل يجعل بنات نعش تجتمع ؟ يقول([2]):

غضِبْتَ وظِلتَ من سفه وطيشٍ تُهزهِزُ لحيةً في قدّ رَفْشِ
فما افترقت لمغضبكَ الثُّريا ولا اجتمعتْ هناك بناتُ نعشِ

وفي سياق آخر يلغي وجود ابن بوران، فكأنّه اسم لا حقيقة لوجوده، كعرس أو كأوى أو كعنقاء مغرب، يقول([3]):

فأمّا ابنُ بورانَ الذي تذكرونَه فليس سوى اسم مفترى مُتكذَّبِ
وربَّ مسمَّىً لا حقيقة لاسمهِ كعِرْسٍ وآوى أو كعنقاء مغربِ

وتصدّى ابن الرومي لأحد القوّادين ،يسخر منه ويستهزئ به ذاكراً أنّ قرنه إذا ما قيس بقرن وحيد القرن، فإنَّ الثاني صغير بالقياس إليه، وهذا من باب الكناية ؛ ليشير إلى سوء أخلاقه، يقول([4]):

يظلِمُ النّاسُ في القيادةِ "أفرى" أنْتَ منه باللّومِ أولى وأحْرَى([1])
كانَ للكركدنِّ قرنٌ فأضحى قرنُه اليومَ عنْد قرْنِكَ مِدْرَى([2])

([1]) انظر ديوان السيّد الحميري ، ص105 .
([2]) ديوان ابن الرومي: ج3،ص332 .
([3])المصدر نفسه، ج1، ص 402 .
([4]) المصدر نفسه : ج1، ص 78.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من يكــن قِرْنُــهُ كقرنــك هــذا فلــيكُنْ بابــهُ كــإيوانِ كــسرى

ويسخر من لعب الحسن بن موسى الشطريخ، بقوله ([3]):

لو صادتَ البقَّةُ فيــلَ الــزّنْجِ([4])
وهْملجَ البرغوث تحت السّرجِ([5])
وأصبح الهَفْتُ كشطْرِ البــنجِ([6])
ما كُنَّ في الحَجِّ ولا في الــدّجِ([7])
أعْجبَ مــن لعبِــكَ بالــشطْرنْجِ

فقد استغل ابن الرومي في سخريته استحالات طريفة لإثبــات فــشل ابــن موسى في هذه اللعبة، فلو أنّ البقّة الصغيرة صادت فيلاً، ومشى البرغوث سريعاً، وصار الجزء أكبر من الكل، لما كان في ذلك كله عجبٌ مثل لعبك بالشّطرنج.

([1]) أفرى: اسم قوّاد كان معروفاً.
([2]) الكركدنّ: وحيد القرن، المدرى: القرن الصغير.
([3]) ديوان ابن الرومي: ج2، ص13 .
([4]) البقّة: حشرة تمتصّ دم الإنسان وتتغلغل في المواضع الدافئة.
([5]) هملج : مشى مشية سهلة في سرعة .
([6]) الهفت: التسعة ، البنج: الخمسة .
([7]) الدّج : من دجّ الستر أرخاه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامـــس

الســـخريـــة الســـياســـية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

أ- السخرية من الخلفاء والأمراء .

تعالت أصوات الشعراء منذ العصر العباسي الأوّل تحتجّ على ضياع أمـور الناس وهوان أحوالهم، وزوال هيبة الخلافة، واتّخذوا من السخرية وسيلة من وسائل النقد والإصلاح، معتمدين على ما وجدوه من عيوب وأخطاء لدى الخليفة وحاشيته.

وقد ظهرت الأصوات الناقدة في زمنٍ مبكرّ، فواكبت ما جدّ على المجتمع من بذور الفوضى والانقسام، ابتداءً من تعيين الأمين ابنه موسى وليّاً للعهد – وهو طفلٌ رضيع بدلاً من المأمون – وانتهاءً بخروج الأمور من أيـدي الخلفـاء إلـى أيـدي العناصر الأجنبية .

وعُرف من بين الشعراء الذين اهتموا بتصوير هذا الانقلاب رجلٌ أعمى مـن أهل بغداد يدعى علي بن أبي طالب([1]) وقد اندفع بحدّة وجرأة ونقل ما يدور في بيت الخلافة من صراعٍ وفوضى، فأشار إلى ظلم الحاشية للرعية، وكشف عن المؤامرات التي تدبّر بين الأمراء والوزراء ضد بعضهم، وفي لفتةٍ ساخرة من الـشاعر أدخـل حَلاّق الوزير إلى دائرة الحكم والقرار، وأشركه في الصّراع الذي يجـري، وانتقـد مبايعة الأمين لطفله الصغير قبل أن يعي شيئاً عن الحياة، يقول([2]):

أضاعَ الخلافةَ غِشُّ الـوزير ... وفِسقُ الأميرِ وجهل المـشير
لـواطُ الخليفـةِ أُعجوبـةٌ ... وأعجبُ منه حـلاّق الـوزيرِ
فهذا يدوسُ، وهـذا يُـداس ... كذاك لعمري خلافُ الأمـور

([1]) المسعودي: مروج الذّهب ومعادن الجوهر، شرحه عبد الأمير علـي مهنـا، منـشورات مؤسـسة الأعلمـي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1991م، ج3، ص433.

([2]) السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص298.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأعجـــبُ مـــن ذا وذا أنّنـــا نبايع للطفـــل فينـــا الرضـــيع
ومن ليس يُحْسِنُ غسلَ استهِ ولم يخل من بوله حِجْرُ ظير([1])
وما ذاك إلاّ بفـــضلٍ وبكـــرٍ يريدان طمس الكتاب المنيـــر
وما ذان لولا انقلاب الزّمـــا ن في العير هذان أو في النّفير

ومن أكثر الشعراء بروزاً في ملاحقة الحكام وأعوانهم دعبل الخزاعي، وقـــد قال له أحد معاصريه([2]): "ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووفّرت الناس جميعاً، فأنت دهرك كلّه شريد طريد هارب خائف، فلو كففت عن هذا، وصرفت هذا الشّر عن نفسك ! فقال: ويحك إنّي تأمّلت ما تقول، فوجدتُ أكثر النّاسِ لا يُنتفعُ بهم إلاّ عند الرّهبة.... وعيوب الناس أكثر من محاسنهم" .

ومن الخلفاء الذين وقعوا في لسان دعبل إبراهيم بن المهدي (عـــم المـــأمون) الذي بايعه أهل بغداد بالخلافة– حين سمعوا باختيار المأمون الإمام الرّضا ولياً للعهد، وعزمه على تحويل الخلافة إلى مرو فناصر دعبل المأمون على عمّه، بسبب انحيازه لآل البيت، واستهزأ بإبراهيم بن المهدي، يقول([3]):

أنّى يكونُ، وليس ذاك بكـــائنٍ يرثُ الخلافةَ فاســـقٌ عـــن فاســـق!
نَعَرَ ابنُ شِكلةَ بالعراق وأهلـــه فهفا إليـــه كـــلُّ أطـــيش مـــائق([4])
إنْ كان إبراهيم مضطلعاً بهـــا فلتصلُحنْ، من بعـــده لمخـــارق([5])

([1]) حجر ظير: أراد حجر المرضعة، لأن الظؤورة تعني المرضعة، انظر اللسان، مادة ظأر .
([2]) الأغاني: ج20، ص297.
([3]) ديوان دعبل ، ص116.
([4]) ابن شكلة : هو إبراهيم بن المهدي، وشُكلة أمه. نعر: صاح، مائق: أحمق.
([5]) مخارق: أحد المغنين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولتصلحنْ، من بعد ذاك لزُلْزلٍ ولتصلحنْ مــن بعــده للمــارقي([1])

فقد هاجم دعبل كُلّ من بايع إبراهيم ، واتّهمهم بالطيش والحمق، وأنكر عليهم تسليم الخلافة لفاسق، وهو في ذلك يصرّح بعصبيته الشيعية، ويعتقد أن معظم الخلفاء العباسيين فاجرون فاسقون، وأمّا البيتان الأخيران فهما بيتا هزء وسخرية فإذا صحّت الخلافة لإبراهيم، فولاية العهد تكون لمخارق، وتصلح فيما بعد لزلــزل والمــارقي، وكلهم من مغني ذلك العصر، وقد استمدّ الشاعر جرأته من تشيّعه وحبّه لآل البيت، وهي دافع أساسي وراء هذه السخرية.

وسرعان ما انقلب على المأمون وصرَّح بنبرةٍ حادّة بكيفية اعتلائــه عــرش الخلافة، ورأى نفسه واحداً من الذين شرّفوه بهذه المنزله، وأوصلوه اليها، وأظهــر ندمه على ذلك، وأخذ على نفسه وعلى قومه بني خزاعة مساعدتهم له، وتمنّــى لــو أبقوه خامل الذكر يقول([2]):

إنّي من القوم الذين ســيوفهم قتلــتْ أخــاك وشــرّفَتك بمقعــدِ
رفعوا محلّك بعد طول خمولهِ واستنقذوك من الحضيض الأوهــد

ولا يتحرّج من تهديد المأمون له بالقتل مذكّراً إياه ما فعلته قبيلته بأخيه، مغلفاً أبياته بفخر وتعال واضحين . ومن الغريب أنَّ الخليفة المأمون لم يزد – بعد سماعه ما قاله دعبل – على أن قال ([3]): قاتله الله ما أشدّ بهتانه! متى كنتُ خاملاً، وفي حجر الخلافة نشأت، وبدرّها أرْضعت؟! ... من أقدم على هجاء وزيري أبي عبّاد كيف لا يقدم على هجائي؟

([1]) زلزل والمارقي: من كبار مغني العصر العباسي.

([2]) الأغاني : ج20، ص301.

([3]) ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية والدول الأسلامية، ص18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعندما تولّى المعتصم الخلافة أقدم دعبل على مهاجمته والسخرية منه، وقد أظهر فيه ما يضمر من حقدٍ على العباسيين الذين تسلّطوا على رقاب العباد، وقد طلبه المعتصم طوال حياته، فخاف وهرب حتى قدم مصر، ثم خرج إلى المغرب([1])، يقول([2]):

ملوك بني العباس في الكُتْبِ سَبْعةٌ ... ولم تأتِنا عن ثامنٍ لهمُ كتبُ
كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ ... كرامٌ إذا عُدّوا وثامنهمْ كلبُ
وإنّي لأعلي كَلبَهم عنْكَ رِفْعَةً ... لأنّك ذو ذَنْبٍ وليس له ذَنْبُ
كأنَّك إذ مُلّكتنا لشقائنا ... عجوزٌ عليها التّاجُ والعِقْدُ والإتْبُ([3])
لقد ضاعَ أمُر النّاس إذ ساسَ مُلْكَهُم ... وصيفٌ وأشناسٌ وقد عَظُمَ الخطْبُ([4])

وتظهر سخريته من المعتصم في تشبيهه بكلب أهل الكهف، ثمّ يعلي من مكانة كلب أهل الكهف عليه، فهو بريء من الذّنوب في حين أنّ المعتصم ذو ذنوب كثيرة، ويصوّره دعبل في صورة عجوز تضعُ على رأسها التّاج، وتلبس في صدرها العقد، وترتدي ثوب الجميلات، ساخراً من الخليفة الذي وُضِعَ في مكان لا يستحقّه، كما لا يبرز الجمال والتبرّج في وجه العجوز، بل يكون مدعاة للسخرية والاستهزاء.

([1]) ابن قتيبة: الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء، ص515.

(2) المصدر نفسه ، ص 515 0

ويرى ان دعبل سئل عن قوله هذه الأبيات ، لكنه أنكر نسبتها اليه ، ونسبها الى ابراهيم بن المهدي وقال : "كافأتي بذلك عن هجائي اياه ليشيط بدمي " 0

انظر الأغاني : ج 10 ، ص 331 0

(3) الأتب : بردٌ تلبسه المرأة من غير جيب ولا كميّن 0

(4) وصيف وأشناس غلامان تركيّان دخلا مع الأتراك الذين جلبهم المعتصم ليستعين بهم على العرب والفرس فصارا من قوّاده وكان لها دورٌ كبير في حكم المعتصم والواثق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد وُفِّق دعبل في توظيفه لقصّة أهل الكهف واستطاع أن يوجد معها علاقة مباشرة أقامها على التعليل.

وكان دعبل يمدح طلباً للعطاء، فإذا ضنّ عليه ممدوحه بالعطاء انقلب إلى هجائه والسخرية منه ، ومن ذلك قوله في المطّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي،أمير مصر ، وكان قد مدحه في السابق([1]).

أمُطَّلِبُ أنْت مُسْتَعْذِبٌ ... حُميّا الأفاعي ومستقبِلُ([2])
ستأتيك، إمّا وَرَدْتَ العراقَ، ... صحائِفُ، يأثِرُها دعبلُ([3])
منمّقةٌ بين أثنائها ... مخازٍ، تحُطُّ فلا نرحلُ
وضَعْتَ رجالاً، فما ضَرَّهُمْ، ... وشَرَّفْتَ قوماً فلم ينبلوا
فأيهُمُ الزَّيْنُ وسْطَ الملا ... عطيّةُ أم صالح الأحولُ
أم الباذجانّي أمْ عامرٌ ... أمين الحمام التي تزجُلُ
تنوطُ مصرٌ بك المخزياتِ ... وتبصُقُ في وجهك الموصِلُ

فهو يشير إلى سخف ما يقوم به هذا الأمير من تعيينات، ويرى أنّه لن يستطيع أن يحطّ من مكانة من يستحقّ الرِّفْعة وإن أبعده وأقصاه، ولن يرفع الوضيع وإنْ قرّبه وأصبح من رجاله.

ولاحق دعبل الخلفاء بعد وفاتهم ليفرّغ ما تبقى في نفسه من ألم وحقدٍ، أو ليقول آخر ما يمكن قوله في هذا الخليفة أو ذاك. ومنه ما قاله في الرشيد بعد دفنه([4]).

([1]) ديوان دعبل، ص126،127.

([2]) حميّا الأفاعي: سمّها، ويريد الهجاء الموجع .

([3]) يأثرها: ينقلها ويرويها.

([4]) ديوان دعبل ، ص178،179 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرى أميّـــةَ معـــذورين إنْ قَتَلُـــوا ... ولا أرى لبني العبّـــاسِ مـــن عُـــذْرِ
أربَعْ بطُوسٍ على القبر الزّكيّ بهـــا ... وإنْ كُنْتَ تربَعُ من دينِ على وَطرِ([1])
قبرانِ في طوسَ :خير الناسِ كلّهُـــمُ ... وقبـــرُ شـــرِّهُمُ هـــذا مـــن العِبَـــر
ما ينفعُ الرِّجْسُ من قُرْبِ الزّكَي ولا ... على الزّكيِّ بقربِ الرِّجْس من ضرَرِ
هيهات كُلُّ امرئ رَهْنٌ بما كـــسبتْ ... له يداهُ فخـــذ مـــا شـــئت أو فـــذرِ

فهو يعدّ الرّشيد شرّ الناس، وتعجب من دفنه بجانب الرّضـــا خيـــر النـــاس، واستدرك فجعل من الأوّل رجْساً لا ينفعه التقرّب من الزّكي، كمـــا لا يلحـــق الأذى الزّكي بقربه من الخبيث.

وتوجّه إلى المعتصم بعد وفاته وتشفى به، وعبرّ عن سعادة ماكرة برحيلـــه، يقول([2]):

قد قلتُ إذ غيّبوه وانـــصرفوا ... فـــي شـــرّ قبـــر لـــشرّ مـــدفونِ
اذهبْ إلى النّار والعذابِ فما ... خلتُـــــكَ إلاّ مِـــــنَ الـــــشياطينِ

ويلاحظ سهولة هذا النوع من السخرية ، فلا يجد القارئ صعوبة في الوصول إلى معاني الشاعر ومراميه، فنشعر وكأنّ أبياته تتدفق على السجية دون التـــواء أو إمعان، ولعلّ هذا يعكس صورته النفسية المليئة بالكره والحزن، فتظهر مشاعره دون إعمال للذهن ودون تستّر أو مواربة.

واستخفّ يزيد بن محمد المهلبي بقرار المتوكّل في سنة (244هـــ) تـــرك العراق ونقل دواوين الخلافة إلى الشام، واستطاع بسخريته أن يحوّل هذا الأمر مـــن

---

(1) اربعْ : قف، طوس: مدينة في خراسان، الوطر: الحاجة.
(2) ديوان دعبل: ص158 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موضوع سياسي يعمّ المجتمع الاسلامي كلّه إلى موضوع اجتماعي فـــردي خـــاص بالخليفة، فقد عدّ نقل الخلافة من العراق إلى الشام طلاقاً للأولى وزواجاً بالثانيـــة . يقول ([1]):

أظُنّ الشام يشمتُ بـــالعراق إذا عزمَ الإمام على الطّـــلاق
فإنْ تدع العـــراق وســـاكنيه فقد تبكي المليحـــةُ بـــالفراق

وقيل إن المتوكل استثقل ماء دمشق ورجع إلى سامراء بعد شهرين من إقامته فيها([2]). ولاحق ابن الرومي في سخريته حكّام بني العباس، ورأى أنهم ملكوا بالقوّة، وبغير الحق، ولا فضل لهم على أحد، ونعتهم بسفلة الناس، وهم في فضلهم وقيمتهم بين غيرهم مثل صغرى الأصابع عندما تثنى أوّل العدد، يقول([3]):

ملكتمْ يا بني العبّاس عن قَدَرٍ بغير حقٍّ – ولا فَضْل على أحدِ
تُقدَّمونَ أمامَ النـــاس كلّهـــم وأنتمُ – يا بني العباس– كالنَّقَدِ([4])
شبّهتكم إن بغى باغٍ لكم مثلاً: صُغْرى الأصابع تُثْنى أوّلَ العددِ

ويتهّم المعتز بالنقص ، ويرى أنّ الخلافة لن تعطي صاحبها ما سلبه الله منه من نقص وضعف، يقول([5]):

دع الخلافةَ يا " مُعْتزُّ " من كثبٍ فليسَ يكسوكَ منها اللهُ ما سلبا

([1]) أبو الفداء المؤيد: المختصر في أخبار البشر، ج2،ص40.
([2]) المصدر نفسه: ج2، ص40.
([3]) ديوان ابن الرومي: ج2، ص301.
(4) النقد : صغار الغنم 0
([4]) المصدر نفسه : ج1، ص392.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأظهر في سخريته من بني العباس تعاطفاً شديداً مع العلويين، ومن ذلك قوله([1]):

أفي الحقِّ أنْ يُمسوا خماصاً وأنتمُ ... يكادُ أخوكُمْ بطنَه يتبعَّجُ
وتمشونَ مختالينَ في حُجراتِكُمْ ... ثقالَ الخُطى أكفالُكُمْ تترجْرجُ
وليدُهُمْ بادي الطَّوى ووليدكُمْ ... من الرِّيف ريّانُ العِظامِ خَدَلّجُ
بنفسِ الألى كظّتْهُم حَسَراتُكُمْ ... فقد علِزُوا قبل المماتِ وحشرجوا([2])
وعيرتموهُمْ بالسَّواد ولم يَزَلْ ... من العَرَبِ الأحماضِ أخْضَرُ أُدْعَجُ
ولكنَّكُمْ زرْقُ يزينُ وجوهكُمْ ... -بني الرّوم- ألوانٌ من الرُّوم نُعَّجُ([3])
أبى اللهُ إلاّ أنْ يطيبوا وتخبثُوا ... وأنْ يسبقوا بالصّالحاتِ وتفْلَجُوا
وإنْ كُنتُمُ مِنْهُمْ وكانَ أبوكُم ... أباهُمْ فإنّ الصَّفْوَ بالرَّنْقِ يُمْزَجُ([4])

فهو يقارن في هذه الأبيات بين العباسيين والعلويين مقارنةً ساخرة ساخطة، فالعباسيون تبعّجت بطونهم من كثرة الأكل لذلك فهم ثقال الخُطى، أمّا العلويون فقد مَسّهم الجوع والضنك، كذلك فإنَّ العباسيين أقرب إلى العجمة بسبب اختلاط أنسابهم، ولا يعدو اشتراكهم في النسب مع العلويين أن يكون من قبيل امتزاج الكدر بالصفو.

وأشار بعضهم في سخريته إلى ضعف الخليفة، وهوان أمره، وكيف أصبح خليفة بالاسم، في حين يقوم على الأمور قُوّاد مسيطرون. ومن ذلك استهزاء أحدهم

---

(1) ديوان ابن الرومي ، ج2، ص28،29.
(2) كظّ: ملأه الغيط، علز: أخذه القلق والهلع، حشرج: تردّد نَفَسه عند الموت .
(3) النعج: الخالصة البياض .
(4) الرنق: الكدر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالخليفة المستعين بن المعتصم حين وُجدِ كالطائر المحبوس في قفص، يردّد ما يمليه عليه القائدان المتنفّذان، يقول([1]):

خليفـــــةٌ فـــــي قفـــــصٍ بـــــين وصـــــيفٍ وبُغـــــا([2])
يقـــول مـــا قـــالا لـــه كمـــــا تقـــــولُ الببّغـــــا

وتشير المصادر التاريخية أنَّ الضّعفَ دبَّ في الخلافة العباسية بعد المعتصم بفتحه للأتراك باب السيطرة على الأمور، واعتماده عليهم في تـدبير مُلكـه وإدارة ولاياته ، إذ أخذ الأتراك بعده يسيطرون على الخلفاء، بل يقتلونهم ويسملون عيونهم أحياناً، ويستبدلون بهم غيرهم أحياناً أخرى ([3]) ، فبدأوا بقتل المتوكّل بن المعتصم([4]) واستضعفوا من جاء بعده، فكانوا في أيديهم كالأسرى.

ومن أشكال الفساد أيضاً تسلّط بعض أبناء بيت الخلافة على السلطة، إذ يروى أنّ الخليفة المعتمد كان ضعيفاً بسبب تسلّط أخيه الموفق وتضييقه، حتّى إنه احتاج إلى ثلاثمائة دينار، فلم يجدها ، فقال ساخراً من نفسه([5]):

أليس من العجائب أنّ مثلـــي يرى مـــا قـــلّ ممتنعـــاً عليـــه
وتؤخذ باسمه الدّنيا جميعـــاً وما من ذلك شـــيء فـــي يديـــه

([1]) انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص358.
([2]) وصيف وبغا: قائدان تركيّان.
([3]) انظر محمد كرد علي: الإسلام والحضارة العربية، ج2، ص434.
([4]) انظر خبر مقتل المتوكّل في المختصر لأبي الفداء، ج1، ص41.
([5]) أبو الفداء المؤيد: المختصر في أخبار البشر: ج2، ص56.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب- السخرية من موظفي الدولة .

تابع الشعراء العباسيون ملاحقة الظواهر السلبية، وربطها بمسبباتها وأصحابها، وتنوعت صورهم بين الإيجاز والكشف الصريح، وحاولوا الانتقال من مرحلة تشخيص الحال إلى المعالجة، فبرز لديهم حس جديد، فأنّبوا الناس لأنّهم قصّروا في ردّ الأذى عن المستضعفين ، وهذه مرحلة تسبق في العادة مرحلة الفعل، وتشتمل في داخلها على الحث والتحريض.

ومن الشعراء الذين خرجوا عن صمتهم أبو دلامة، فأشار من خلال قصة طريفة إلى فساد عمال الخراج، وعرّضُ بتواطؤ الخليفةِ معهم، وانتقد إهمال الدولة لمراقبة موظّفيها ومحاسبتهم . إذ يروى أنّه سكر، وأُتيَ به إلى المهدي، فأمر أنْ يحُبَسَ في بيت الدّجاج، فلمّا مضى جزء من الليل، صحا أبو دلامة من سكره، ورأى نفسه بين الدّجاج، فصاحَ: يا صاحب البيت، فاستجاب له السجّان قائلاً: مالك يا عدوّ الله؟ قال له: ويلك، من أدخلني مع الدّجاج؟ فقال: أعمالك الخبيثة، أُتي بك إلى أمير المؤمنين وأنت سكران، فأمر بتمزيق طيلسانك الذي كان قد أهداه إليك، وبحبسك مع الدّجاج. قال أبو دلامة: ويلك، أو تقدر على أنْ توقدَ سراجاً وتجيئني بدواةٍ وورق، فكتب إلى المهدي أبياتاً منها([1]):

أمير المؤمنين فدتك نفسي ... علام حبستني ومزقت ساجي
أُقادُ إلى السجون بغير ذنْبٍ ... كأنّي بعضُ عمّالِ الخراجِ
ولو معهم حُبِسْتُ لهان وجدي ... ولكنّي حُبِسْتُ مع الدّجاجِ

([1]) انظر العقد الفريد، ج3، ص232.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يتساءل عن سبب سجنه وإهانته، ويطالب بمحاسبة من هم أشدّ جرماً منه، ويستنكر وضعه في السجن لشربه الخمر، في حين يعبث عمّال الخراج بأموال الدولة وخيراتها، ولا يجدون من يحاسبهم.

وكان بشار بن برد يعرب عن ضجره وضيقه بصالح بن داود، وهو أخ ليعقوب بن داود، ويلفت بشار النّظر إلى شكل آخر من أشكال الفساد، وهو حصر وظائف الدولة في أيدي قلّه متنفّذة، يقول([1]):

هُمُ حملوا فوقَ المنابر صالحاً أخاكَ فضجّت من أخيك المنابرُ

فهو يرى أن صالحاً غير مقبول للنّاس، وقد وُضع رغماً عنهم، ولجأ بشار إلى أسلوب التشخيص، فترك المنابر تمقته وترفضه لسوئه وثقله . وبشار واحدٌ ممّن عبرّوا عن استيائهم من تفويض الأمور كلّها إلى الوزير يعقوب بن داود، وتسليمه الدّواوين، وتقديمه على غيره دون متابعة ومراقبة. وظهر من الشعراء من يعرْض للمفارقة التي يحياها المجتمع في توزيع ثروات الدولة وخيراتها، ويشهر بالفساد والظلم.

وحاول أبو نواس أن يتقرَّب من البرامكة ، لكنهّم فضّلوا عليه أبان بن عبد الحميد اللاحقى، فاتجه إلى آل الربيع، ومال إليهم ، فبدأ يمدحهم ويسخر من البرامكة، وكانت سخريته منهم نذير شؤم عليهم، يقول في جعفر البرمكي([2]):

عجبتُ لهارونَ الإمام، وما الذي يودّ ويرجو فيكَ يا خلقةَ السَّلَق([3])
قفاً خلف وجهٍ قد أُطيلَ كأنّهُ قفا مالكٍ يقضي الهموم على ثبق([4])

(1) الأغاني: ج3، ص171 .
(2) ديوان أبي نواس ، ص417.
(3) السلق : الذئب .
(4)الثبق: تدفق الدمع من العين .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرى جعفراً يزدادُ بخــلاً ودِقّــةً، إذا زادة الرحمنُ في سَعةِ الــرّزق
ولو جاء غير البخل من عند جعفر لما حسبتْهُ الناسُ إلاّ مــن الحمــق

لقد اختلطت سخرية أبي نواس من البرامكة بتحذير الخليفة الرّشــيد مــنهم، ونلمح هذا التحذير في اعتبار جعفر ذئباً خالياً من الأفعال الكريمة، والذئب لا يؤمن على حال.

ويجعله في موطن آخر كلباً عقوراً، شديد البخل، والزهو الفارغ الذي لا يعادلُ زهو الذباب على القمامة يقول([1]):

وأعظمُ زهواً من ذباب كناسةٍ وأبخلُ من كلب عقور على عرق

وقد واصل أبو نواس سخريته من البرامكة بعد أن نكبهم الرّشيد، مستغّلاً هذا الحدث الجلل ليتقرّب من الرشيد ، فقام يستصغر جعفراً ويستخف به، بأسلوب ظاهره مدح وباطنه إزراء واستهزاء، يقول ([2]):

وما أنْزَرَ الطَّرْفَ فيمن نرى، ولو أصبحوا مِلحَصَى أكثــرا([3])
سوى رجلٍ صمنتْه الطريقَ، ونحنُ ضحىً نقــصُد العــسكرا
فقــال، وأزكننــي شــاعراً، وأزكنْتُــهُ فطِنــاً مفكّــرا([4])
أتُنْشِدُني بعضَ ما صــغْتَهُ، ولا تــدَعِ الأَجْــودَ الأفخــرا
فأنــشدتُه مِــدَحَ البرمكــيّ، أبي الفضْل، أعني الفتى جعفــرا

(1) المهزمي: أخبار أبي نواس ، ص18.
(2) ديوان أبي نواس، ص306، 307.
(3) ملحصى: أي من االحصى .
(4) أزكن: علم، وفهم، وأزكنني: علمني 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأعجبني ظرْفه، إذ يقــولُ: مـــــديحكَ دُرّ، فهـــــلْ درّرا

وعرّض بجعفر من خلال استهزائه بالعبّاسة ابنة الخليفة الرّاحل (المهدي) أمام الخليفة الأمين، وقدّم ذلك بلغة النصح والإرشاد، يقول([1]):

ألا قُـــلْ لأمـــينِ اللّـــــ ـــــهِ، وابـــنِ القـــادةِ الـــساسهْ
إذا مـــــا ناكـــــثُ سَـــــرَّ ك أن تُفْقـــــــدِهُ راســـــــهْ
فـــــلا تقتلـــــه بالـــــسيفِ، وزوّجـــــــــه بعباســـــــــه

فهو يرى في العباسة نذير شؤم ووبال، ويرى أن أسوأ عقابٍ للجاني هو تزويجه إياها، وهذا المعنى أغناه عن صفاتٍ كثيرة كان بإمكانه أن يلصقها بالعباسة.

وانقلب أبو نواس على آل الربيع، فسخر من الفضل بن الربيع بقوله([2]):

أصبح فَضْلٌ ظـــاهِرَ التّيـــه، وذاكَ مُـــذْ صِـــرْتُ أُهاجيـــه
لله شـــــعِري أيّ مفواهَـــــةٍ لكـــلّ مَـــنْ دونـــي قوافيـــه([3])
كم بينَ فضْل منـــذ هاجيتُـــهُ وبَيْنَـــــهُ قبـــــل أهاجيـــــهِ
فالحمدُ لله، وإن كنـــتُ لـــم أحْفِـــلْ بقْـــوم نـــصحوا فيـــه
رَضيتُ أنْ يشتمنى ســـاقطٌ، شـــسعيَ خيـــرٌ مِـــنْ مواليـــه
وليس ذا أعجَبَ من ذاكـــمُ، جاريـــةُ النّطـــافِ تغريـــهِ([4])
وآفةُ النّطافِ مِـــنْ غـــضبةٍ أعْـــضبُها يومـــــاً، فآتيـــــه
حتّى إذا قُمْـــتُ علـــى بابـــه ســـــمَّيْتُ للنّـــــاسِ زوانيـــــهِ

([1]) ديوان أبي نواس، ص 350، اليافعي: مرآة الجنان، ج1، ص316.

([2]) المصدر نفسه ، ص611.

([3]) من دوني قوافيه: يعرّض بقوافيه ويعتبرها دون شعره مكانة ومنزلة.

([4]) النّطاف : الرجل المريب الذي يدفع إلى الفساد.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو يرى أنَّ هجاءه للفضل رفع من قيمته، وأعلى من مكانته، لأنـــه ســـاقط سخيف، ولا أدلّ على ذلك من سعيه وراء جارية فاسدة .

واستهزأ بالخصيب واتّهمه بالذّلة والنذالة، وقد جاء بمعنى مبتكر، وهو بكـــاء الثياب على الخصيب بكاء شديداً؛ خوفاً من كلبٍ يجرّها لرثاثتهـــا، وقـــدم حالهـــا، يقول([1]):

نفسُ الخصيب جميعُه كذِبُ، وحديثُـــهُ لجليـــسهِ كـــرْبُ([2])
تبكي الثيابُ عليـــه مُعْوِلـــةً أنْ قد يجُـــرّ ذَيولهـــا كلـــبُ([3])

واستغلّ سخريته لتحريض الخليفة الأمين على كاتبه إسماعيل بـــن صـــبيح، واتّهمه بخيانة العباسيين، والعمل ضدهم، بقوله([4]):

ألا يا أمـــينَ الله كيـــفَ تحبّنـــا قلوبُ بني مروانَ والأمرُ مـــا تـــدري
وما بالُ مولاهمْ لسرّكَ موضعِاً، وما باله أمسى يـــشارك فـــي الأمُـــرِ
تبيّنْ أمـــينَ الله فـــي لحظاتـــهِ شنان بني العاصي، وحقْد بني صخْرِ([5])

([1]) ديوان أبي نواس ، ص101.

([2]) الكربْ: المشقّة والحزن.

([3]) معولة: اسم فاعل من أعول: أي رفع صوته بالبكاء والصياح.

([4]) ديوان أبي نواس ، ص303،302.

([5]) أمين الله: أي يا أمين الله، بحذف أداة النداء، شنان: أي شنآن بحذف المدّة، والـــشنآن: الكراهيـــة والـــبغض، العاصي: هو والد عبد الملك بن مروان، وجدّ مروان بن الحكم، صخر: هو أبو سفيان بن حرب، والد معاوية مؤسس الدولة الأموية.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنيتَ، بما خنْتَ الأميرَ، سِقايةً، فلا شربوا إلاّ أمَـرّ مـن الـصّبْرِ([1])
فما كُنْتَ إلاّ مثل بائعةِ اسـتها، تعود على المرضى به طلـب الأجـر

وحرّض الأمين عليه مرّةً أخرى، وحثّه على طرده، مشبّهاً له بأحمر عـاد، عاقر ناقة صالح عليه السلام، وداعياً إلى قتله، يقول([2]):

ألستَ أمينَ اللهِ، سـيفُكَ نقمَـةٌ، إذا ماق يوماً في خلافِكَ مـائقُ
فكيف بإسـماعيل يَـسلمُ مِثْلُـهُ عليكَ، ولم يسلَمْ عليـكَ منـافِقُ
أعيذكَ بالرَّحمنِ مِنْ شرِّ كاتب، لهُ قلـمٌ زانٍ، وآخـرُ سـارِقُ
أحَيْمِرَ عادٍ إنّ للـسّيفِ وقعـةً برأسِكَ، فانظرْ بعدها ما توافـقُ
تجهّز جهاز البرمكيّينَ، وانتظرْ بقيّةَ ليلٍ صـبحُهُ بـكَ لاحِـقُ

وينال أبو نواس من صاحب الديوان ابن سابه، فيتحوّل غيظـه إلـى صـور ماسخة، يلصقها به ، فلا نرى إلاّ وجهاً منكراً، وقد استعان الـشاعر لهـذه الغايـة بمجموعة من التشبيهات، فجعل حضور ابن سابه مثيرا للهمّ والكآبة كغراب البـين، وأشدّ من ذلك على النفس نتانته التي تماثل الجنابة، ورؤيته صـدمة يُتعـوّذ منهـا، وأثرها في النفس مثل أثر رؤية كتاب الطلاق، ووجوده ثقيل كثقـل بيـت العـزاء، ويشبّهه برغيفٍ يابس، لا تقبله نفس الإنسان، ولهذا يرفضه البقّال؛ خوفاً من كساده، يقول([3]):

---

(1)يشير أبو نواس في هذا البيت إلى بناء إسماعيل بن صبيح سقاية ليسقي أهل المدينة بالماء، وقد أجـرى لتلـك السّقاية قناة طويلة كانت كلّفتها خمسين ألف دينار وكان قول أبي نواس هذا حافزاً للخليفة الأمين دفعه إلى قيد إسماعيل المذكور وإلزامه بدفع المبلغ المشار إليه.

(2) ديوان أبي نواس، ص417.

(3) المصدر نفسه، ص101،100.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قــد عــلا الــديوانَ كابَــهْ ... مــذْ تــولاّهُ ابــنُ ســابهْ[1]
يا غُرابَ البينِ فــي الــشؤ ... م، وميـــــزابَ الجنابـــــهْ[2]
يـــا كتابـــاً بطـــلاقٍ، ... يـــا عـــزاءً بمـــصابَهْ
يـــا مثـــالاً مـــن همـــومٍ، ... يـــا تبـــاريحَ كآبـــهْ
يـــا رغيفـــاً ردّه البقّـــا ... لُ يبـــسْاً وصـــلابَهْ
مـــا علـــى وجْـــه بـــه قـــا ... بَلْتَنـــي اليْـــومَ مهابَـــهْ
كاتـــبٌ أيـــضاً، ومـــا مـــرَّ ... علـــى رأسِ الكتابَـــهْ

وأمّا دعبل فلاحق كاتب المأمون أبا عبّاد([3]) وسفَّهه، وجمع إلى فشله في عمله بشاعة في صورته، فتركه عارياً ملطّخاً بالحبر، وحوّل الصورة إلى مشهدٍ متحرّك، فجعله هائجاً يجرّ السلاسل خلفه. يقول([4]):

أولـــى بـــضيعةٍ وفـــسادِ ... أمـــرٌ يـــدبّره أبـــو عبّـــادِ
خَرِقٌ على جُلـسائهِ بدواتـه ... فمزمّـــلٌ ومخـــضّبٌ بمـــدادِ
وكأنَّه من ديْرِ هِرقَلَ مفلـتٌ ... حَرِدٌ يجرّ سلاسـل الأقيـادِ[5]
فاشددْ أمير المؤمنين وثاقـهُ ... فأصَـحَّ منـه بغيـةُ الحـدّادِ

---

(1) كابة: أي كآبة بتخفيف الهمزة .

(2) البين: الفراق، الميزاب: القناة يجري فيها الماء (واللفظة فارسية) .

(3) أبو عبّاد: هو ثابت بن يحيى بن يسار، أبو عبّاد الرازي، كاتب المأمون، ولد سنة خمس وخمسين ومائة، وتوفي سنة عشرين ومائتين .

انظر الصفدي : الوافي بالوفيات،ج10، ص472-474.

(4) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج10، ص474،473، الأغاني: ج20، ص308، مع اختلاف بسيط في الأبيات،

(5) حَرَدَ يحرِدُ حُرْداً: تنحى وتحوّل عن قومه، ونزل منفرداً لم يخالطهم، ورجلٌ حرِدٌ وحاردٌ: غضبان، اللسان مادة حرد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجعله في موطن آخر أحد أركان الضعف في بيت الخلافة يقول([1]):

مـــــا للخليفـــــة عيـــــبٌ إلاّ أبـــــــــــو عبّـــــــــادِ
قـــــردٌ بنـــــوهُ قـــــرودٌ تـــــأوي إلـــــى قـــــرّادِ

وكان أكثر موظّفي الدولة العباسية تردّداً على ألسنة شعراء السخرية قاضـــي البصرة زمن المأمون، يحيى بن أكثم([2])، وذلك لما شاع عنه من فساد أخلاقي وسوء معاملة. وقد وقف الشعراء على سلوكه الشائن الذي يدينه، ويجعل منه شاذاً منبوذاً، فهذا ابن أبي نعيم يقول فيه([3]):

يا ليتَ يحيى لـــم يلـــدهْ أكْثمُـــهْ ولم تطأ أرضَ العراق قدمُـــهْ
ألوط قاضٍ في العراق نعلمُـــه أيّ دواة لـــم يلفهـــا قلمـــه
وأيُّ شِعْبٍ لم يَلفْهُ أرقمهْ([4])

إنَّ تمنّىْ الشاعر بأنّ أم يحيى لم تلدْ يحيى، يعني ضمْناً دعوةً عليه بـــالموت، لأنه أشاع الفساد الأخلاقي في أرض العراق، وأصبح اسمه مقترناً بالرّذيلة.

ويقول فيه ابن أبي نعيم في موطن آخر([5]):

---

(1) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج10، ص473.

(2) هو يحيى بن أكثم بن عمرو بن أبي رباح من أهل خراسان من مدينة مرو، سخط عليه المأمون فـــي ســـنة خمس عشرة ومائتين وذلك بمصر، وبعث به إلى العراق مغضوباً عليه، وكان قـــد كتـــب الحـــديث وتفقّـــه للبصريين، وله مصنفات في الفقه، وفي فروعه وأصوله، وكتاب أفرده وسماه التنبيه يرد فيه على العراقيين. انظر المسعودي : مروج الذهب : ج4، ص29،28.

(3)المسعودي : مروج الذهب ، ج4، ص27، أبو الفداء المؤيد: المختصر، ج2،ص40.

(4) كنّى عن الأست بالشعب، وعن الذكر بالأرقمَ.

(5) ورد بعضها في المسعودي: مروج الذهب، ج4، ص27. وورد بعضها الآخر في مرآة الجنـــان لليـــافعي، ج2، ص104،103، ووردت مكتملة في المختصر لأبي الفداء المؤيد، ج2، ص40 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنطقني الدّهْرُ بعد اخـــــراسِ لنائباتٍ أطلْنَ وســـــواســـي
لا أفلحـــــتْ أُمَّـــــةٌ وحـــــقّ لهـــا بطول نكسٍ وطـــول اتّعـــاسِ
ترضـــى بيحيـــى يكـــون سائـــسها وليس يحيـــى لهـــا بـــسوّاسِ
يحكـــمُ للأمـــــردِ الغـــديرِ علـــى مثل جريـــر ومثـــل عبـــاسِ
فالحمدُ لله كيـــف قـــد ذهـــب الـــــ ـــعدل وقلَّ الوفاءُ في النـــاسِ
أميرنـــــا يرتـــــشي، وحاكمنـــــا يلوطُ، والرأس شرّ مـــا راسِ
قاضٍ يرى الحـــدَّ فـــي الزّنـــاء ولا يرى على من يلوطُ من باسِ
ما أحسبُ الجور ينقضي وعلـــى ال أمـــةِ والٍ مـــن آل عبّـــاسِ

إنَّ سوء ما رآه الشاعر من هذا القاضي، دفعه ليدعو بالخيبة على الأمّة التي ترضى بمثله قاضياً، وهو شيطانٌ يئزّ في رؤوسهم المنكر، وقد قلـــب مـــوازين القضاء ، وأدخل معياراً جديداً خاصاً بذاته الشاذة إذ لا يرى في اللّواط منكراً في حين يعاقب الزّاني ويقيم عليه الحدّ، وتكررت هذه الصورة عنـــد راشـــد بـــن اســـحق ، يقول([1]):

وكنّا نرجّي أنْ نرى العدلَ ظاهراً فأعقبنا بعـــد الرّجـــاء قنـــوطُ
متى تصْلحُ الدُنيا ويصلُحُ أهْلُهـــا وقاضي قضاةِ المسلمين يلوطُ؟

ويروى أنَّ هذا القاضي كان يجاهر بالأفعال الشنيعة، وأنَّ المأمون أمـــره أن يفرض بنفسه فرضاً، يركبون بركوبه، ويتصّرفون في أموره، ففرض أربعمائة غلام

(1) المسعودي : مروج الذّهب، ج4، ص27، أبو الفداء المؤيّد: المختصر في أخبار البشر ج2، ص40.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مُرْداً، اختارهم حِسان الوجوه، فافتضح بهم، وقال في ذلك راشد بن اسحق ، يذكرّ ما كان من أمر يحيى في الفرض([1]):

خليلـــيَ انظـــرا مُتعجّبـــين ... لأظرف منظرٍ مقلتْـــهُ عينـــي
لفـــرض لـــيس يُقبـــلُ فيـــه إلاّ ... أسيل الخـــدِّ حُلْـــوَ المقلتـــينِ
وإلاّ كُـــلَّ أشـــقر أكثمـــيّ ... قليل نباتِ شَعْرِ العارضـــينِ
يُقـــدَّم دون موقـــفِ صـــاحبيه ... بقـــدر جمالـــه وبقُـــبحِ ذيـــنِ
يقودُهُمُ إلـــى الهيجـــاء قـــاضٍ ... شديدُ الطعن بالرّمح الرُّدينـــي
إذا شهد الوغى مـــنهم شـــجاعٌ ... تجـــدّل للجبـــينِ ولليـــدينِ
يقـــودهم علـــى علْـــمٍ وحِلْـــمٍ ... ليومِ ســـلامةِ لا يـــومِ حَـــيْنِ
وصار الـــشيخُ منحنيـــاً عليـــه ... بمدمجـــهِ يجـــوز الـــركبتينِ
يغادرهم إلى الأذهان صـــرعى ... وكلُّهـــم جـــريحُ الخـــصيتينِ

وعلى الرّغم مما قيل في يحيى بن أكثم إلاّ أنَّ الإمام أحمد دافع عنه، ورفض ما سمعه عنه. إذ يروى أنه ذكر له ما يرمي به الناس يحيى بن أكثم وينسبونه إليـــه من الهنات، فقال : سبحان الله من يقول هذا؟ وأنكر ذلك إنكاراً شديداً،([2]) ويبـــدو أن تعيين ابن أكثم قاضياً في سن مبكرةٍ، وهو لم يتجاوز عشرين سنة، كان له أثرٌ بارز في ملاحقة الناس له، واستصغار شأنه([3]) .

([2]) المسعودي : مروج الذهب، ج4، ص28.

([1]) اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص103.

([2]) انظر المصدر نفسه ، ص102.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الوزراء الذين عضّهم الشعراء بألسنتهم الفضل بن مروان وزير المعتصم، فقد كان عاميّاً رديء السيرة، قال فيه بعض شعراء عصره([1]):

تفرعنتَ يا فضلُ بن مروان فاعتبرْ فقبلك كان الفضلُ والفضلُ والفضلُ([2])
ثلاثةُ أملاك مضَوْا لسبيلِهِمْ أبادَهُمُ التقييدُ والأسْرُ والقتلُ

ولمّا عظُمَ أمر الفضل بن مروان حسده الناس، فوشوا به، فاستصفى المعتصم أمواله، وعينّ مكانه أحمد بن عمّار ، وكان رجلاً موسراً لكنّه جاهلٌ، وكان يعملُ طحّاناً أوّل أمره، وفيه يقول أحدُ الشعراء([3]):

سبحان ربّي الخالق الباري صِرْتَ وزيراً يا ابن عمّارِ
وكُنْتَ طحّاناً على بغلةٍ بغير دكّانٍ ولا دارِ
كفرتُ بالمقدار إنْ لم تكنْ قد جَزْتَ في ذا كُلّ مقدارِ

فالشاعر يتعجب من انقلاب الأمور ويجري مقارنة بين أمس ابن عمّار وحاضره، فبينما كان طحّاناً لا يملك شيئاً، أصبح اليومَ وزيراً يمتلك المال والجاه ، والغاية من هذه المقارنة هي إثبات الفساد والفوضى التي حلّت بالمجتمع، فرفعت من لا يستحق الرفعة وهبطت بمن هم أولى بها.

---

(3) ابن الطقطقي: ص210، اليافعي: مرآة الجنان، ج2، ص117 ، مع اختلاف بسيط في البيتين، وزيادة بيت آخر.

(1) أراد بالثلاثة الفضل بن يحيى البرمكي، والفضل بن الربيع، والفضل بن سهل. انظر اليافعي: ج2،ص117.

(2) ابن الطقطقي، ص211.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشبيه بالوزير السابق في جهله بأمور الحكم الوزير حامد بـــن العبـــاس، إذ يروى "أنه دخل مرّةً إلى دار المقتدر، فطلب منه بعض خواصّ الخليفة شعيراً لدوابه،

فأخذ الدّواة ووقّع بمائة كُرٍّ، فقال له آخر من الخواص: أنا أيضاً محتاجٌ إلـــى عليقٍ لدوابي، فوقّع له بمائة كرّ، وما زال يطلب منه واحد واحد من خواص الخليفة وهو يوقّع، حتى فرّق ألف كُرّ في ساعة واحدة، ولمّا عرف المقتدر قلّة فهمه وخبرته بأمور الوزارة، أخرج إليه علي بن عيسى بن الجرّاح من الحبس، وضمّه إليه وجعله كالنّائب له، فكان علي بن عيسى لخبرته هو الأصل، فكلّ ما يعقده ينعقد، وكُلّ مـــا يحلّه ينحلّ، بينما كان اسم الوزارة لحامد، حتى قال فيه بعض الشعراء([1]):

قُـــلْ لابـــن عيـــسى قولَـــةً ... يرضى بهـــا ابـــنُ مجاهـــدِ
أنْـــــتَ الـــــوزيرُ وإنمّـــــا ... ســـــخروا بلحيـــــة حامـــــدِ
مهمـــا شـــككتَ فقُـــلْ لـــه: ... كـــم واحـــداً فـــي واحـــدٍ؟

وتتجلى سخرية الشاعر في إشارته إلى جهل حامد المطبق، فهـــو لا يعـــرف شيئاً، ولو سئل: كم واحد في واحد لما أجاب، وهذا الأمر يؤكد أنّ هذا الوزير لم يكن إلاّ ستاراً، لا قيمة له في واقع الأمر . ولهذا استغرب بعض الشعراء من تزيي حامد بزي الوزارة، ومن استثناء الوزير الفعلي منها ، يقول([2]):

أعجبُ مـــن كُـــلّ مـــا رأينـــا ... أنَّ وزيـــرينِ فـــي بـــلادِ
هـــذا ســـوادٌ بـــلا وزيـــرٍ ... وذا وزيـــرٌ بـــلا ســـوادِ

(1) ابن الطقطقي : ص242،241.
(2) المصدر نفسه، ص242،241.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن أمثال هذا الوزير، الحسين بن القاسم وزير المقتدر، فلم يكن بارعاً في صناعته، ولا محموداً سلوكه، ولذلك لم تطل مدّة وزارته، وظهر في فترة تعيينه عجز في الوزارة واختلال في أحوالها، حتى قال فيه جحظة([1]):

إذا كان الوزيرُ أبا الجِمال ... ومحتسب البلاد الدانيالي
فعدّ عن البلادِ فعنْ قليلٍ ... ترى الأيّام في صور الليالي
تقضّت بهجة الدنيا وولّتْ ... وآذَنَ كُلّ شيء بارتحالِ

فقد أصبح كُلّ شيء في نظر الشاعر مهدّداً بالزّوال بعد أن آلت الأمور إلى يدي أبي الجمال والدانيالي ويتنبأ الشاعر برحيل الهدوء والاطمئنان من حياة الناس ،ليحل الفقر والألم محلهما.

وتهكّم الشعراء من كثرة العْزل والتعيين، ولعلّ الوزير الخاقاني خير أنموذج يمكن أن يُعرض في هذا الباب، إذ يُروى أنّه كان "سيء السيرة والتدبير، كثير التولية والعْزل، قيل إنه ولّى في يومٍ واحدٍ تسعة عشر ناظراً للكوفة وأخَذَ من كُلٍّ واحدٍ رشوة، فانحدر واحد واحد حتى اجتمعوا جميعهم في بعض الطريق، فقالوا: كيف نصنع؟ فقال أحدهم: إن أردتم النَّصفة فينبغي أنْ ينحدرَ إلى الكوفةِ آخرنا عهداً بالوزير، فهو الذي ولايته صحيحة؛ لأنه لم يأتِ بعده أحدٌ. فاتّفقوا على ذلك، فتوجّه الرّجل الذي جاء في الآخر نحو الكوفة، وعاد الباقون إلى الوزير، ففرّقهم في عِدّة أعمال، وسخر منه الشعراء واستسخفوه، فمما قيل فيه([2]):

للدواوين مُذْ وليتَ عويل ... ولمالِ الخراج سُقْم طويل
يتلقّى الخطوب حين ألمّتْ ... منك رأيٌ غثٌّ وعقلٌ ضئيل

---

(3) جحظة: هو أحمد بن جعفر، نديم، أديب من علماء البرامكة ، مليح الشعر، مات سنة 324.
انظر ابن الطقطقي، ص247.

(1) ابن الطقطقي، ص240.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنْ سمِنتمْ من الخيانـــةِ والجَـــوْ ر فللارتفـــاع جـــسم نحيـــل

لقد أنطق الشاعر دواوين الدولة وأموالها؛ لتعبِّر عن رأيها في هذا الـــوزير، فهي استقبلته بالبكاء حزناً على حالها منه، وأمّا أموال الخراج فأصـــيبت بمـــرضٍ شديد، ونحل جسمها خوفاً من ضعف رأيه وقلّة عقله من ناحية، وعدم أمانته وظلمه من ناحية أخرى.

وقيل فيه أيضاً([1]):

وزيرٌ لا يمـــلُّ مـــن الرَّقاعـــهْ يولّي ثمّ يعزلُ بعـــد ســـاعهْ
ويُدني من تعجّـــل منـــه مـــالٌ ويُبعد من توسَّـــلَ بالـــشّفاعهْ
إذا أهل الرِشّا صـــاروا إليـــه فأحظى القومِ أوفرُهم بضاعهْ

فهذا الوزير متذبذبٌ ومتسرّعٌ في قراراته، لا تثبت عنده حال، فسرعان مـــا يقرّب ويبعد، وأساس هذا مصلحته، فمن يقدّم له المال والهدايا فهو مقرّب عنده، ومن توجّه إليه بطلب أو شفاعه يرفض مقابلته، ويقصيه.

وتناول ابن الرومي في سخريته شخـــصية "أبـــي صـــقر" الـــذي اســـتوزره الموفق([2])، وأعلى من شأنه، فاحتل منصباً لا يستحقّه، وانتحل نـــسباً غيـــر نـــسبه، يقول([3]):

عَجِب النّاسُ من أبي الصّقْرِ إذ ولّيَ بعد الإجـــازةِ الـــديوانا
ولعمري، ما ذاك أعجَبُ منْ أنْ كان عِلْجاً فصار من شيبانا([1])

(1) ابن الطقطقي ، ص240.
(2) المصدر نفسه ، ص228.
(3) ديوان ابن الرومي: ج6، ص297.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنّ للحـــظّ كيميـــاءَ، إذا مـــا مسَّ كلبـــاً أصـــاره إنـــسانا

وتظهر سخريته من خلال جعل أبي صقر كلباً، رفعه الحظّ إلى مصافّ البشر، وكأنّه لا يعني شخص المهجو وحده، بل يقصد العصر المتطوّر بمادته التي تحـــوّل البهائم التي لا تدرك ولا تعقل إلى أناس، تُنسب إليهم كلمة إنسان.

ولا يخفى على المتعمِّق في شعر ابن الرومي، كيف ينحو إلى الجماعةِ مـــن خلال الفرد، فيجعله يمثّل صورة المجتمع وأهله. فهذه الأبيات لا تمثّل واقع المهجـــو بقدر ما تمثّل واقع عصره، تتصدّى له ظاهراً، فيما تقصدُ واقع العصر، ضمناً، حيث لا يوضع المرء في المكان اللائق به، وحيث عمَّ الزّيف والنفاق. والشاعر يحنق من القدر الذي يحلّ كلاب الجهل محلّ الإنسان العاقل الكفي([2]). وهذا ضربٌ من السخرية الفلسفية التي تنتقل من الفرد إلى المجتمع ثم تنتهي إلى الوجود، فتتناول قدر الإنسان ومصيره، وربمّا كان هذا النّمو أحد الخصائص العامّة في شعر ابن الرومي، يـــدلّ على استنفاد التجربة الشخصية، والتنامي إلى البعد الإنساني العام([3])، وممـــا قالـــه أيضاً([4]).

مهلاً أبـــا الـــصّقرِ فكـــم طـــائر خـــرَّ صـــريعاً بعـــد تحليـــقِ
زُوِّجْتَ نُعْمى ولم تكـــن كُفأهـــاً فـــــــصانها الله بتطليـــــــق
لا قُدِّســـتْ نُعمـــى تـــسْربلْتَها كـــم حجّـــةٍ فيهـــا لزنـــديق

ويواصل سخريته بقوله([5]):

---

(4) العلج: الرجل الضخم من كفار العجم، وبعض العرب يطلق العلج على الكفّار مطلقاً، وتأتي بمعنـــى حمـــار الوحش السمين القوي .

(1) إيليا حاوي: فن الهجاء وتطوّره عند العرب، ص578،577.

(2) انظر عبد المجيد الحر: ابن الرومي عصره، حياته، نفسيته، فنّه من خلال شعره، ص154.

(3) ابن الطقطقي: الفخري، ص228.

(4) المصدر نفسه، ص228.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما بالُ فرْخٍ أبــوه بُلْبُــلٌ رُبَــحٌ يُكْنَى أبا الــصقر أهــل الــدواوين
عرّوه من كنيةٍ ليستْ تليــقُ بــه يُدْعى أبا الصقر من كان ابن شاهَينِ

فالشاعر يستغل اسم المهجو ليتلاعب فيه تلاعباً ساخراً ينتهي إلى قلب المعنى وتغييره، فهو يرى أن اسم أبي صقر يحملُ دلالة فيها شموخ وإبــاء لا يــستحقّها ، والأولى أن يكون اسمه فرخ، فهو أليق به.

ويعجبُ ابنُ الرّومي من مفارقات القدر التي تحطّ من شأنه وتعلي من قــدر غيره من الناس وهم دونه، فيقول([1]):

أتُراني دونَ الأُلــى بلغــوا الآ مالَ من شرطةٍ ومن كُتّــابِ؟
وتجارٍ مثــل البهــائم فــازوا بالمنى في النّفوس والأحبــابِ
فــيهمُ لُكنــة النبــيط ولكــنْ تحتهــا جاهليــةُ الأعــرابِ
أصبحوا يلعبون في ظِلِّ دَهْــرٍ ظاهر السُّخْفِ مِــثْلهِمْ لعَّــابِ

فهو يقارن بينه وبين من وصلوا إلى أرفع المناصب، ويتساءل: هل قصرّت به مواهبه وقدراته عن الوصول إلى ما وصل إليه أصحاب الشرطة والكتّاب؟ .

ولعلّ ما قاله ناتجٌ عن فشله في إدراك منصبٍ من هذين المنصبين، هذا إلــى جانب فقدان العدالة التي تولّدُ كُرْهاً عند المحرومين، وتخلق لديهم ردّة فعْل غاضبة. ثم ينتقل إلى التجّار فيجعلهم كالبهائم في خلوّهم من العلم ورجاحــة العقــل، ولكــنّ أموالهم الطّائلة أوجدت لهم مكانة في مجتمعهم، وفي نفوس أصحاب الجاه والسلطان. ومن اللافت للنّظر أنّه خصّ الأغنياء من الأعاجم بسخريته واستهزائه، وهذا امتــدادٌ لاستصغاره العنصر الأجنبي، فنراه هنا يجرّدهم من الذّكاء والعقل، ويجعلهم بعيدين

([1]) ديوان ابن الرومي: ج1، ص318.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن رقّة الحضارة الأعجمية التي استبدلوا بها جاهلية الأعراب، وعلى الرّغم من ذلك مال الدهر معهم وأعطاهم.

ويستمر في الحطِّ من شأنهم، فيجعلهم كالذّباب الذي يطنّ هنا وهناك دون فائدة، وليس فيهم ما يمكن أن يرفعهم في هذا المجتمع، فليسوا من المفكرين أو المحاربين، بل هم بصفاتهم الذميمة يكذبون كلّ من يمدحهم، ويصدقون من يعيبهم ويذمّهم، ولهذا يلقبون بما يعيب، بدل الأسماء والكنى المحمودة، ثم ينتزع منهم الخير، ويجعل غيبتهم لا تؤدي إلى الإثم([1])، يقول([2]):

غيْرَ مُغَنينَ بالسّيوف ولا الأقـ ـلام في موطن غَناءَ ذباب([3])
ليس فيهم مُدافِعٌ عن حريمٍ لا ولا قائمٌ بصدرِ كتابِ([4])

مُتَّسِمّينَ بالأمانة زُوراً والمناتينُ أخْرَبُ الخُرَّابِ([5])
كاذبي المادحينَ يَعْلَمُهُ اللّـ ـهُ عُدُول الهُجاةِ والعُيَّابِ([6])
شَغَلَتْ مَوْضِعَ الكُنى لا بل الأسـ ـماءُ مِنْهُمْ قبائِحُ الألقابِ
خيرُ ما فيهم ولا خَيْرَ فيهمْ إنَّهُمْ غيرُ آثمي المُغْتَابِ

ثُمّ يَصِفُ ما يتمتّعُ به أولئك من أطايب الحياة على الرغم من كُلّ تلك الصفات الآنفة التي وُصفوا بها، فهم ينغمسون في أوقاتهم بالمحرّمات، فتجدهم يتقلّبُون في

([1]) انظر عبد المجيد محمد جيده: الهجاء عند ابن الرومي، ص293.

([2]) ديوان ابن الرومي: ج1، ص318،319.

([3]) أي أنّهم كالذّباب الذي يطنّ دون فائدة، فلا هم محاربون من أهل السيف ولا هم مفكرّون من أصحاب الأقلام.

([4]) قوله ولا قائم بصدر كتاب: أي ليس فيهم من يكتب سطراً واحداً في أوّل صفحات الكتاب.

([5]) المناتين: الذين تفوح منهم رائحة النتن، الخراب: جمع خارب وهو اللّص.

([6]) العيّاب: الذين يعيبون.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحضان النساء، والجواري الجميلات، ثم في مجالس الغناء التي تديرها المطربات، وتنتشر فيها الساقيات([1]) اللواتي يطفَنَ بأكواب الشّراب، ومع كُلّ هذه النِعَمِ لا يشكرون الله عز وجل، ويتساءل الشاعر، أليس من العدل أن تزول هذه النعم التي لا يدرك أصحابها قيمتها، ولا يشكرون صاحبها؟ يقول([2]):

ويَظَلّونَ في المناعمِ واللّذا ... تِ بين الكواعبِ الأتْرابِ
لهمُ المُسْمِعَاتُ ما يطْرِبُ السا ... مِعَ والطّائفاتُ بالأكوابِ
نِعَم أَلْبَستَهُمُ نِعَمُ الله ... ـه ظلالَ الغُصُون منها الرِّطابِ
حينَ لا يَشْكُرُونَها وهي تَنْمِي ... لا ولا يَكْفُرُونَها بارتْقابِ
إنَّ تِلْكَ الغُصونَ عندي لتُضْحي ... ظالماتٍ فَهَلْ لها مِنْ مَتَابِ؟
ما أبالي أأثْمَرَتْ لاجتِناءٍ ... بَعْدَ هذا أم أيْبَستْ لاحتطابِ؟

لقد كانت هذه الأبيات وغيرها صرخة وجهها ابن الرّومي في وجوه المرتشين من الحُكّام والشرطة والكُتّاب وكانت ترجماناً عن العصر والمجتمع المضطرب المتفاوت، فالتُّرْكُ منصرفون إلى الغنائم والأسلاب، لذلك أفقروا خزانة الدولة، ولم يكن يروق لهم إلاّ أطايب الأشياء، كذلك سلّطوا سيوفهم على رقاب الخلفاء الذين كانوا شركاء لهم في التّرف والاستهتار، وأصبح الخليفة يصادر ممتلكات النّاس ليسدّ عجز الخزانة، ولذلك وصلت الرّشوة والسّرقة مدى لم تعرفه من قبل، وأصبحت الإقطاعات تتأرجح صعوداً وهبوطاً حسب رضى الحكام أو سخطهم، كانت نهايتها التمزّق إلى دويلات([3]).

([7]) انظر عبد الحميد محمد جيده: الهجاء عند ابن الرّومي ، ص295.

([8]) ديوان ابن الرّومي ،ج1، ص319.

(1)علي شلق : ابن الرومي في الصورة والوجود ، ص52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشير ابن الرومي إلى ضعف الخلفاء أمام أعدائهم وإن تظاهروا بالـشجاعة يقول([1]):

رأيتكم تستعدُّون الـسِّلاحَ، ولا تحمونَ في الرَّوْع من أعدائكم سَلَبا
كالنّخل يُشْرِعُ شوكاً لا يذودُ بهِ أيدي الجُناةِ ولا يحمـيهُمُ الرُّطبـا

ومما يتصل بسياسة الدولة السخرية من الوالي اسماعيل بن بلبل فقد لاحقه ابن الرومي وكشف نهبه لأموال الدولة، من خلال مقارنة حاضره بأمسه، يقول([2]):

وشـيّدت القـصورُ لـه وكانـت قبـلُ أكواخـا
وصـار أخـسُّ مـن معـه لـه عـشرون طبّاخـا
وكانـت أمُّـه كمَّـا خـةً وأبـوه كمّاخـا([3])
عجبـتُ لمـن رأى هـذا بعينيـه فمـا سـاخا
إلـى الله الـصّراخُ فهـلْ يُحيـرُ إلـيَّ إصْـراخا
عـدمْتُ الملْـكَ إنّ لـه لأوضـاراً وأوسـاخا

فالشاعر يسخر من انقلاب الحال وتغيرها ويدعو الناس إلى تأمّل ما وصل إليه الوالي إسماعيل بن بلبل، فبعد أن كان لا يملك شيئاً ، أصبح يملك القصور والخـدم والطّباخين، ولم يقف الأمر عنده بل نال من نصيبه كلّ من كان يتّصل به أو يتقرّب منه.

([2]) ديوان ابن الرومي : ج1، ص271.

([1]) ديوان ابن الرومي: ج2، ص107.

([2]) الكمّاخة والكمّاخ: من كمخ بأنفه: إذا شمخ بأنفه تكبرّاً، والكماخ: الكبر والتعظّم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الذين عرفهم ابن الرومي في هذا الإطار صاعد بن مخلد الذي ذُكر أنه بدد أموال الدولة، وأنّ سياسته كانت السبب في إشعال ثورات كثيرة يقول([1]):

واستباح الأموال يُعْمِلُ فيهنْ ... نّ بلا مدفع ولا تنفيس
نفقات كادت تُقَلِّسُ بيت الـ ... ـمالِ أقصى نهايةِ التفليسِ
شؤم رأيٍ أتى على الشرق والغر ... بِ من المُدَّعي الدَّعيّ النَّحيسِ

وهذه الأبيات تضع اليد على أهم أسباب الفساد والترهل في المجتمع العباسي ، وهي نذير انهيار قادم لا محالة.

وفي موطن آخر يجعل ابن الرومي من صاعد بن مخلد ذئبا لايؤمن على رعيته. يقول([2]):

رعى هذا الأنام فكان ذئباً ... أحصَّ وما الذِّئابُ وما الرُّعاة

وينتقد ابن الرومي في سخريته من هذا الوالي ما وصل إليه الأعاجم من علو شأن وارتفاع منزلة، يقول([3]):

لِغَيْرِكَ لا لَكَ التفسيرُ أنَّى ... يُفَسَّرُ لابن بجدَتِها الغريبُ؟
كلامُكَ ما أُتَرْجِمُ لا كَلامي ... وإنْ أصْبَحْتُ لي فيه نصيبُ
أأعرفُهُ ولستُ لَهُ نسيباً ... وتَجْهَلُه، وأنت له نسيبُ
معاذَ اللهُ! ليْسَ يُظَنُّ هذا ... من القومِ الأديبُ ولا الأريبُ

(3) ديوان ابن الرومي، ج3،ص297.
(1) ديوان ابن الرومي،ج1، ص32.
(2) المصدر نفسه،ج1،ص268،267.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بَلى، تَرْجَمْتُ عن شعري لقومٍ فصيحُ الشِّعْر عِنْدَهُمُ جَليبُ
عَسَاهُمْ أنْ يُجيلُوا الطَّرْفَ فيه فإنْ سألوه أجابهمُ مجيبُ
وإن ضلّوا فمرشدُهُم قريبُ وإن سألوا ألفوه يجيبُ

وتتبعُ هذه السخرية من مرارة الإحساس بانقلاب الموازين، إذ علا زمانه بأولئك الأعاجم، الذين لا يحسنون فَهْمَ العربية كإسماعيل بن بلبل، وهو هنا يسخر من جهله على طريقة التورية، فيقول أنا لا أفسّر الشعر لك، بل لغيرك، وهل أنت بحاجة إلى تفسير الشعر؟ أنت ابن اللغة وبيانها .

وأشار ابن الرومي إلى دور الشرطة السلبي في مجتمعهم، وذكر أنهم انغمسوا في الملذّات، وتركوا واجباتهم، وأصبحوا يلهثون وراء نزعات ذاتية ومصالح فردية، يقول([1]):

شُرَطٌ خُوِّلوا عقائلَ بيضاً لا بأحسابِهمْ بلْ لاكتسابِ([2])
من ظباءِ الأنيسِ تلك اللّواتي تتركُ الطالبينَ في أنْصابِ
فإذا ما تعجّبَ الناسُ قالوا: هل يصيدُ الظِّباءَ غيرُ الكلاب؟

فبدلاً من انشغال الشرطة بحفظ الأمن والسهر على راحة الناس، انشغلوا بملاحقة النساء الجميلات، واستطاعوا أن يصلوا إليهن، ولم يكن ذلك نتيجة علوّ أحسابهم أو جليل أعمالهم، بل بما نالوه من حظّ أعمى، فإذا تعجّب الناس من ذلك، وتساءلوا كيف فازهؤلاء بظباء الأنس، سرعان ما تتبادر لديهم الإجابة، وهي: من يصيد الظّباء غير الكلاب، وهنا تتجلى سخرية الشاعر ونقمته.

---

(1) ديوان ابن الرومي: ج1، ص323.
(2) الاكتساب : الحظوظ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويضيف إلى ملاحقتهم للنساء عبثهم ولهوهم وإغراقهم في السكر، يقول([1]):

أصبحوا ذاهلين عن شَجْن النـــا سِ وإن كانَ حبْلُهُمْ ذا اضطراب
في أمورٍ وفي خمـــورٍ وَسَـــمُّو رٍ وفي قاقُمٍ وفـــي سِـــنْجابِ([2])

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(3) ديوان ابن الرومي،ج1،ص323.

(4) السّمور والفاقم والسنجاب: أنواع من الحيوانات تتخّذ من جلودها الفراء الثمينة .

الفصل السادس

السخرية الدينيـــــة والحضـــــارية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ- السخرية الدينية :

يعدّ هذا اللون من السخرية من أخطر الألوان ، وأشدّها تأثيراً ، ولا يعني الوقوف عند النصّوص التي تمثّله محاكمةً لأصحابها في عقيدتهم ، بل محاولةً لمعرّفة مواطن السخرية في تلك النصوص ، ومع ذلك فمن الضروري الإشارة إلى اختلاف دوافع السخرية من شاعرٍ لآخر، واختلاف معانيها وحدّتها .

فسخرية أبي دلامة الدينية لم تكن مثيرةً للدهشة أو الغرابة ، لأنّ طابعه الفكاهي العبثي أخضع لمجونه أشياء كثيرةً ، فكادت تتساوى في وعيه المقدّسات بغيرها ، بل أصبحت سخريته وسيلة جذب وإثارة ؛ لأنها ‘تخرج الأمور عن الطبيعة المألوفة التي اعتادها النّاس ، كما كان يفعل مع أسرته 0 لهذا فإن ما يظهر منه من استهتار ببعْض القيم الدينية لا ‘يعدّ موقفاً فكرياً ، بل هو امتداد لهذا السلوك الذي لا يقيم للأشياء وزناً .

فمما روي عن أبي دلامة أنّ المهدي أمره أنْ يقوم ‘كلّ ليلة من ليالي شهر رمضان " وكان يبعث إليه في كلّ ليلة حرسياً يجيء به ، فشقّ ذلك عليه ، وفزع إلى الخيزران ، وأبي عبيد الله ، وكلّ من كان يلوذ بالمهدي ، ليشفعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يجيبوه ، فقال له أبو عبد الله ; الدّال على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : أتمّ شكر 0 قال : عليك بريطة فإنّه لا يخالفها ، قال : صدقت والله ، ثم رفع إليها رقعة(1) يقول فيها (2) :

أبلغ ريْطَةَ أنّي
فمضى يرحمه‘ الله
وأراها نَسِيتي
جاء شهر‘ الصّوم يمشي

(1) الأغاني ج 10،ص416.

(2) ديوان أبي دلامة ، ص 121 ، 123 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائـــــــــــــــــداً لـــــــــــــــي ليلـــــــــــــــة القْـــــــــــــــدر
تنْطـــــــــــــــــــــح‘ القبْلـــــــــــــــــــــةَ شـــــــــــــــــــــهْراً
ولقـــــــــــــــــــد عـــــــــــــــــــشْـــــــــت‘ زمانـــــــــــــــــــاً
فـــــــــــــــي ليـــــــــــــــال مـــــــــــــــن شـــــــــــــــتاءٍ
قاعـــــــــــــــــــداً أوقِـــــــــــــــــــد نـــــــــــــــــــاراً
وصَـــــــــــــــــــــــــــبوحٍ وعبـــــــــــــــــــــــــــوقٍ
مـــــــــــــــا أبـــــــــــــــالي ليلـــــــــــــــة القـــــــــــــــدْ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــاطلبي لـــي فرجـــاً مِنْـــ

كُنْـــت، عَبْـــداً لأبيهـــا

وأوصـــى بـــي إليهـــا

مِثْـــلَ نـــسيانِ أخيهـــا

مِـــشْيةً مـــا أشتـــهيها

كـــأني أبتغيـــها

جبْهتـــي لا تأتيـــها

فـــي فيـــافيّ وجيـــها

كنـــت، شـــيخاً أصـــطليها

لِـــضَباب أشـــتويها

فـــي عِـــلابٍ أحتـــسيها

رِ ولا تُـــسْمِعُنيها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــــها وأجـــــــــــــــري لـــــــــــــــكِ فيهـــــــــــــــا

فهو لم يرحّبْ بقدوم شهر رمصان؛ لأنّه سيحرمه صيده، وخمرته التي اعتادها قبل تسلّم المهدي الخلافة، وأصبح مجبراً على قيام ليالي هذا الشهر، وخصّ بسخريته ليلة القدر، وعدّها أصعب الليالي، ولهذا يطلب من ريطة أنْ تتحدث مع الخليفة ليعفيه من قيامها، ويظهر استخفافه وتهكّمه في قلب الأمور، إذ يطلب لها الأجر والثّواب في سعيها لإعفائه من هذه العبادة.

ويكرّر ضيقه بليلة القدر، ويرى فيها عبئاً ثقيلاً يوهن رجليه ويتعبه، ولهذا ينقم عليها، ولا يعير أجر قيامها بالاً، يقول([1]):

مـــــــا ليلـــــــةَ القـــــــدْرِ مـــــــن همّـــــــي فأطْلبُهـــــــا
يـــــــا ليلـــــــة القـــــــدْرِ قـــــــد كَـــــــسّرْتِ أرجُلنـــــــا
لا بـــــــــارك الله فـــــــــي خيـــــــــرٍ أؤمّلُـــــــــهُ
إنّـــــــي أخـــــــافُ المنايـــــــا قبـــــــل عـــــــشرينا
إنّـــــــي أخـــــــافُ المنايـــــــا قبـــــــل عـــــــشرينا

([1]) ديوان أبي دلامة ، ص117 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــــــا ليلـــــــة القـــــــدْرِ حَقّـــــــاً مـــــــا تُمنِّينـــــــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــــــي ليلـــــــةٍ بعْـــــــدَ مـــــــا ‘قمْنـــــــا ثلاثينـــــــا

وعلى هذا النحو كان يجاهر في مجونه أمام الخلفاء والأمراء العباسـيين ، متحلّلاً من فرائض الدين وعابثاً بها ، دون وجلٍ من الخلفاء ؛ لأنّهم كانوا يـسرّون بمجونه، ويطربون له ، ويضحكون لعبثه(1)

ويرى حسين عطوان أنّ هذا النوع من المجون إنّما هو زندقة اجتماعية، دفعه إليها مزاجه الشّخصي ،وحياة الجندية القاسية التي عاشها في نهاية الدولـة الأمويـة ،ونشأته في صدر شبابه بالكوفة التي كانـت تضطرب باللـهو والانحراف (2).

أمّا بشار فكان واحداً من الذين اتّهموا بالزّندقة (3) في عصره، وعُدّ خارجاً على أصول الدين وقواعده (4) وذكرت بعض المصادر أنه كان يرى رأي الكاملية وهم طائفة من الرّافضة (5) وقد دفع ثمن هذا حياته(6).

---

(1) حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأوّل ،ص32.

(2) المصدر نفسه ،ص30.

(3) الزندقة: كلمة ليست عربية، وإنّما هي تعريب لمصطلح إيراني يطلقه الفرس على صنيع من يؤولون (الافشتا) كتاب داعيتهم زرادشت تأويلاً ينحرف عن ظاهر نصوصه، ومن أجل ذلك نعتوا به مـاني ، وأخـذ مـدلول الكلمة يتّسع في العصر العباسي، ليشمل كُلّ من استظهر نحلة من نحل المجوس، واتّسعت أكثر مـن ذلـك، فشملت كُلّ إلحاد بالدّين الحنيف، وكُلّ مجاهرة بالفسق والإثم.

انظر شوقي ضيف: العصر العباسي الأوّل، ص79، حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسـي الأوّل ،ص13،12.

(4) انظر خزانة الأدب، ج3، من 230، 231.

(5) الكاملية: هم فرقة من الرّافضة يتبعون رجلاً كان يُعرف بأبي كامل، كان يزعم أن الصّحابة كفـروا بتـركهم بيعة علي بن أبي طالب، وكفّر علي بتركه قتالهم، وكان يلزمه قتالهم، كمـا لزمـه قتـال أصـحاب الجمـل وصفين. وقيل لبشار ما تقول في الصّحابة؟ فقال: كفروا، وقيل له: فما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــــــــــــــا شـــــــــــــــــرّ الثلاثـــــــــــــــــــة أم عمـــــــــــــــــــرو

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتجلّت سخريته الدينية في مظاهر مختلفة، بدأها بخلق آدم عليه السلام، وفضّل عليه إبليس، وجعل أساس المفاضلة طبيعة الخلق، فإبليس خُلِقَ من نار، أمّا آدم فخلق من طين، وفي هذا تعريض بالآية القرآنية: (وإذ قلنا للملائكةِ اسجدوا لآدم فسجدَوا إلاّ إبليس أبى وأستكبر وكان من الكافرين)( ). فهو يصوّب رأي إبليس في امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، يقول( ):

بـ صاحبك الـ ذي لا تـ صحبينا

أنظر نكت الهميان، ص127، الوافي بالوفيات، ج1، ص138.

( ) ذُكر أنّ المهدي أمر بضربه، فضُرب سبعين سوطاً، فمات، وكان ذلك سنة ثمان وستين ومائة، وقد نيّف على تسعين سنة .

انظر خزانة الأدب، ج3، ص231،230.

( ) سورة البقرة، أية 34. وورد المعنى ذاته في الأعراف آية 11، وآية 12 وفي الإسراء آية 61، والحجر آية 32، وآية 33، وفي ص آية 75 وآية 76، وفي طه آية 116، والكهف آية 50 .

( ) ديوان بشار بن برد،ج4،ص92.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبلـــــــــــــيسُ خيـــــــــــــرٌ مـــــــــــــن أبـــــــــــــيكمْ آدمٌ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إبلـــــــــــــيسُ مـــــــــــــن نـــــــــــــارٍ وآدمُ طينـــــــــــــةٌ

فتنبّهـــــــــــــوا يـــــــــــــا مَعْـــــــــــــشَر الفجّـــــــــــــارِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والأرضُ لا تـــــــــــــــــسمو ســـــــــــــــــموّ النّـــــــــــــــــارِ

ويقول أيضاً([1]):

([1]) الأغاني ج3، ص102 ، ديوان بشار ،ج4 ،ص93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأرضُ مظلمـــــــــــــــــةٌ والنـــــــــــــــــار، مـــــــــــــــــشرقةٌ

□□

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنـــــــــــارُ معبـــــــــــودةٌ مُـــــــــــذْ كانـــــــــــت النـــــــــــارُ

ومن المحدثين من دافع عن بشار، ورأى فيه غير ذلك، فهذا إبراهيم المازني يعدّ ما قاله " كلاماً لا محصول وراءه، وقد يكون الغرضُ منه الزّراية بالنّاس الذين يقال إنّه يتبرّم بهم، ويضجر منهم، ولكنّه على الحالين لا يُعدّ مذهباً أو رأياً. وإنّه لأحق أنْ يُسمّى كلاماً فارغاً"( ).

ويبدو أنّه من الصّعب الجزم والقطع بصحّة الدوافع الخفيّة وراءها ، وهذا لا يعني بالضرورة الحكم على بشار بنقيض ما قاله المازني، ولكن يبقي الباب مفتوحاً للاجتهاد ، بالاعتماد على مادّته الشعرية وسيرة حياته ، وكلّها تدين بشار وتتهمه ، إذ لم أجد من المصادر التي تحدّثت عن بشار بن برد واحداً أقام الحجّة للدّفاع عنه، أو ذكر من سيرته ما يحمد؛ ليكون أداة تُعين المدافع عن موقفه الفكري سوى الطومار الذي وجد في بيته.

وسخر بشار من شهر رمضان ،وتوعّده بأن يأخذ منه الثأر بفطر خارج عن المألوف، من مبالغةٍ في الطعام والشراب، وجاء ذلك في إطار الإنـــذار والتهديـــد، يقول( ):

( ) المازني: أعلام الإسلام، بشار بن برد، ص40.

( ) ديوان بشار، ج4،ص93.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُـــــــــلْ لـــــــــــشهر الـــــــــــصّيام انحلـــــــــــت جـــــــــــسمي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اجهـــــــــــــدْ الآن كَـــــــــــــلَ جَهْـــــــــــــدِكَ فينـــــــــــــا

إنّ ميقاتنـــــــــــــا طلـــــــــــــوع‘ الهـــــــــــــلالِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سـترى مـا يكـون فـي شـوّالِ

ومن سخريته ما وجهه لعبد الكريم بن أبي العوجا ([1]) فقد استهزأ من توبته وعدّها حمقاً وغباوة، ودعاه إلى ترك الصلاة والصوم، أو التحايل على الثاني بصوم رقيق، وشجّعه على شرب الخمر، يقول([2]):

قُـلْ لعبـد الكـريم يـا بـنَ أبـي العَـوْ
لاتـصلِّي ولا تـصوم فـإنْ صُمْـ
لا تبـالي إذا أصـبت مـن الخمـ
جـاء بعـتَ الإسـلامَ بـالكفر مُوقـا([3])
جـاء بعـتَ الإسـلامَ بـالكفر مُوقـا([4])

([1]) كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عُبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العَوْجاء، ورجلٌ من الأزد، وكانوا يجتمعون في منزل الأزدي، ويختصمون عنده، فأمّا عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأمّا صالح وعبد الكريم فصحّحا التوبة، وأمّا بشار فبقي متحيرّاً مخلّطاً، وأمّا الأزدي فمال إلى قول السُّمَنيّة، وهو مذهب من مذاهب الهند (دهري) وبقي ظاهره على ما كان عليه.
انظر الأغاني ج3، ص103.

([2]) المصدر نفسه، ج3، 103.

([3]) موقا : حمقاً وعباوة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــتَ فـــــــــــبعض النّهـــــــــــار صـــــــــــوماً رقيقـــــــــــاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــرِ عتيقـــــــــــــــاً ألاّ يكـــــــــــــــونَ عتيقـــــــــــــــا

 ●ويعدّ أكثر الشعراء الذين انجرفوا في هذا التيار أبو نواس، فقد كان يغرق فـــي السكر أحياناً حتىّ لا يترك شيئاً إلاّ ويلهو به أو يسخر منه، ولو أُخِذَ ما قاله أبو نواس على ظاهره لعدّ أشدّ الزّنادقة وأكثرهم إساءة للإسلام ، لكنَّ مجتمعه كان يعي أنّ ما يقوله لا يمثّل موقفه الواعي. وقد وقفتُ على بعض الرّوايات لأتبيّن رأي الناس فيه، ومنها قول الحسن بن أبي المنذر( ): "كان أبو نواس يشرب عند عبيد بن المنـــذر، وبات ليلته، فلمّا أخذنا بأطراف الحديث في أطيب موضع، وذكرنا بما نحن فيه مـــن الطيب والنّعيم، نعيم الجنّة وطيبها، والمعاصي وما يحول عنه منها وهو ساكت. فقال:

( ) ابن منظور المصري، ص207.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــــــا نـــــــاظراً فـــــــي الـــــــدّين مـــــــا الأمـــــــرُ؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــــــا صـــــــحَّ عنـــــــدي مـــــــن جميـــــــع الـــــــذي
لا قـــــــــــــــدَرٌ صَـــــــــــــــحَّ ولا جبـــــــــــــــرُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يُـــــــــــــــــذْكرُ إلاّ المـــــــــــــــــــوتُ والقبـــــــــــــــــــرُ

فامتعضنا من قوله، وأطلنا توبيخه، وأعلمناه أنّنا ننحرف عن صحبته، فقال: ويلكم! والله إنّي لأعلم ما تقولون، ولكنّ المجون يفرط علـــيّ، وأرجـــو أنْ أتـــوب فيرحمني الله تعالى".

ويروي سليمان بن أبي سهل عن أبي نواس، وكان قضى عندهم أيّاماً يقـــول: "فلمّا كان في السحر وقد أفرط عليه السكر حتى ظننته لا يطيق إنشاداً، فقـــال: يـــا سليمان! اسمع وأنشد( ):

( )المصدر نفسه، ص2.9.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــــــــــيس بعـــــــــــد الممـــــــــــاتِ مرتجـــــــــــعٌ
وإنمّـــــــــــا المـــــــــــوتُ بيـــــــــــضةُ العَقْـــــــــــرِ([1])

●ثم قال : اكتم عنّي، فالمجالس بالأمانة .

ويبدو أنّ سيرة أمّه الفاسدة قد آذته وساءته ، فكان ذلك سبباً في انجرافه

في تيار اللهو ،و يضاف إلى ذلك ميله إلى الدّعابة والفكاهة ، فساقــه ذلــك إلــى المجون([2]) .

ومن المفارقات الغريبة التي استغلها أبو نواس في سخريته، تقسيمه للذّنوب إلي خسيسة وأخرى نبيلة، ودعوته إلى ارتكاب الذّنوب النبيلة، يقول([3]):

دَعْ عَنْــــــكَ مــــــا جَــــــدّوا بــــــه، وتبطّــــــلِ،
لا تــــــركبنَّ مــــــن الــــــذّنوبِ خسيــــــسها،
وخطيئــــــةٍ تغلــــــو علــــــى مُــــــستامِها،
ليــــــست مــــــن اللاّتــــــي يقــــــول لهــــــا الفتــــــى
حلّلــتُ لا حرجــاً علــيَّ حرامَهــا، وإذا مــررتَ بربْــعِ قــصف فــانزلِ([4])
وإذا مــــــررتَ بربْــــــعِ قــــــصف فــــــانزلِ([5])
واعمــــــدْ، إذا فارقتهــــــا للأنْبــــــلِ([6])
يلقــــــاكَ آخِــــــرُ طعمِهــــــا بــــــالأوّلِ([7])

([1]) بيضة العقْر: بيضة يبيضها الديك مرّةً واحدة، ثم لا يعود، كنىّ بذلك عمّا يعتقده من انكار البعث.

([2])حسين عطوان : الزندقة والشّعوبية في العصر العباسي الأوّل ،ص99.

([3]) ديوان أبي نواس، ص456.

([4]) التبطّل: الإمعان في البطالة، يدعو إلى الإمعان في البطالة، وترك الأمور الجادّة، وينصح صاحبه بأن يرتــاد أماكن القصف أي اللهو.

([5]) الذنوب الخسيسة: التافهة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عنْـــــــــــدَ التتـــــــــــدّمِ: ليتنـــــــــــي لـــــــــــم أفْعـــــــــــلِ

(□) المستام: المساوم على، ومستامها أيضاً: طالبها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولربمّـــــــــــا وَسّـــــــــــعْتُ غيـــــــــــرَ محلِّـــــــــــلِ

ويجاهر بخمر نديمه، ويذكر أنه لا يكاد يصحو، ولذلك فهو لا يصلّي الصلاة في أوقاتها بل يقضيها مجتمعة، يقول( ):

( ) ديوان أبي نواس، ص30.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا مـــــــــــا أدرَكَتْـــــــــــــهُ الظهـــــــــــــرَ صـــــــــــــلّى،
يـــصلّي هـــذه فـــي وقـــت هـــــــــذي،□□ولا عَـــصْر عليـــهِ، ولا عِـــشاءُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكـــــــــــــلّ صـــــــــــــلاته أبـــــــــــــداً قـــــــــــــضاءُ

ويطلب من نديمه كأساً من الخمرَ، لينشغل عن صوتِ المؤذّن، ويمضي في فحشه فيمزج بين المؤذّن والكأس واللواط مزجاً مضطرباً، يلغي فيه ويبـيح دون حـرج، وكأنّه لا يرى في المنكر تساقطاً وانحداراً، بل يرى فيه وجهاً إيجابياً لا غنى عنـه، يقول( ):

يـــــــــــــا ســـــــــــــليمانُ غنّنـــــــــــــي،
مـــــــــا تـــــــــرى الـــــــــصّبحَ قـــــــــد بـــــــــدا،
فـــــــــــــــــــإذا دارت الزّجـــــــــــــــــــا
عـــــــــــــــاطني كـــــــــــــــأسَ ســـــــــــــــلوةٍ
اســـــــــــــــقني الخَمْـــــــــــــــرَ جَهْـــــــــــــــرَةً

ويقول أيضاً( ):

( )ديوان أبي نواس ، ص540.
( ) المصدر نفسه ، ص613.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كـــــــــم ليلـــــــــةٍ قـــــــــد بـــــــــتُّ ألهـــــــــو بهـــــــــا،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرّمها الله وحلَّلْتها،

ومَنَ الرّاحِ فاسقني!؟

في إزارٍ مُتبَّنِ!؟

جةُ خذها، وأعطني

عنْ أذانِ المؤذّنِ

وألطني، وأزنني

لو دام ذاك اللّهو للاّهي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكيــــــــــــــــــــــفَ بـــــــــــــــــــــــالعفوِ مـــــــــــــــــــــــن اللهِ

فهو يستبعد المغفرة من الله عزّ وجلّ ؛ لكثرة ذنوبه ، لذلك لا يريد أن يخسر متاع الدنيا ولهوها، ويرى أن الفساد والانحدار يكمن في نقيض هذه القيم، لذلك يصرّ على التمسّك بها، ويقلب المفاهيم رأساً على عقب، يقول( ):

( ) ابن منظور المصري : أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه ،ص125.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أترانـــــــــــــــــي يـــــــــــــــــا عَتَـــــــــــــــــاهي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أتَرانـــــــــــــــي مفـــــــــــــــــسداً بالنّـــــــــــــــــــس
تاركـــــــــــــــاً تلـــــــــــــــــك الملاهـــــــــــــــي؟
ـــــــــــــكِ عنـــــــــــــد المُـــــــــــــرْدِ جـــــــــــــاهي؟()

() يروى أنّ أبا العتاهية عاتب أبا نواس ،فقال له :قد بلغت من السن والعلم ما دونه يتّعظ اللبيب ، ويتزجر العاقل الأديب ، وأنت تجالس الفتيان ، وتلعب مع الغلمان ، وتصبو صبوة الشّبان . قال فأطرق هنيهة،ثمّ رفع رأسه إليه وقال هذه الأبيات ،فقال له أبو العتاهية : اذهب لا تاب الله عليك .
انظر ابن منظور المصري ،ص125.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالغ في عبثه ومجونه وأسرف في استهتاره فهدم أركاناً، واستباح محارم، وألغى تشريعات، وانعكست فوضى السلوك على تجلّيات الاعتقاد، فأقام في لحظات مجونه عالماً عبثيّاً تجاوز فيه كُلّ الحدود، واعتمد في ذلك كُلّه على طريقة الفقهاء في تناول المسائل الدينية، فنظر في كُلّ مسألة على حده، وظهر كأنّهِ يضع مذهباً فقهياً من نوع خاص يقوم على التسهيل والتفكيك. فبدأ بالخمر ورأى فيها مفتاح الحياة الحقّة، ولهذا أحلّ شربها، ثم أباح جمع الصّلاة لعامٍ كامل. أمّا الصيام عنده فليس ضرورياً ومثله الصدقة والزكاة، ووقف على فريضة الحج، ورأى فيها فضولاً منهياً عنه، ولهذا يشدّد على تركها ولو كانت مكّة بالقرب من الحاج، ثم نهى عن الجهاد وردّ الأمانة، إلاّ إذا كانت لصاحب الخمارة، فعندها يجب ردّها ولو اضطر المؤتمنُ أن يبيع ثيابه التي يلبسها، وانتقل إلى الزنا واللواط والقمار فأحلها جميعاً وعدّها من أساسيات الحياة ، يقول([1]):

قُلْ للعذولِ بحانةِ الخَمّارِ، إنّي قصدْتُ إلى فقيهٍ عالمٍ
متعمِّقٍ في دينهِ مُتَفَقّهٍ، قلتُ: النبيذ تُحلّه؟ فأجاب: لا
قلتُ: الصلاة؟ فقال: فرضٌ واجبُ، اجمع عليك صلاة حَولٍ كاملِ
قلتُ: الصّيامُ؟ فقال لي: لا تتوهِ قلتُ: التصدّقُ والزّكاةُ؟ فقال لي:
قلتُ: المناسكُ إنْ حججْتُ؟ فقال لي: لا تأتينَّ بلادَ مكّةَ محْرِماً،

([1])ديوان أبي نواس، ص247، 248.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلتُ: الطّغاةُ؟ فقال لي: لا تغُزهمْ

سالمهمُ واقتصّ من أولادهمْ

واطعن برمحك بطنَ تلك وظهر ذا

قلتُ! الأمانةُ هل تُرَدُّ؟ فقال لي:

لا هُمّ إلاّ أنْ تكون مُضمِّناً

فارْدُدْ أماتتهُ عليهِ، ودَيْنَهُ

قلتُ: اعتزبتُ، فما

ترى [illegible]

[illegible]

[illegible] اشْدُدْ عُرى الإفْطارِ بالإفطارِ

شيءٌ يُعَدُّ لآلةِ الشّطّارِ

هذا الفُضُولُ، وغايةُ الإدبارِ

ولو أنَّ مكّةَ عند بابِ الدّارِ

ولو أنّهم قرُبْوا من الأنْبارِ

إنْ كُنْتَ ذا حَنَقٍ على الكفّارِ(□)

هذا الجهادُ، فنعمَ عُقْبى الدّارِ

(□) العذول: اللائم.

(□) اقتصّ: انتقم، الحنق: السخط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تـــــــــــرْدُدِ القُطْميـــــــــــرَ مـــــــــــن قنطـــــــــــارِ([1])
دَيْنـــــــــــاً لـــــــــــصاحبِ حانـــــــــــةٍ خمَّـــــــــــارِ
واحتـــــــــــلْ لـــــــــــذاكَ، ولـــــــــــو ببيـــــــــــع إزارِ([2])
متغـــــــــــرِّبٍ، متقـــــــــــاربِ الأســـــــــــفارَ؟!
مـــــــــــن جـــــــــــارةٍ، وتلـــــــــــوطَ بـــــــــــابنِ الجـــــــــــارِ

([1]) القطمير: شقّ النّواة، أو القِشرة التي فيها، أو القشرة الرّقيقة بين الثّمرة والنّواة، وهو يريد هنا بالقطمير شـــيئاً بخساً لا قيمة له.

([2]) الإزار: ما يُؤتزر به، أي يُلْبس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

زيّـــــــــــن خِـــــــــــصالك هـــــــــــذه بقمـــــــــــار([1])

ومن أكثر الأركان التي سخر منها أبو نواس الصوم، فقد تكرّر في ديوانه غيـــر مرّة، فمما قاله([2]):

مَنَـــــــــــــــع الـــــــــــــــصّوْمُ العُقـــــــــــــــارا

وبقينـــــــــــــا فـــــــــــــي ســـــــــــــجون الـــــــــــــ

غيْـــــــــــــــرَ أنّـــــــــــــــا ســـــــــــــــنُدِاري

نـــــــــــــشربُ اللّيْـــــــــــــلَ إلـــــــــــــى الـــــــــــــصّبْـ

ونغنّـــــــــــــــي مـــــــــــــــا اشـــــــــــــــتهينا

اســـــــــــــــقني حتّـــــــــــــــى ترانـــــــــــــــي

وزوى اللّهْـــــــــــــــــوَ، فغـــــــــــــــــارا([3])

وزوى اللّهْـــــــــــــــــوَ، فغـــــــــــــــــارا([4])

ـــــــــــــــصّوْمِ للهـــــــــــــــمِّ أســـــــــــــــارَى

فيـــــــــــــــه مـــــــــــــــن لـــــــــــــــيس يُـــــــــــــــداري

ـــــــــــــــح صـــــــــــــــغاراً وكبـــــــــــــــارا

هُ مِـــــــــــــــنَ الـــــــــــــــشعر جهـــــــــــــــارا

([1]) زيّن: من زان أي جمّل.

([2]) ديوان أبي نواس، ص248، 249.

([3]) زوى اللّهو: أبعده ونحّاه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحـــــــــــــــــسبُ الـــــــــــــــــدّيكَ حِمـــــــــــــــــارا

وأكثرُ ما يزعجه في شهر رمضان هو حرمانه لذّة اللهو والعبث، ولهذا يـشبهه بالسجن الذي يثير في النفس الهمّ والتّعب، غيْرَ أنه سيعوّض حرمانه بالشرب، مـن بداية اللّيل حتى طلوع الفجر، فيخرج عن وعيه تماماً، حتى تختلط الأشياء كلّها فـي عينيه. ومما قاله في شهر رمضان أيضاً([1]):

ألا يـــــــــــا شـــــــــــهرُ كـــــــــــم تبقّـــــــــــى؟

إذا مـــــــــــا ذُكـــــــــــرَ الحمـــــــــــدُ

فيـــــــــــا ليتـــــــــــك قـــــــــــدْ بنْـــــــــــتَ،

لـــــــــــو أمكـــــــــــنَ أنْ يُقْتـــــــــــا

مرضـــــــــــنا، ومللناكـــــــــــا

مرضـــــــــــنا، ومللناكـــــــــــا

لـــــــــــشوّالٍ، ذممناكـــــــــــا

ومـــــــــــا نطمـــــــــــعُ فـــــــــــي ذاكـــــــــــا

([1]) ديوان أبي نواس، ص427.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــــلَ شـــــــــــــــــــــــهرٌ لقتلناكـــــــــــــــــــــــــا!

فهو يفضل شوّال على رمضان، ويتمنى لو يستطيع قتل الثاني، كما لو كـــان عدوّه، وهاجم في سخريته ركن الحج، وحاول التقليل من شأنه بلغة الحوار التي تعوّد عليها، يقول( ):

( )المصدر نفسه، ص220.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقائـــــــــلٍ: هـــــــــل تريـــــــــدُ الحـــــــــجَّ؟ قلـــــــــتُ لـــــــــه:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكيـــــــف بـــــــالحجِّ لـــــــي مـــــــا دُمْـــــــتُ مُنغمـــــــساً

نعـــــــــــمْ، إذا فنيـــــــــــتْ لـــــــــــذّاتُ بغـــــــــــدادِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــــــــي بيـــــــــت قـــــــــوّادةٍ أو بيـــــــــت نبّـــــــــاذِ

فأبو نواس يريد أن يحج، لكن متى؟ بعد أن تنتهي المتع في بغداد، ولا يكتفي أبو نواس بالتقصير في أداء هذا الرّكْن، بل يربط أداءه بفناء اللّذة، وهو في هذا يصل إلى أشدّ درجات الاستهتار، ومنه قوله أيضاً([])

([]) المصدر نفسه، ص220.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واخلـــــــــــعْ عـــــــــــذارَكَ، لا تـــــــــــأتي بـــــــــــصالحةٍ
ـــدْ مْـــــــــــتَ مـــــــــــستوطناً أكنـــــــــــاف بغْـــــــــــدادِ([1])

ويواصل أبو نواس عبثه، فيسخر من الجنّة، ويؤثر النار عليها، خاصةً إذا

كان سبب دخولها شرب الخمر، يقول([2]):

لـــــو كـــــان لـــــي ســـــكنٌ فـــــي الـــــرّاح يُـــــسعدني
الـــــرّاحُ شـــــيء عجيـــــبٌ أنْـــــتَ شـــــاربُها
يـــــا مـــــن يلـــــومُ علـــــى حمـــــراءَ صـــــافيةٍ!
لمـــــا انتظـــــرتُ بـــــشربِ الـــــرّاحِ إفطـــــارا([3])
لمـــــا انتظـــــرتُ بـــــشربِ الـــــرّاحِ إفطـــــارا([4])

([1]) اخلع العذِار: تهتّك وانهمك في الغيّ. والعِذار: الحياء، لا تأتي بصالحةٍ: لا تأتي بحسنة عظيمة، أكناف بغـداد: ضواحيها أو نواحيها.

([2]) ديوان أبي نواس ، ص234.

([3]) السكن: القوت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاشْـــــــــــــــربْ، وإن حمَّلتـــــــــــــــكَ الـــــــــــــــرّاح أوزارا([])

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

([]) الأوزار: جمع وزر، وهو الخطيئة والإثم.

صِـــــــرْ فـــــــي الجنـــــــانِ، ودعنـــــــي أســـــــكنُ النّـــــــارا

ويردّ باستخفاف على من يلومه على شرب الخمر، ويعترف بأنّها شيء غريـب يملك عليه أمره، لذلك لا يتركها وإنْ حمَّلتْهُ الذّنوب والآثام، ويفضّل أن يسكن النّـار ويترك الجنّة للأئمة على أنْ يترك الخمر، أو يستجيب لمن يلومه.

ويستثني نفسه من يوم الحشر؛ لأنّ الله عزّ وجل –كما يعتقد– لن ينظر فـي كتابه، إذ لا قيمة له في يوم يُحْشر فيه الأنبياء والصالحون. وحقيقة الأمر أنه لم يقل هذا استخفافاً بنفسه؛ بل استخفافاً ماجناً بهذا الموقف العظيم الذي حذّره منه خلقٌ كثر، يقول():

() ديوان أبي نواس، ص472.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــــــــا أنـــــــــا فـــــــــي موقـــــــــف الحـــــــــسابِ، إذا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هُنْـــــــــتُ علـــــــــى الخـــــــــالق الجليـــــــــل، فمـــــــــا

نـــــــــــــــودِيَ بالأنبيـــــــــــــــاءِ والرّسُـــــــــــــــلِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَنظُـــــــــــــــر فـــــــــــــي قـــــــــــــصّتي ولا عملـــــــــــــــي

ويصل به الأمر إلى الكشف عن شكّه في يوم القيامة، ولا يرى في ذلك حرجـــاً، يقول():

() المهزمي: أخبار أبي نواس، تحقيق عبد السّتار أحمد فرّاج، مكتبة مصر، (د.ت)، ص21.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــــــــــاح لـــــــــــساني بمـــــــــــضمر الّـــــــــــسرِّ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولـــــــــــــيسَ بعـــــــــــــد الممـــــــــــــاتِ منقلـــــــــــــبٌ
وذاك أنّـــــــــــــــي أقـــــــــــــــولُ بالـــــــــــــــدّهْرِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنّمـــــــــــــا المـــــــــــــوتُ بيـــــــــــــضةُ العُقْـــــــــــــرِ

ومن خلال هذه الثورة التي ظهرت عند أبي نواس ينكشف مذهبه في الحياة، القائم على الانحراف في اللّذة بصورةٍ إباحية، لا تقوم دونها الأستار والحجب، وهذا يتجسّد بوضوح في قوله( ):

( ) ديوان أبي نواس، ص222، 223.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألا فاســــــــقني خمــــــــراً، وقــــــــلْ لــــــــي: هــــــــي الخمــــــــرُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا خيـــــــــــر فـــــــــــي فتـــــــــــكٍ بـــــــــــدون مجانـــــــــــة،
ولا تَـــــــــــسقني ســـــــــــرّاً إذا أمكـــــــــــن الجهـــــــــــرُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا فـــــــــي مجـــــــــونٍ لـــــــــيس يتبعـــــــــه كفـــــــــرُ

ويمكن تصنيف هذا النوع من السخرية في باب الزّندقة الاجتماعية، بالاستناد إلى أمرين، الأوّل اعتراف أبي نواس لأصحابه حين كانوا يعذلونه على ما يقوله من تمرّد وإلحاد ، بأنّه السكر يستبد به ، والثاني ما كان يقرّ به في زهدياتـــه بوحدانيـــة الله ، والإيمان بيوم القيامة ، والتصديق بالبعث والحساب ().

وقد اقترب أبو نواس في بعض معانيه من الصّور الكاريكاتورية التي اختلفت عن غيرها في الاختلال بين أطرافها، وفي التناقض في معانيها، وأصبحت تعكـــس الاستخفاف الذي وجدناه عند أبي نواس منهجاً، يقول():

() حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأوّل ،ص103.

() ديوان أبي نواس ،ص115.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقـــــــــد ظفـــــــــرتِ بـــــــــصفو العـــــــــيش غانمـــــــــةً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـــــــــاحيي بـــــــــريحهم فـــــــــي ظِـــــــــلّ مكرُمـــــــــةٍ،
كغُـــــــــــنم داودَ مـــــــــــن أســـــــــــلابِ جـــــــــــالوتِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتّـــــــى إذا ارتحلـــــــوا عـــــــن داركـــــــم مـــــــوتي

فهو يعرضُ صورة مُختلّة؛ لما بين الواقع والمثال من تباعد، فالمقارنة بـين مـا تحقّقه صاحبة الخمارة من روّاد خمارتها، وغنيمة داود من جالوت غيـر متناسـية، وغير منطقية، ومثل هذه الصورة مشابهة تماماً لاختلال الصور الكاريكاتورية، وهي تشتمل في مضمونها على السخر والإثارة، ونراها في بعض الأحيان تغلـب علـى القصيدة كلّها، كما في قوله([1]):

ونـــــــدمان صِـــــــدْقٍ، بـــــــاكر الـــــــرّاحَ سُـــــــحْرةً،
تأنيتُـــــــهُ كيمـــــــا يفيـــــــقَ، ولـــــــم يُفِـــــــق
فقـــــــام يخـــــــالُ الـــــــشمسَ لمّـــــــا ترحَّلـــــــتْ
وحـــــــاول نحـــــــو الكـــــــأسِ مـــــــشياً، فلـــــــم يُطِـــــــقْ
فقلـــــــتُ لـــــــساقينا اســـــــقهِ، فـــــــانبرى لـــــــه
فناولـــــــه كأســـــــاً جَلَـــــــتْ عـــــــن خُمـــــــارهِ
فغنّـــــــى ومـــــــا دارت لـــــــه الكـــــــأس ثالثـــــــاً:
فأضـــــــحى، ومـــــــا فيـــــــه اللـــــــسانُ ولا القلـــــــبُ
فأضـــــــحى، ومـــــــا فيـــــــه اللـــــــسانُ ولا القلـــــــبُ
إلـــــــى أنْ رأيـــــــتُ الـــــــشمس قـــــــد حازهـــــــا الغـــــــربُ
فنـــــــادى صـــــــبوحاً، وهـــــــي قـــــــد قرُبـــــــت تخبـــــــو
مـــــــنَ الـــــــضّعْف، حتّـــــــى جـــــــاء مختبطـــــــاً يحبـــــــو
رفيـــــــقٌ بمـــــــا سُـــــــمْناهُ مـــــــن عَمَـــــــلٍ نَـــــــدْبُ
وأتبعَـــــــهُ أخـــــــرى، فثـــــــاب لـــــــه لُـــــــبٌّ

([1])ديوان أبي نواس،ص52،53.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعـــــــــزّى بـــــــــصبرٍ بَعْـــــــــدَ فاطِمـــــــــةَ القلـــــــــبُ

ففي أبياته انقلاب واضح في منطق الأشياء وطبيعتها، خاصةً في التعامـل مـع الزَمن، فقد أصبح النّديم ينظر إلى غروب الشّمس طلوعاً؛ ليبدأ نهاره. والتناقض جليّ في المساواة بين الطلوع والغروب، ويستكمل الصورة بامتناع الرّشد على النديم، حتّى يملأ جوفه بالخمر، فالكأس الأولى لم تجعله يصحو، وهذا مثير للدهشة، لأنّ الخمـر التي تخرج النّاس عن وعيهم، تصبح عند أبي نواس مصدر الوعي والرّشد، ولعلّـه أراد من ذلك نقد واقع الحياة التي ساوت بين أغنياء المجتمـع وأصـحاب العقـول الرّاجحة فأوجدت اختلالاً وانقلاباً، ونلمس في أشعاره تشّبثاً بالخمر، أشبه ما يكون بالعبادة كما يرى طه حسين( ) وهي أيضاً ينبوع تحّولات، تتقمّص الشّكل الذي يتطلع إليه هوى الشاعر وجموح خياله( ).

أمّا ابن الرومي فكادت تنحصر سخريته الدينية في شهر رمضان، ولم يكـن ذلك لسببٍ ديني، بل يعود لأسباب شخصية بحتة، مرتبطة بحبّه للطعـام والـشّراب وإقباله عليهما، وقد صّرح هو بذلك في قوله( ):

( ) طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، ص86، 87.

( ) انظر أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ص51.

( ) ديوان ابن الرومي، ج5، ص222.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شـــــــــهرٌ يـــــــــصدُّ المـــــــــرء عـــــــــن مـــــــــشروبهِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا أســـــــــــــتثيبُ علـــــــــــــى قبـــــــــــــول صـــــــــــــيامهِ
ممـــــــــــا يحـــــــــــلُّ لـــــــــــه ومـــــــــــن مأكولـــــــــــه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حسبي تصرّمه ثواباً قبولهِ

ولذلك كان يستثقل هذا الشهر ولا يطيق الصوم فيه، ويودّ لو طال ليله وقصر نهاره، يقول([1]):

إذا برّكْتَ في صومٍ لقومٍ
وما التبريكُ في شهرٍ طويلِ
فليتَ اللّيلَ فيه كان شهراً
فلا أهلاً بمانع كُلّ خيرِ

ومن ذلك قوله أيضاً([2]):

شهر' القيام وإنْ عظمت حرَمته
يمشي الهُوَيْنا وأمّا حين يطْلبنا
كأنّه طالبٌ ثأراً على فرسٍ
أذمُّهُ غيرَ وقتٍ فيه أحمدُهُ
وكيفَ أحمدُ أوقاتا مذمّمةً
يا صدْقَ من قال: أيامٌ مباركةٌ
لو كانَ عمري طريقاً ما لقيتُ به
شهرٌ كأنَ وقوعي فيه منْ قلقي
لو كان مولىً وكنّا كالعبيدِ له
قد كاد لولا دفاعُ الله يُسلِمُنا
دَعْوتَ لهم بتطويل العذابِ([3])
دَعْوتَ لهم بتطويل العذابِ([4])
يطاولُ يومُهُ يوم الحسابِ

([1]) المصدر نفسه، ج1، ص208.
([2]) ديوان ابن الرومي ، ج5 ، ص30، 31 0
([3]) برّكت : دعوت بالبركة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومـــــــــــــرّ نهـــــــــــــارُهُ مـــــــــــــرَّ الـــــــــــــسحابِ
وأهـــــــــــــلاً بالطّعـــــــــــــامِ وبالـــــــــــــشرابِ

شـــــــــــهرٌ طويـــــــــــلٌ ثقيـــــــــــلُ الظِّـــــــــــلِّ والحركـــــــــــهْ
فـــــــــــلا الـــــــــــسليكُ يدانيـــــــــــه ولا الـــــــــــسُّلْكه([1])
أجـــــــــــدّ فـــــــــــي إثـــــــــــر مطلـــــــــــوبٍ علـــــــــــى رِمَكـــــــــــهْ([2])
منـــــــــــذُ العِـــــــــــشاءِ إلـــــــــــى أن تـــــــــــسقع الديكـــــــــــهْ([3])
بـــــــــــين الـــــــــــدّؤُوب وبـــــــــــين الجـــــــــــوع مـــــــــــشتركهْ([4])
إن كـــــــــــانُ يكنـــــــــــى عـــــــــــن اســـــــــــم الطّـــــــــــول بالبركـــــــــــهْ
إلاّ الـــــــــــصّيام وإلاّ شـــــــــــهرهُ نبكـــــــــــهْ([5])
وســـــــــــوء حـــــــــــالي وقـــــــــــوعُ الحـــــــــــوتِ فـــــــــــي الـــــــــــشّبَكَهْ
كـــــــــــان مـــــــــــولىً بخـــــــــــيلاً ســـــــــــيّئ الملكـــــــــــهْ
إلـــــــــــى الـــــــــــرّدى ويوديـــــــــــا إلـــــــــــى الهلكـــــــــــهْ

ويلاحظ على أبياته هذه تعدّد الصور والمشاهد التي وظّفها للتعبير عن استثقاله لهذا

ويلاحظ على أبياته هذه تعدّد الصور والمشاهد التي وظّفها للتعبير عن استثقاله لهذا
الشهر، وقد جاء تعبيره مشحوناً بنبرته السّاخرة التي يلجأ إليها دائماً في التعامل مع الأشياء التي لا تروقه. وقد ركّز على انتزاع الصّفة الأهم لهذا الشهر، وهي أنه شهر الخير والبركة، ويأتي رفضه له لما يُحْدثه من مشقّة وعناء، ولهذا جعله طويلاً، ثقيل الظّل والحركة في انقضائه، سريعاً في إقباله، مثله في سرعته مثلُ قدوم السليك وأمّه

([1]) السليك: ابن عُمرو وقيل ابن عمير بن يثربي ، شاعرٌ من الصّعاليك عُـرِفَ بالـسرعة، ومعرفـة الطـرق، والمسالك، وينسب إلى أمّه السّلكة،وهي أمة سوداء. أنظر الأغاني ،ج20 ،ص464.

([2]) الرّمكه: الفرس التي تُتّخذ للنسّل.

([3])سقع الدّيك، وصقع: يُقال ما أدري أين سقع أين ذهب.

([4]) الدؤوب: المبالغة في السير.

([5]) نبكه: أكمَه محددة الرأس .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السّلكة، وكطالب ثأر يمتطي جواده؛ ولذلك يجعل دخوله في هذا الشهر مثل دخول الحوت في شبكة الصّائدّ، ثمّ يلجأ إلى أسلوب الافتراض ليحقق غايةً سلبيّة، فيقول: لو كان هذا الشهر مولىً لما نلنا منه شيئاً، ولاحتفظ بالخير لنفسه.

وأمّا النبيذ فهو محلّلٌ لديه، حلّله خِلافٌ فقهي بين أبي حنيفة والشّافعي تحليلاً ماكراً ساخراً، يشير إلى مقدار عناية ابن الرّومي بمثل هذه الأمور، يقول([1]):

أحـــــــــــلَّ العراقـــــــــــيُّ النبيـــــــــــذَ وشـــــــــــربَه‘
وقـــــــــــال الحجـــــــــــازيّ الـــــــــــشرابان واحـــــــــــد
ســـــــــــنأخذُ مـــــــــــن قوليهمـــــــــــا طرفيهمـــــــــــا
وقـــــــــــال: الحرامـــــــــــان المدامـــــــــــة‘ والـــــــــــسكرُ
وقـــــــــــال: الحرامـــــــــــان المدامـــــــــــة‘ والـــــــــــسكرُ

([1]) ديوان ابن الرومي: ج3، ص82.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحلّـــــــــت لنـــــــــا بـــــــــين اختلافيهمـــــــــا الخمـــــــــرُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأشـــــــــــــربها لا فـــــــــــــارقَ الـــــــــــــوازر الـــــــــــــوزر

إنّ الشاعر يستديمُ الخطيئة، وما يتبعها من آثام، غير ملتفت إلى ما في ذلــك مــن حرج بصدد معتقد يُنكر الناس الخلاف فيه( ) وهو في ذلك "قد استحدث لنفسه مذهباً ثالثاً لم يحلّ فيه الأنبذة المسكرة فحسب ،بل أحلّ أيضاً الخمر ، وساد هذا المذهب لا بين أضرابه من الشعراء بل بين كثير من الناس" ( ).

ب- السخر

مثال محمد بن يزيد الأموي، والجاحظ، وابن قتيبة( ).

ولعلّ أوّل الشعراء الشعوبيين( ) الذين ظهرت في شعرهم الشعوبية إسماعيل ابن يسار، وكان إسماعيل هذا كما يقول أبو الفرج الأصفهاني: "شعوبياً شديد التعصّب للعجم، وله شعر كثير يفخر فيه بالأعاجم"( ).

( ) علي شلق : ابن الرومي في الصورة والوجود، ص203.

( ) شوقي ضيف : العصر العباسي الثاني ،ص91.

( ) محمد عبد المنعم خفاجي: تاريخ الأدب في العصر العباسي الأوّل، ص56.

( ) أنيس المقدسي: أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص110.

( ) ابن عبد ربّه: العقد الفريد، ج3، ص322، ابن النديم: الفهرست، ص121، 122.

( ) الشعوبية : حركة ثقافية حضارة مناهضة للعرب، ترعرعت في العراق ، لأنه ملتقى العنصر العربي المنتصر بالعنصر الفارسي المنهزم ، وهي حركة بدأت في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري، وبقيت مخبوءة في النفوس طوال العصر الأموي ؛ بسبب سيطرة العرب على دفّة الأمور آنذاك ،وكشفت عن نفسها في العصر العباسي ،عندما قويت شكيمة العناصر الأجنبية بعد استعانة العباسيين بهم في إقامة دولتهم .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن شعره الذي يفخر فيه على العرب، ويعيرّهم بدفنهم بناتهم في التّــراب قوله(1):

رُبَّ خـــــــــــالٍ متـــــــــــوّجٍ لـــــــــــي وعَـــــــــــمٍّ
إنّمـــــــــــا سُـــــــــــمّيَ الفـــــــــــوارسُ بـــــــــــالفُرْ
فـــــــــــاتركي الفخـــــــــــرَ يـــــــــــا أمـــــــــــامَ علينـــــــــــا
واســـــــــــألي إنْ جَهِلْـــــــــــتِ عنّـــــــــــا وعـــــــــــنكُمْ
إذْ نُربّـــــــــــي بناتنـــــــــــا وتدسّـــــــــــو
ماجـــــــــــدٍ مُجْتـــــــــــدىً كـــــــــــريمِ النِّـــــــــــصابِ
ماجـــــــــــدٍ مُجْتـــــــــــدىً كـــــــــــريمِ النِّـــــــــــصابِ
سِ مـــــــــــضاهاةَ رفْعَـــــــــــةِ الأنـــــــــــسابِ
واتركـــــــــــي الجَـــــــــــوْرَ وانطقـــــــــــي بالـــــــــــصّوابِ
كيـــــــــــف كُنّـــــــــــا فـــــــــــي ســـــــــــالفِ الأحقـــــــــــابِ

انظر حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأوّل ،ص149.

(1) الأغاني: ج4، ص539.

(1) الأغاني ، ج4، ص538.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نَ ســــــــــــــــفاهاً بنـــــــــــــــاتكم فـــــــــــــــي التُّـــــــــــــــرابِ

وقد جاءت بعد مرحلة الفخر بالأمجاد الفارسية ومهاجمة العرب مرحلة أخــرى كانت نتيجةً طبيعية لتغلغل الشعوبيين في أجهزة الدولة، كما كانت خطوة جديدة فــي الوصول إلى هدفهم البعيد، وهو سدّة الحكم، وَوُجدَ في هذه المرحلة من حــاول أن يسيء للعرب في ثقافتهم وحضارتهم، كما فعل أبو عبيدة في شرح المثل (جبان مــا يلوي على الصفير)().

() ذكر أبو عبيدة أنَّ الصّافر في المثل هو الذي يصفّر بالمرأة للرّيبة، فهو وَجِلٌ مخافةَ أنْ يظهر عليه، واستــشهد بقول الكميت:

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أرجـــــــــــو لكـــــــــــــم أن تكونـــــــــــــوا فـــــــــــــي مـــــــــــــودّتكم
لمـــــــــــــا أجابـــــــــــــت صـــــــــــــفيراً كـــــــــــــان آيتهـــــــــــــا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كابـــــــــــــــاً كورهـــــــــــــــاءَ تقلـــــــــــــــي كُـــــــــــــــلّ صِـــــــــــــــغارِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــــــــــــن قـــــــــــــابسٍ شـــــــــــــيّط الوجعـــــــــــــاءَ بالنّـــــــــــــارِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحرصَ الموالي في هذه المرحلة على التنكرّ للانتساب إلى العرب، كما كان الشأن في الماضي، بل كَثُرَ ادعاؤهم الانتساب إلى كسرى حتى قال جحظة(□):

" وأهل القرى كلّهم ينتمون لكسرى ادّعاءً فأين النّبط ؟ وازدادت صراحة شعرائهم في الفخر بآبائهم الأقدمين، ليس هذا فحسب، بل تحقير العرب، والتهكمّ من هوان ماضيهم وجفاء عيشهم. ولعل خير من يمثّل شعراء الشعوبية الذين كانوا يتكلمون بلسان الموالي ويعبّرون عن اتجاهاته وآرائه أصدق تعبير هو بشار ابن برد، وقد يكون المتحدّث الرّسمي باسم الشعوبيين في القرن الثاني(□)، ويقول عنه أبو الفرج الأصفهاني(□): "إنّه كان شديد الشغب والتعصّب للعجم" ، وقد روي أنَّ المهدي سأله: فيمن تعتدّ يا بشار؟ فقال : أمّا اللسان والزيّ فعربيان، وأمّا الأصل فعجمي، كما قلتُ في شعري يا أمير المؤمنين:

ونبئتُ قوماً بهم جِنَةٌ
ألا أيّها السائلي جاهداً
نَمَتْ في الكرام بني عامرٍ
□يقولون من ذا وكنتُ العَلَمْ
□يقولون من ذا وكنتُ العَلَمْ

□ انظر قصة المثل في التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، ص77.

(□) محاضرات الأدباء: ج2، 223.

(□) محمد هدّارة: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ص436، حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأوّل ،ص169.

(□) الأغاني: ج3، ص97.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليعرِفَنـــــــــــــــي أنـــــــــــــــا أنْـــــــــــــــفُ الكَـــــــــــــــرَمْ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فروعـــــــــــي، وأصـــــــــــلي قـــــــــــريشُ العجـــــــــــمْ

وجاء فخر بشار بأصله الفارسي على حساب العرب، إذ يمزجه بتعالٍ واضـــح، ويسعى جاهداً للحطِّ من الجنس العربي عامّةً، وهو دائماً يقارنُ بين حيـــاتهم وحيـــاة الفرس مقارنةً ظالمة، يثير فيها تحامله وغيظه، ومنه قوله([1]):

هـــــــــــلْ مِـــــــــــنْ رســـــــــــولٍ مُخْبِـــــــــــرٍ
مـــــــــــن كـــــــــــانَ حيّـــــــــــاً مـــــــــــنهمُ
جـــــــــــدّي الـــــــــــذي أســـــــــــمو بـــــــــــه
وفيـــــــــــصرُ خـــــــــــالي إذا
كـــــــــــم لـــــــــــي وكـــــــــــم لـــــــــــي مـــــــــــن أبٍ
أشـــــــــــوسَ فـــــــــــي مجلـــــــــــسهِ
يـــــــــــسعى الهبـــــــــــانيقُ لـــــــــــه
لـــــــــــم يُـــــــــــسقَ أقطـــــــــــابَ سِـــــــــــقىً
ولا حـــــــــــدا قـــــــــــطّ أبـــــــــــي
ولا أتـــــــــــى حنظلـــــــــــةً
ولا شـــــــــــوينا ورلاً
ولا تقـــــــــــصّعْتُ ولا
عنِّـــــــــــي جميـــــــــــعَ العـــــــــــربِ
عنِّـــــــــــي جميـــــــــــعَ العـــــــــــربِ
ومـــــــــــن ثـــــــــــوى فـــــــــــي التُّـــــــــــرُبِ
كـــــــــــسرى وساســـــــــــان أبـــــــــــي
عـــــــــــدَدْتُ يومـــــــــــاً نـــــــــــسبي
بتاجـــــــــــهِ مُعْتـــــــــــصبِ

([1]) ديوان بشار،ج1، ص389،390 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يجثـــــــــــــــــى لـــــــــــــــــه بالرُّكـــــــــــــــــبِ
بآنيـــــــــــــــــــــــاتِ الـــــــــــــــــــــــذّهبِ
يـــــــــــــــــشربُها فـــــــــــــــــي العُلَـــــــــــــــــبِ([1])
خلْـــــــــــــــــفَ بعيـــــــــــــــــر جَـــــــــــــــــرِبِ
يتقبُهـــــــــــــــــا مِـــــــــــــــــنْ ســـــــــــــــــغب
منضنـــــــــــــــــــــــضا بالـــــــــــــــــــــــذّنبِ([2])

([1]) كان العرب قديماً يشربون في علب من الجلد.

([2]) الورل: دويبة تشبه الضّب طويلة الذّنب، صغيرة الرأس، لحمها حار، يسمن بقوّة، منضنض: محرك الذّنب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أكلْـــــــــــــــتُ ضـــــــــــــــبَّ الحِـــــــــــــــزَبِ([1])

إن روح العداء التي يضمرها بشار جعلته يتغاضى عن كُلّ مظـــاهر الحـــضارة العربية التي عُرفت في مدن الحجاز، والمدينة، ومكة ،والطائف، خاصة فيما يتصل بعضها بالتجارة والزراعة، والاتصال بالحضارات الأخرى، وسعى جاهداً لإعـــلاء الذات الفارسية، والتقليل من شأن العرب والسخرية منهم، وقد استغل في ذلك معرفته بطبيعة الحياة العربية في الصحراء، فالتقط بعض المواقـــف والمظـــاهر وضـــخمها وزيفها للوصول إلى غرضه، وساعده في ذلك الظروف الـــسياسية التـــي ارتفعـــت بالصوت الشعوبي عالياً، لكنه ظلّ واضحاً أن تركيز بشار كان على الجانب المادّي وحده، فقارن بين طبيعة الحياة المادّية المرفهة عند الفرس في مقابل الحياة البـــسيطة عند العرب، فسخر من طعامهم وشرابهم وآنيتهم، لكنه تجنّب الجانب الفكري والفني؛ وربّما يعود ذلك لإحساسه أنّ الثقافة العربية هي ثقافته التي نشأ عليها، ونهـــل مـــن ينابيعها المتعددة، ولذلك لم يستطع مهاجمة الفكر الذي تربّى عليه أو الثقافـــة التـــي استوعبها منذ أن كان صغيراً، ولا مهاجمة تلك العناصر التي كانـــت أداتـــه فيهـــا عربية([2]) يقول([3]):

خليلـــــــــــيَّ لا أنـــــــــامُ علـــــــــى اقتـــــــــسارِ
ســـــــــأخبر فـــــــــاخرَ الأعـــــــــراب عنّـــــــــي
أحـــــــــينَ كُـــــــــسِيتَ بَعْـــــــــدَ العُـــــــــرْيِ خـــــــــزَّاً
تفـــــــــاخِرُ يـــــــــا ابـــــــــن راعيـــــــــةٍ وراعٍ
وكنـــــــــتَ إذا ظمئـــــــــت إلـــــــــى قِـــــــــراحٍ
وتغـــــــــدو للقنافـــــــــذ تـــــــــدّريها

([1]) تقصعتُ: تحرّشتُ بالضّب في حجره، وحجر الضب يُسمى القاصعاء، الحزب: واحـــدها الحزبـــاءة، وهـــي الأرض الغليظة .

([2]) انظر عبد الله التطاوي: القصيدة العباسية: قضايا واتجاهات ، ص167.

([3]) الأغاني: ج3، ص116.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتَتَّـــــــــــــــــشح الـــــــــــــــــشِّمال للابـــــــــــــــــسيها
ولا آبـــــــــــــــيَ علـــــــــــــــى مـــــــــــــــولىً وَجـــــــــــــــارِ([1])
وعنـــــــــــــــه حـــــــــــــــين تـــــــــــــــأذنُ بالفخـــــــــــــــارِ
ونادمـــــــــــــــت الكـــــــــــــــرام علـــــــــــــــى العُقـــــــــــــــارِ
بنـــــــــــــــي الأحـــــــــــــــرار حَـــــــــــــــسْبُكَ مـــــــــــــــن خَـــــــــــــــسَارِ
شَـــــــــــــــرِكْتَ الكلـــــــــــــــبَ فـــــــــــــــي ولـــــــــــــــغ الإطـــــــــــــــار([2])
ولـــــــــــــــم تعقـــــــــــــــل بـــــــــــــــدرّاج الـــــــــــــــدّيارِ([3])

([1]) الاقتسار: الإجبار على فعل شيء .
([2]) من معاني الإطار: ما حول البيت.
([3])الدّراج: القنفذ.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وترعـــــــــــى الـــــــــــضأن بالبلـــــــــــدِ القفـــــــــــارِ([1])

فظلَّ بشار يبحث وينقّب عن عيوب في واقع الحياة العربية، لتكون مادّة ســخريته وتهكّمه، فالتقط بعض المظاهر وهاجم بها العرب كلّهم. ومن اللافت للنّظر أن بشاراً ظلَّ يدور في حلقة المظاهر المادّية (الطعام والشراب والملبس) يقلّبها، ويقارن بينها عند العرب وعند الفرس، وأنّه استغلّ في سخريته من العرب ذلك الرّصــيد الــسيئ الذي خلّفه أصحاب النقائض، فقد وجد المادّة جاهزة في دواوينهم، فأخــذ منهــا مــا يخدمه، متناسياً ظروف النقائض، وطابع اللهو الذي سيطر عليها([2]). يقول في نسب عمرو الظالمي مثلاً([3]):

([1]) الشّمال:جمع شملة ، وهي الكساء.

([2]) انظر عبد الله التطاوي: القصيدة العباسية ، قضايا واتجاهات، ص176.

([3]) الأغاني ،ج3،ص133.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ارفُـــــــــــقْ بعمـــــــــــروٍ إذا حرَّكْـــــــــــتَ نـــــــــــسبتهُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إنْ جـــــــــاز آبـــــــــاؤه الأنـــــــــذالُ فـــــــــي مُـــــــــضَرٍ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنّـــــــــــــه عربـــــــــــــيٌّ مـــــــــــــن قـــــــــــــوارير([])

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

([]) المراد بالقوارير: الزجاج، فإنه سريع الانكسار، ويُحتمل أن يكون قوارير فخذ من أفخاذ العرب غير مشهور، فقد نسب أحد رجال الحديث بالقواريري، وهو من رجال صحيح مسلم، أو يحتمل أنه كـــان يبيـــع القـــوارير ويصنعها.

جـــــــــازت فلـــــــــوس بُخـــــــــارى فـــــــــي الـــــــــدنانيرِ
فعمرو الظالمي في نظر بشار عربيّ سريع الانكسار مثل الزّجـــاج، وذو نـــسب رديء ، مثل فلوس بخارى التي يضرب المثل في رداءتها، واستخدم أسلوب الشرط ذا الدلالة السلبية الواضحة والمحسومة بعدم تحقّق الجواب، فلو قبل نسبه لقُبلت فلوس بخارى.

وبعد هذا الرفض المطلق للنسب العربي، راح بشار يبحث عن بديل، تعويضي للنسب الذي عاداه، فتوجّه إلى خراسان، يقول():

() ديوان بشار،ج4،135.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإنّـــــــــي لمـــــــــن قـــــــــومِ خراســـــــــانُ دارُهُـــــــــم
كـــــــــرامٌ وفَرْعـــــــــى فِـــــــــيهم' ناضـــــــــرٌ بَـــــــــسِقُ

ويتدرّج' بشار حتى يصل إلى مرحلة متقدّمة من مراحل التحـدّي والاسـتهزاء، تجاوز فيها تحقير الجنس العربي، والطعن في أصولهم وانتمائهم، ووصل إلى انتزاع بعض مظاهر الحضارة العربية ومعالمها وردّها في جذورِها وأصولها إلى قومه من الفرس، يقول( ):

( )الأغاني ،ج1،ص116.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحـــــــــينَ لبـــــــــسْتَ بَعْـــــــــدَ العُـــــــــرْيِ خـــــــــزّاً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعمـــــــــــرو أبـــــــــــي لقـــــــــــد بُـــــــــــدِّلْتَ عيْـــــــــــشاً
ونادَمْـــــــــــتَ الكـــــــــــرامَ علـــــــــــى العُقـــــــــــارِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعيـــــــــــــشِكَ والأمـــــــــــــورُ إلـــــــــــــى مجـــــــــــــارِ

ويعدّ بشار من أطول الشعوبيين نفساً فـــي الافتخـــار بـــالفرس والخراســـانيين، وأوضحهم تصويراً لأمانيهم الاستقلالية ، وأفكارهم القومية ، فقد كان يقوم بتثقيـــف الموالي وتوعيتهم ، بعثاً لهم من جديد ، للعودة إلى تراثهم والتّمسك بأجناسهم ، بل إنه تجاوز ذلك إلى تذكير الموالي أنّهم أصحاب الثورة والخلافة ، وأهل الملك والحضارة ، ونسل الأحرار( ).

ويدخل في هذا الإطار أيضاً أبو نواس الذي قال فيه ابن منظور( ): "وإنه كان يفضّلُ العجمَ ويمدحهم، ويشتهي أن يذكر مناقبهم وآثارهم، وأن يَزيّن بزيّهم، ويظهر للنّاس أنه منهم". يقول( ):

إذا مـــــــــــا تميمـــــــــــيٌّ أتـــــــــــاكَ مُفـــــــــــاخِراً
تفـــــــــــاخِرُ أبنـــــــــــاءَ الملـــــــــــوكِ ســـــــــــفاهةً
إذا ابتـــــــــــدرَ النّـــــــــــاسُ الفعِـــــــــــالَ فخـــــــــــذ عـــــــــــصاً
فـــــــــــنحنُ ملكْنـــــــــــا الأرضَ شـــــــــــرقاً ومْغرِبـــــــــــاً،
فقُـــــــــــلْ عَـــــــــــدِّ عـــــــــــن ذا كيـــــــــــفَ أكْلـــــــــــكَ للـــــــــــضّبِّ
فقُـــــــــــلْ عَـــــــــــدِّ عـــــــــــن ذا كيـــــــــــفَ أكْلـــــــــــكَ للـــــــــــضّبِّ
وبولُـــــــــــكَ يجـــــــــــري فـــــــــــوق ســـــــــــاقِكَ والكعْـــــــــــبِ
ودعْـــــــــــدِعْ بمعـــــــــــزى يـــــــــــا ابـــــــــــن طالقـــــــــــةِ الـــــــــــذّرْبِ( )

( )حسين عطوان : الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأوّل ،ص178.

( ) ابن منظور:أخبار أبي نواس : ج1، ص15. .

( ) ديوان ابن نواس ، ص97.

( ) ابتدر القوم الفِعال: بادر بعضهم بعضاً إليه، أيكم يسبق إليه، دعدِعْ بمعزى: أي قل للغـنم زاجـراً دعْ دعْ، أو داع داع، طالقة الذّرب: الذرب فساد المعدة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشـــــــــيخُكَ مـــــــــاءٌ فـــــــــي التّرائـــــــــبِ والـــــــــصّلبِ

فالمقارنة تحملُ معها الاستعلاء والشموخ من جانب، والحطّ والازراء من جانـب آخر، وأعمق من ذلك أنّها تلغي دور العربي في أيّ مساهمة حضارية، وتجعلـه لا يصلح إلاّ للتعامل مع الأغنام.

أما المظهر الثاني من مظاهر سخرية أبي نواس الحضارية فنلمسه في تهكمّه من سير القصيدة العربية على النمط التقليدي الموروث، في وقتٍ كان التقليد الشعري القديم، ما زال محتفظاً بقوته وثباته، ويعتبر النموذج والمثال، فجاء أبو نواس وثـار على التزام نمط خاص يبدأ بالوقوف على الأطلال، ووصف الدّيار والبكاء عليهـا، والحنين إلى أهلها النازحين عنها، ثّم الانتقال إلى الرّحلة في الـصحراء، ووصـف الناقة، ثم الخروج من هذا إلى الموضوع الرئيس.

وقد أشار ابن رشيق إلى أنَّ أبا نواس كان حامل لواء التغيير( ) وأنَّ ثورتـه على الأطلال كانت بدوافع عدائية، ويضاف إلى ذلك روح التمرّد على النمطية التي امتلكها أبو نواس تمَشياً مع شكل المجتمع وامتزاج حضارات جديدة بالحضارة القبلية، ودخول أساليب مختلفة على نظام الحياة، وانتشار الثقافة الفارسية التي جلبت معهـا التحرر والثورة( ) وقد أضاف يوسف خليف وحسين عطوان إلى هـذين الـدّافعين الاجتماعيين دافعين فنيين، وهما الوحدة الموضوعية التي حرص عليها أبـو نـواس خاصة في خمرياته، إذ لا تستقيم إلاّ إذا خلت القصيدة من هذه المقدمة.

( ) العمدة، ج1، ص231، 232.

( ) انظر محمد العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص270.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والصدق الفني الذي يمتاز به شعره، والوقوف على الأطلال يتنافى مع هـذا الصدق؛ لأنَّ الأطلال غير موجودة في الواقع() وقد عبرّ أبو نـواس عـن ذلـك بقوله():

مـــــا لـــــي بـــــدارٍ خَلَـــــتْ مـــــن أهلهـــــا شُـــــغُلُ،
ولا رســـــــــــومٌ، ولا أبكـــــــــــي لمنزلـــــــــــةٍ،
ولا قطعْـــــــــتُ علـــــــــى حَـــــــــرْفٍ مـــــــــذكَّرَةٍ،
بيـــــــــداءَ مقفِـــــــــرةً يومـــــــــاً، فأنعتهـــــــــا،
ولا شـــــــــتوتُ بهـــــــــا عامـــــــــاً، فـــــــــأدركني
ولا شـــــــــددْتُ بهـــــــــا مِـــــــــنْ خيمـــــــــةٍ طُنُبـــــــــاً،
ولا الحـــــــــزنُ منّـــــــــي بـــــــــرأي العـــــــــين أعرفُـــــــــهُ،
ولا أنْعـــــــــتُ الـــــــــرّوْضَ إلاّ مـــــــــا رأيـــــــــتُ بـــــــــه
ولا شـــــــــجاني لهـــــــــا شـــــــــخصٌ ولاطلـــــــــل
ولا شـــــــــجاني لهـــــــــا شـــــــــخصٌ ولاطلـــــــــل
وللأهـــــــــل عنهـــــــــا، وللجيـــــــــرانِ منتقـــــــــلُ
فـــــــــي مرْفَقَيْهـــــــــا، إذا استعرْضـــــــــتَها، فَتَـــــــــلُ()
ولا سَـــــــــرى بـــــــــي، فأحكيـــــــــه بهـــــــــا، جمـــــــــلُ
فيهـــــــــا المـــــــــصيفُ، فلـــــــــي عـــــــــن ذاك مرتحـــــــــلُ
جـــــــــاري بـــــــــه الـــــــــضّبُ والحرْبـــــــــاءُ والـــــــــوَرَلُ()
ولـــــــــــــــــــــــــــــــيس يعرفنـــــــــــــــــــــــــــــــي

() يوسف خليف: في الشعر العباسي، نحو منهج جديد، ص65، 66،حسين عطوان : الزندقـة والـشعوبية فـي العصر العباسي الأول ،ص197،196.

() ديوان أبي نواس، ص457.

() على حرف: الحرف الناقة الضامرة، الفتل: الاندماج في مرفق الناقة .

() الطنب: الحبل الذي تشدّ به الخيمة، الورل: دابه كالضّب، الورل: طويل الذَّنبْ، قصير الرأس.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

□□
□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□

□□
□□
□□
□□
□□
□□□؟

ويقول في موطنٍ آخر(□):

صـــفةُ الطّلـــولِ بلاغـــةُ الفَـــدْمِ
فعـــلامَ تـــذْهلُ عـــن مُشعْـــشَعةٍ
تـــصفُ الطّلـــولَ علـــى الـــسّماع بهـــا
وإذا وَصَـــفْتَ الـــشيء مُتّبعـــاً
□□فاجْعـــل صـــفاتك لابنـــةِ الكـــرْمِ
□فاجْعـــل صـــفاتك لابنـــةِ الكـــرْمِ
وتهـــيمُ فـــي طلـــلٍ وفـــي رســـمِ
أفـــذو العِيـــانِ، كأنـــت فـــي العْلـــمِ

(□) الحزن: ما غلظ من الأرض.

(□) القصر المنيف: العالي والمشرف على ما حوله، النخل المشتمل: المحيط من كلّ جانب.

(□) ديوان أبي نواس،ص489،490.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـــــــم تخـــــــلُ مـــــــن زلـــــــلٍ، ومـــــــن وهْـــــــم

يريد أبو نواس أن يعبر عن الواقع الحيّ الذي يعيشه، وما عدا ذلكَ فهو تزييـف، وكذب، ومجرّد تقليد قد ينتهي به إلى الخطأ والوهم، وقد اختار الخمر لتكون المـادّة الفنية لهذا الواقع الجديد، وبديلاً عن المقدّمة الطللية .

ويرى العقاد أن الهدف من وراء هذه الثورة عند أبي نواس، لـيس مهاجمـة الأطلال لذاتها، بصفتها ماض انتهى، وإنّما أراد من ذلك الإزراء بأهـل الأطـلال وبعيشهم، وفخارهم الذي عَزَّ عليه أن يجاريهم فيها، والإشادة بالخمر التي لا غنى له عنها( ).

ويعيد أحمد كمال زكي ثورة أبي نواس الشعرية ومهاجمة القديم إلى مواقفـه الشعوبية، ويرى أنه كان محبّاً للأعاجم خاصة الفرس، فصوّر آثارهم في اسـتعلاء وكبر وأظهر إعجابه بحضارتهم، في حين تبرّم بالعرب، وكشف عن مثالبهم بأسلوب ساخر متهكّم، فأعطانا صورتين متناقضتين للعرب والفرس( )، كشف عنهمـا فـي قوله( ):

( ) العقاد: أبو نواس، دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي، ص142.

( ) أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ص396.

( ) ديوان أبي نواس ،ص548،547.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

معـــــــــــــاقرةُ المـــــــــــــدام بوجـــــــــــــه ظبـــــــــــــيٍ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَلـــــــــذّ إلـــــــــيّ مـــــــــن عـــــــــيشٍ بـــــــــوادٍ
حـــــــــوى فـــــــــي الحُـــــــــسْنِ غايـــــــــات الرِّهـــــــــانِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــــــــــعَ الأعـــــــــــرابِ مجـــــــــــدوبِ المكـــــــــــانِ

ويرى البهبيتي أن عصبية أبي نواس ضد القديم قد ذهبت عليه مذهب المثل بسبب مغالاته في الدعوة إليها، وخلط بين عداوة الوقوف على الأطلال، وعداوة أهلها حتى قارب أن يكون متعصباً ضد العرب( ).

ويعدها محمد العشماوي دعوةً إلى التمردّ واستقلال الرأي رغبةً في أن يواكب الشعر حركة التطور التي فرضتها الحياة الجديدة حتّى تتحقق المعاصرة، أداءً ولغــةً وموضوعاً( ).

وتكاد معظم وجهات النظر التي عرضتها، تتفق على أنَّ أبا نواس قد بالغ في الدّعوة إلى ترك بناء المقدّمة الطللية، وأسرف في نبذها وتحقيرها، وخلط بين عداوة الوقوف على الأطلال، وعداوة أصحابها، وأخرج الشعوبية من إطارها الاجتمــاعي، وجعلها أدبية وحضارية، ولم تكن دعوةً تجديدية بريئةً، وإلاّ لما نهاه الخليفــة عــن الاستمرار في هذه اللّجاجة، وقد عبّر هو عن ذلك بقوله( ):

( ) البهبيتي: تاريخ الشعر العربي، ص417.

( ) انظر محمد العشماوي: موقف الشعر من الفن والحياة في العصر العباسي، ص209.

( ) ديوان أبي نواس ،ص224.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دعـــــــــاني إلـــــــــى نَعْـــــــــت الطلـــــــــول مـــــــــسلّط
فسمع أميـــر المـــؤمنين، وطاعـــــــةتـــضيق ذراعـــي أنْ أجـــوز لـــه أمـــرا
وإن كنتَ قد جشّمتني مركباً وعْرا ●وإذا عُدنا إلى نماذج شعره التي كان يسخر فيها من الوقوف على الأطلال، والبكاء على ساكنيها نجد الكثير منها يمتزج بعشق الخمر وما يحيط بها، بصورةٍ تظهر هوساً شديداً وارتباطاً عضوياً لا فكاك منه، إذ أصـــبح الخمر في شعره بداية الموضوعات ونهايتها، أما البكاء على منازل هند وأسماء فهو ضرب من السخف لا محصول من ورائه، يقول( ):

( )المصدر نفسه ، ص28.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لتلـــــــــــــك أبكـــــــــــــــي، ولا أبكـــــــــــــــي لمنزلـــــــــــــــةٍ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حاشـــــــــا لِـــــــــدرّةٍ أنْ تُبنـــــــــى الخيـــــــــام لهـــــــــا
كانـــــــــت تَحـــــــــلُّ بهـــــــــا هنـــــــــدٌ وأســـــــــماءُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأنْ تـــــــــــروح عليهـــــــــــا الإبـــــــــــلُ والـــــــــــشاءُ

 •إنّ تشبيب أبي نواس بالخمر، ووصف محاسنها، يتضمن النقيض الساخر لمطلع القصيدة العربية، وهذا نوع يتّخذ من القلب والتحوير والاستبدال الساخر سبيلاً للوصول إلى الجد وإلى رؤية جديدة . ومن هنا فإنّ السخرية تستمّد أهميتها في داخل الخطاب الشعري من كونها ظاهرة فنية تقوم على علائق لغوية وعلامات وأقوال وكلمات مكررة أحياناً تزاوج بين معنى ظاهر، ومعنى يقصده الشاعر ويرمي إليه.

ومن سخريته أيضاً قوله( ):

عـــــــــاجَ الـــــــــشّقّيّ علـــــــــى دارٍ يـــــــــسائِلها
لا يُرْقـــــــــأ اللهُ عينـــــــــي مـــــــــن بكـــــــــى حجـــــــــراً
قـــــــــالوا ذكـــــــــرْت ديـــــــــارَ الحـــــــــيِّ مـــــــــن أسَـــــــــدٍ
ومـــــــــن تمـــــــــيمٌ، ومـــــــــنْ قـــــــــيسٌ وإخـــــــــوتُهُمْ
وعُجـــــــــتُ أســـــــــأل عـــــــــنْ خمّـــــــــارةِ البَلَـــــــــدِ
وعُجـــــــــتُ أســـــــــأل عـــــــــنْ خمّـــــــــارةِ البَلَـــــــــدِ
ولا شـــــــــفى وَجْـــــــــدَ مـــــــــن يـــــــــصبو إلـــــــــى وتـــــــــدِ
لا دَرَّ درُّكَ قُـــــــــلْ لـــــــــي مـــــــــن بنـــــــــو أسَـــــــــدِ

( )المصدر نفسه ، ص172،171.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لـــــــــيسَ الأعاريـــــــــبُ عنـــــــــد اللهِ مـــــــــن أحـــــــــدِ

فسخريته واضحةً في كُلّ الأبيات التي مرّت، وقد جاءت مختلطة بهجوم عنيف على بني أسد وتميم وقيس، ويتساءل في استخفاف من يكونون؟ وينهي أبياته بتهكّم حادّ، حين يحكم على الأعراب هذا الحكم القاسي، ويجعلهم عند الله لا شيء. وتتصاعد حدّة استخفافه واستهزائه في قوله( ):

( )ديوان أبي نواس ،ص232..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قُـــــــــلْ لمـــــــــن يبكـــــــــي علـــــــــى رسْـــــــــم درسْ
واقفـــــــــاً، مـــــــــا ضـــــــــرَّ لـــــــــو كـــــــــان جلـــــــــسْ

فهذا البيت يفيض بمعاني التحقير والاستهزاء من هذا الذي يبكي على الأطـــلال واقفاً، ولماذا واقفاً؟ أما كان من الممكن أن يبكي جالساً؟ وهنا قمّة التعبير المـــشحون بالهجوم الحادّ والموجّه من جهل أمثال هؤلاء.

ويستهزئ في قصيدة أخرى من حياة الأعراب وصحرائهم الـــوعرة الجافيـــة وأسلوب معيشتهم، وطعامهم، ويصل إلى مرحلة خطيرة مـــن مراحـــل الـــسخرية والتحدي، فيدعو إلى التبوّل في الحليب، الذي يمثّل عند العرب جزءاً أساســياً مـــن مقوّمات حياتهم، ورمزاً من رموز حياة البدوي وضيافته وكرمه. ويدعو لاســتبدال الخمر به، يقول([1]):

دعِ الأطـــــــــــــــــلالَ تـــــــــــــــــسفيها الجنـــــــــــــــــوبُ
وخـــــــــــــلِّ لراكـــــــــــــب الوَجْنـــــــــــــاء أرْضَـــــــــــــاً
بـــــــــــــلادٌ نبتُهـــــــــــــا عُـــــــــــــشَرٌ وطَلْـــــــــــــحٌ
ولا تأخـــــــــــــذْ عـــــــــــــن الأعـــــــــــــراب لهـــــــــــــوْاً
دع الألبـــــــــــــانَ يـــــــــــــشربُها رجـــــــــــــالٌ،
إذا راب الحليـــــــــــــبُ فبُـــــــــــــلْ عليـــــــــــــه،
فأطيـــــــــــــبُ منـــــــــــــه صـــــــــــــافيةٌ شَـــــــــــــمولٌ،
وتُبلـــــــــــــى عَهْـــــــــــــدَ جـــــــــــــدّتها الخطـــــــــــــوبُ
وتُبلـــــــــــــى عَهْـــــــــــــدَ جـــــــــــــدّتها الخطـــــــــــــوبُ
تخـــــــــــــبُّ بهـــــــــــــا النجيبـــــــــــــةُ والنّجيـــــــــــــبُ([2])
وأكثـــــــــــــرُ صـــــــــــــيدها ضـــــــــــــبعٌ وذيـــــــــــــبُ

([1])المصدر نفسه ،54،53.

([2]) خلّ : دع ،الوجناء :الناقة القوية، تخبّ بها : تسير الخبب ،وهو من ضروب السير ، النجيبة: الناقة ومثلها النجيب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا عَيْـــــــــــــــشاً فعيـــــــــــــــشهُم، جَـــــــــــــــديبُ
رقيـــــــــــــــقُ العـــــــــــــــيشِ، بيـــــــــــــــنهمُ غريـــــــــــــــبُ
ولا تُحْـــــــــــــــرَجْ فمـــــــــــــــا فـــــــــــــــي ذاكَ حُـــــــــــــــوبُ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يطـــــــــــوفُ بكأســـــــــــها ســـــــــــاقٍ أديـــــــــــبُ

● ويعدّ البكاء على الأطلال خبالاً وجهلاً، يقول([1]):

لقـــــــد جُـــــــنَّ مـــــــن يبكـــــــي علـــــــى رسْـــــــم منـــــــزلٍ

فـــــــإنْ قيـــــــلَ: مـــــــا يُبكيـــــــك؟ قـــــــال: حمامـــــــةٌ

تـــــــــذكّرني حيـــــــــاً حِـــــــــلالاً بقفْـــــــــرةٍ،

ولكنّنـــــــــي أبكـــــــــي علـــــــــى الـــــــــرّاح، إنّهـــــــــا

سأشـــــــــربها صِـــــــــرْفاً ،وإنْ هـــــــــي حُرّمَـــــــــتْ

وينـــــــــدُبُ أطـــــــــلالاً عَفَـــــــــوْنَ بجـــــــــرولِ([2])

وينـــــــــدُبُ أطـــــــــلالاً عَفَـــــــــوْنَ بجـــــــــرولِ([2])

تنـــــــوحُ علـــــــى فـــــــرْخٍ بأصـــــــواتِ مُعْـــــــوِلِ

وآخيَّـــــــــةً شُـــــــــدّتْ بفِهْـــــــــر وجنـــــــــدلِ([3])

حـــــــرامٌ علينـــــــا فـــــــي الكتـــــــاب المنـــــــزَّلِ

([1]) ديوان أبي نواس،ص455.

([2]) جرول: موضع من الجبل كثير الحجارة .

([3])الحِلال : جمع حِلّة،وهي جمع البيوت، أو المجلس ، الآخيّة : الحبل الذي تشدّ به الخيمة ، الفِهر : الحجر ، الجندل: الصخر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقـــــــــد طالمـــــــــا واقعـــــــــتُ غيـــــــــرَ محلّـــــــــلِ

●وجاءت سخرية أبي نواس هنا في اتجاهين: الاتجاه الأول: الاستهتار بقيمة فنيّة مستمدّة من واقع الحياة الاجتماعية عند العرب، وهي الوقوف على الأطلال وبكائها، علماً بأنّ هذه القضيّة تمثّل عند العربي الوطن والإنسان.

أما الاتجاه الثاني، فهو اتجاه ديني يكمنُ في الإعلان عن مواقعة الحرام والاستهتار بالنّص القرآني الذي يحرّم الخمر.

ويلجأ أبو نواس في دعوته هذه إلى أسلوب الإقناع، فيحاور الواقف على الأطلال ، ويذكّره أنّها لا تجيبُ سائلها، ولا تعيره اهتماماً، فلماذا يقفُ عليها مخاطباً وباكياً ؟! يقول(1):

انْـــــــسَ رسْـــــــمَ الـــــــدّيار ثُـــــــمَّ الطّلـــــــوَلا
هـــــــل رأيْـــــــتَ الـــــــدِّيارَ رَدَّتْ جوابـــــــاً
واشْـــــــربنها كأنّهـــــــا عـــــــينُ ديـــــــكٍ،
واهجـــــــرِ الرَّبْـــــــعَ دارســـــــاً ومَحـــــــيلا
واهجـــــــرِ الرَّبْـــــــعَ دارســـــــاً ومَحـــــــيلا

(1) ديوان أبي نواس،ص454.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأجابـــــــــــــتْ لـــــــــــــذي ســـــــــــــؤالٍ سُـــــــــــــؤولا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يَطْـــــــــــــــرُدُ الهَـــــــــــــــمَّ طعمُهـــــــــــــــا، والغلـــــــــــــــيلا

 ●وينكر على الأعراب عشقهم؛ لينفي عنهم جانب الرِّقة والمشاعر النبيلة، وهذا لون لم أجده عند غيره ممن أعلنوا عداءهم للجنس العربي، فبشار –وهو أشدّهم– لم يخرج في سخريته عن الجانب المادي.

يقول أبو نواس ():

دعِ الرَّسْـــــــــــــــمَ الـــــــــــــــذي دَثَـــــــــــــــرا

وكُـــــــــــــــنْ رجـــــــــــــــلاً أضـــــــــــــــاعَ العِلْـــــــــــــــ

ألـــــــــــــــمْ تَـــــــــــــــر مـــــــــــــــا بنـــــــــــــــى كِـــــــــــــــسْرى،

مَنَـــــــــــــــازِهُ بـــــــــــــــين دِجْلَـــــــــــــــةَ والـــــــــــــــ

بـــــــــــــــأرضٍ باعـــــــــــــــد الرّحـــــــــــــــ

ولـــــــــــــــم يجعـــــــــــــــل مـــــــــــــــصايدها

ولكـــــــــــــــن حـــــــــــــــورُ غُـــــــــــــــزْلانٍ

وإنْ شـــــــــــــــئْنا حَثَثنـــــــــــــــا الطّيْـــــــــــــــ

وإنْ قُلنـــــــــــــــا اقْتُلـــــــــــــــوا عـــــــــــــــنكُمْ،

أتـــــــــــــــاك حليـــــــــــــــبُ صـــــــــــــــافيةٍ

فـــــــــــــــذاك العـــــــــــــــيش لا سِـــــــــــــــيداً

بعـــــــــــــــازبِ حَـــــــــــــــرَّةٍ يُلْفـــــــــــــــى

إذا مـــــــــــــــا كنـــــــــــــــتَ بالأشـــــــــــــــيا

فإنّـــــــــــــــك أيّمـــــــــــــــا رَجُـــــــــــــــلٍ

ومـــــــــــــــن عجـــــــــــــــبٍ لعـــــــــــــــشقهم الـــــــــــــــ

فقيـــــــــــــــل مـــــــــــــــرقّشٌ أودى

فقـــــــــــــــد أودى ابـــــــــــــــنُ عجـــــــــــــــلانٍ

() ديوان أبي نواس ، ص307،307.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فحـــــــــــــــــدّث كاذبـــــــــــــــــاً عَنْـــــــــــــــــهُ
يقاســـــــــــــــــي الـــــــــــــــــرّيحَ والمَطَـــــــــــــــــرا
ـــــــــــــــــمَ فـــــــــــــــــي اللَّـــــــــــــــــذاتِ والخَطَـــــــــــــــــرا
وســـــــــــــــــابورٌ لِمَـــــــــــــــــنْ غبَـــــــــــــــــرا
ـــــــــــــــــفراتِ تفيّـــــــــــــــــأتْ شـــــــــــــــــجَرا
ـــــــــــــــــمنُ عنهـــــــــــــــــا الطلـــــــــــــــــحَ والعُـــــــــــــــــشرَا
يرابيعـــــــــــــــــاً، ولا وَحَـــــــــــــــــرا([1])
تراعـــــــــــــــــي بـــــــــــــــــالمَلا بَقَـــــــــــــــــرا([2])
ـــــــــــــــــرَ مـــــــــــــــــن حافاتِهـــــــــــــــــا زُمَـــــــــــــــــرَا
يبـــــــــــــــــاكرْ شُـــــــــــــــــرْبُها الخَمَـــــــــــــــــرا
شَـــــــــــــــــجَا قطفـــــــــــــــــاً وَمُعْتَـــــــــــــــــصرا
بقَفْرتهـــــــــــــــــا ولا وَبَـــــــــــــــــرا([3])
بهـــــــــــــــــا العـــــــــــــــــصفورُ مُنْجَحِـــــــــــــــــرا
ءِ فـــــــــــــــــي الأعـــــــــــــــــرابِ معتَبَـــــــــــــــــرا
وَرَدْتَ فلـــــــــــــــــم تجـــــــــــــــــد صَـــــــــــــــــدَرا
جُفـــــــــــــــــاةَ الخُلْـــــــــــــــــفَ والـــــــــــــــــصَّحَرا
ولـــــــــــــــــم يعجـــــــــــــــــزْ وقَـــــــــــــــــدْ قَـــــــــــــــــدَرا
ولـــــــــــــــــم يفطـــــــــــــــــن لـــــــــــــــــه خَبَـــــــــــــــــرا

([1]) اليرابيع: الواحد يربوع، نوع من القواضم يشبه الفأر، قصير اليدين، طويل الرجلي وله ذنب طويـل/الـوحر: الواحدة وحرة: دويبة يُقال إنها لا تطأ شيئاً الا سمّته.

([2]) الملا :المتّسع من الأرض.

([3])السّيد :الذّئب ،الوبر : حيوان برّي شبيه بالقط.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـــــــــــــال بغيـــــــــــــر مـــــــــــــا شـــــــــــــعرا

 ●فهو يعود مرّة أخرى للمقارنةً بين حياة الفرس وحياة الأعــراب، ســاخراً مــن الثانية، ومتعصّباً للأولى، ويلجأ إلى تفصيلات، الهدف منها إثبات فكرته التي انطلق منها، وهي الحطّ من شأن الحياة العربية، فكان يذكر القضية عندهم ، ويعطي البديل الأفضل لها عند الفرس.

ويدعو في موطنٍ آخر، إلى استبدال الرّاح والريحانة والخمر بالوقوف علــى الأطلال، وهذه أشياء تناسب حياة المدينة ذات الاستقرار والثبات، يقول( ):

( ) ديوان أبي نواس ،ص548.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عُـــــــــــجْ للوُقـــــــــــوفِ علـــــــــــى راحٍ، وريحـــــــــــانِ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تبكـــــــــــــينَّ علـــــــــــــى رَسْـــــــــــــمٍ ولا طَلَـــــــــــــلٍ،
فمـــــــا الوقـــــــوف علـــــــى الأطـــــــلالِ مـــــــن شـــــــاني

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واقـــــــــصْد عُقـــــــــاراً، كعـــــــــين الـــــــــدّيكِ، نـــــــــدماني

 ●ويؤكِّد هذا المعنى بقوله( ):

( )المصدر نفسه ،ص551.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تبـــــــــــــكِ للـــــــــــــذّاهبينَ فـــــــــــــي الظْعُـــــــــــــنِ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَعُـــــــــــــجْ بنـــــــــــــا نـــــــــــــصطبحْ مُعَتَّقـــــــــــــةً،
ولا تقـــــــــــــفْ بـــــــــــــالمَطيّ فـــــــــــــي الـــــــــــــدِّمَنِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مِـــــــــنْ كَـــــــــفٍّ ظبْـــــــــيٍ يـــــــــسقيكها فَطِـــــــــنِ

 ●ويقارن في موطن آخر بين نبات الفرس ونبات الأعراب في الصحراء، ســاخراً ومقلّلاً من شأن كُلِّ ما يتّصل بالحياة العربية، ويصوِّر داعي الوقوف على

الأطلال بغراب البَيْن، داعية الشؤم. يقول( ):

ابْخَـــــــــــلْ علـــــــــــى الـــــــــــدَّارِ بتكلـــــــــــيم

والعـــــــــنْ غُـــــــــراب البـــــــــينِ بُغـــــــــضاً لـــــــــه

وَعُـــــــــجْ إلـــــــــى النَّـــــــــرْجسِ عـــــــــن عَوْســـــــــجٍ

فـــــــــي لَـــــــــدَيْها رَجْـــــــــعُ تـــــــــسليمِ( )

فـــــــــي لَـــــــــدَيْها رَجْـــــــــعُ تـــــــــسليمِ( )

( )ديوان أبي نواس ،ص498.

( ) رجع التسليم :ردّ السّلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإنّـــــــــــــــــــه داعيـــــــــــــــــــــةُ الـــــــــــــــــــــشّومِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والآسِ عـــــــــــــــن شـــــــــــــــيحٍ، وفيـــــــــــــــصُومِ([1])

● ويستنكر السير على الناقة، والسفر بها على الفيافي، حيث كانت إحدى وسائل الحياة الضرورية عند العرب قديماً، ويؤثر عليها السيرَ إلى اللّذة ويجعلها غايته يقول ([2]):

([1]) العوسج : شجر شائك.

([2]) ديوان أبي نواس ،ص222.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أحـــــــــــسنُ مـــــــــــن سَـــــــــــيْرٍ علـــــــــــى ناقـــــــــــة
سَـــــــــــيْرٌ علـــــــــــى اللَّـــــــــــذةِ مقـــــــــــصورُ

•وتعدّى بسخريته الرّجال إلى النساء الأعرابيات من خلال الإشادة ببنات الفـرس وذكر فضلهن، يقول([1]):

وفـــــــــــي الـــــــــــديوان غـــــــــــزلانُ
ربيبـــــــــــاتُ قـــــــــــصور الخلـــــــــــ
ولا اعتـــــــــــدْنَ، لعمـــــــــــرُ اللّـــــــــــ
رمـــــــــــت أعينَهـــــــــــا مَرْضـــــــــــى
رمـــــــــــت أعينَهـــــــــــا مَرْضـــــــــــى

([1])المصدر نفسه،ص366.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــدِ، مـــــــــــــا إنْ تَعْـــــــــــــرِفُ الغُمـــــــــــــضَا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ـــــــــــــــهِ، فـــــــــــــي الدويّـــــــــــــةِ، الرَّبْـــــــــــــضَا

 •ووجد من شعراء الشعوبية الذين عرّضوا بالعرب،وسخروا من حياتهم البسيطة، علي بن الخليل مولى معن بن زائد، وتظهر سخريته من العرب في تلك الأبيات التي قالها في صديقٍ له من الدهاقين، وكان غاب عنه زمناً ثم عاد إلى الكوفة، وقد أصاب مالاً ورَفْعَةً، فادّعى أنّه من تميم، فقال فيه علي بن الخليل( ) ساخراً مـن العـرب يقول( ):

يـــــــا أيُّهـــــــا الرَّاغِـــــــب عَـــــــنْ أصْـــــــله
متـــــــى تعَرَّبـــــــت وكُنْـــــــتَ امـــــــرءاً
لـــــــو كُنْـــــــتَ إذ صِـــــــرْتَ إلـــــــى دَعْـــــــوَةٍ
لكَـــــــفَّ مِـــــــنْ وجـــــــدي ولكنّنـــــــي
فلـــــــو تـــــــراه صـــــــارفاً أنفَـــــــهُ
لقلـــــــت جِلَـــــــفٌ مـــــــن بنـــــــي دارمٍ
دُعمـــــــوصُ رَمْـــــــلٍ زلَّ عـــــــن صَـــــــخْرَةٍ
تتبـــــــو عـــــــنِ النـــــــاعِمِ أعطافُـــــــهُ
مـــــــا كُنْـــــــتَ فـــــــي مَوْضِـــــــع تهجـــــــينِ
مـــــــا كُنْـــــــتَ فـــــــي مَوْضِـــــــع تهجـــــــينِ
مـــــــن المـــــــوالي صـــــــالحَ الـــــــدّينِ
فُـــــــزْتَ مـــــــن القَـــــــومِ بتمكـــــــينِ
أراكَ بـــــــين الـــــــضَّبِّ والنّـــــــونِ
مـــــــن ريـــــــح خَيْـــــــريٍّ ونَـــــــسْرينِ( )

( ) هو رجل من أهل الكوفة مولى لمعن بن زائدة الشيباني ،ويكنى أبا الحسن ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، لا يكاد يفارقه فاتهم بالزندقة.

( ) الأغاني ج14،ص375

( ) الخِيري بالكسر : المنثور الأصفر .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حَـــــــــــــنَّ إلـــــــــــــى الـــــــــــــشيح بيبـــــــــــــرِينِ([1])

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

([1]) يبرين : رمل لا تُدرك أطرافه ،من أصقاع البحرين .

يَعـــــــــــــــــــــــــــــافُ أرواح البـــساتينِ

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والخـــــــــــــــــزِّ والـــــــــــــــــسِّنجابِ واللِّـــــــــــــــــينِ

 ●فهو ينكر على صديقه انتسابه لقبيلة تميم العربية، ويرى أنه ارتكب إثماً عظيماً، بعد أن كان مولىً صالحاً، يحيا حياةً كريمة. ويستغرب من تحوله هذا، ويصرّح بنبرةٍ ساخرة حاقدة أنّه ليس عند العرب ما يغري بالانتساب إليهم.

وأمام ما عرضته في هذا الفصل، يظهر للمتأمّل أنَّ الحضارة العربية أخضعت –بقصد أو دون قصد –لعملية من التشويه، وطمس الإسهامات الثقافية والمادّيـــة ، ولم تراع بساطة الحياة ومتطلباتها في تلك المرحلة، بل ظهرت أصوات استعلت على كل ما يتّصل بالعرب، وأقامت عليه حدّاً جائراً ، وجاء ذلك كله مبطّنا بـــدعوة إلـــى التجديد، ومسايرة روح العصر ومتطلّباته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السابع

الدراســــــــة الفنيـــــــة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(1) اللغة :

إنّ اللغة الشعرية ملتصقة تماما بطبيعة الشاعر وروحه، والعلاقات التي يقيمها بين مفردات اللغة، تعكس صورة العلاقات في العالم الذي أوجده([1])، فترتبط دلالة الألفاظ بخلجات الشاعر وانفعالاته، وهذا يؤكّد دور الفنان في بثّ الروح في الألفاظ بمستويات الصورة وظلالها التي تحددها معانيه.

والشعراء متفاوتون في اختيار اللفظ ، واستيفاء المعنى ،ومجاراة الواقع ،أو الابتعاد عنه ، لكنّهم يجتمعون في رؤيتهم للكلمة المجردة ، إذ يرون فيها قصورا وعجزا لا ينهض بالفن ، ولا يرقى به ؛ لأنّ الشعر بمجمله لا ينقل دلالات مباشرة، بل هو عالم متموج كثيف بشفافيته، لذلك يعبرون عن أغراضهم بالرؤيا، والإشارة والرمز، والإيحاء ،والمجاز، فيتحول الشاعر إلى راء يجسّد ظاهرة جمالية لعمق فكري خلقي، هو منطلق الشاعر باعتباره إنسانا اجتماعيا مفكرا ([2])

ولعلّ أول ما يلفت النظر عند شعراء السخرية ،هو ظهور اتجاهات متعدّدة ،كشفت بلغتها عن واقع حي ، وشكّلت علامة فارقة ،نستطلع من خلالها ملامح شخصية صاحبها، ونتعرف إلى بيئته المكانية، وهمومه الشخصية والعامّة ،وهذا الاتجاه الفني قاد إلى اتجاه لغوي واضح، عبرّ عن أهمّ القضايا في ذلك المجتمع،ومنها:

(1) مظاهر الفقر والبؤس :

وأبرز من تحدّث عن هذه المظاهر، أبو الشمقمق، وأبو فرعون الساسي ، وأبو الينبغي ،والحمدوني ،وابن الطبيب، وجاءت أشعارهم صورة صادقة لأحوالهم فذكروا مشاكلهم وآمالهم ، وتحدّثوا عن حاجتهم إلى الغذاء، والكساء ،والمسكن ، وبرزت لديهم مفردات ،الخبز ، والدّقيق والحنطة، والتنّور، والماء ،والحليب، وأكثروا من الشكوى والأنين ، وزادت صراحتهم في ذكر البراغيث، والفئران ، والحصيرة،

([1]) أدونيس:زمن الشعر،ص235 .

([2]) ميشال عاصي:دراسات منهجية في النقد،ص77 .انظر عبد الحي دياب :فصول في النقد الأدبي الحديث ،العدد113،ص107.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والمطيّة ،والجوع، والمرارة، وكل متعلّقات الفقر، والحاجة، والتّسول . ومنه قول أبي الشمقمق([1]) :

وأقام السّنور في البيت حولاً ما يرى في جوانب البيت فارة

ويبدو أنّ قسوة الحياة قد دفعتهم إلى ملاحقة الأغنياء والساسة ، وبخاصة البخلاء منهم وكشفهم أمام المجتمع بذكر أسمائهم ، ومن ذلك قول ابن الطّبيب في الحسن بن سهل وزير المأمون([2]) :

باب الأمير عراء ما به أحد إلّا امرؤ واضع كفّاً على ذقنِ

في الله منه وجدوى كفّه خلف ليس السدى والندى في راحة الحسن

ويلاحظ أنّ السّخرية من البخل والبخلاء، قد نحت منحىً ارتفع بالسخرية من الجانب الفني،إذ لجأ الشعراء إلى توظيف ألفاظ ومعانٍ ،واستحضار شخصيات ومواقف ،ليبالغوا في أوصافهم ، فذكر عندهم سليمان ،وموسى، ومريم عليهم السلام وذكرت ألفاظ الجن ،ورضوان حارس الجنّة، ومالك حارس النار ،والقفل ،والمفتاح، وشرب البحار وقطع الرّمال، وكلّ هذه المفردات ذات إيحاءات وصفية متنوّعة، تخدم التضخيم الذي سعى إليه الشعراء.

(2) الحديث عن طبقات المجتمع وفئاته.

استطاع الشعراء نقل ما يجري من فساد وظلم لدى رجال الدولة، وأقاموا حجّتهم، بخاصة على عمال الخراج والقضاة ، ولم تخل أشعارهم من السوقيّة أحياناً . وتحدّثوا كذلك عن الشعراء والعلماء،وأظهرت مفردات هذا الاتجاه ،تنافساً حاداّ بين عامة الشعراء ، دفعتهم إلى تجاوز المألوف في سخريتهم ،وبخاصة ما كان يجري بين بشار وحماد عجرد ، وبين ابن الرومي والبحتري، وقد برز ابن الرومي في إظهار العيوب التي وقع فيها الشعراء الذين يتّصل بهم،فذكر مجموعة من المصطلحات النقدية،سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

([1]) البيهقي : المحاسن والمساوئ ،ص278.

([2])الكتبي : فوات الوفيات ،ج11،ص16.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجّهوا إلى فئة المغنين والمغنيات، وأفاضوا في وصف الجسد، والصوت، والحركة، والرائحة،،ولم يتورعوا في إلصاق العيوب بهم ، وجاء بعضها في إطار نقدي ، يطالب المغني بتحسين أدائه، وصوته ،وهيئته،ومن ذلك قول ابن الرومي:([1])

نبرته غصّة وهزته مثل نبيب التّيوس في الغنمِ

وقوله ([2]):

إذا ما شنطف نكهت فمن ندمائها صرعى وقتلى

ولم ينج العبيد والجواري من ألسنة الشّعراء، فلم تخرج لغة الخطاب معهم ،عن مفردات البيع والشراء لتذكيرهم دوماً أنّهم سلعة([3]) .

أمّا المفردات الدينية والحضارية ، فعبّرت عن وجود ضياع وتشتت عند بعضهم وأخص أبا دلامة ، وعن لهو فكري، وتأرجح في الموقف عند أبي نواس ،وزندقة واضحة عند بشار.

وقد كشفت سخرية الشعراء بعامّتها عن مستويين لغويين :

المستوى الأول:يكمن في اللغة الشعبية البسيطة التي تميل إلى الرّكاكة، والعفوية والتلقائية ،وتأتي في مقطعات شعرية قصيرة ، وضعت في قوالب بعيدة عن التعقيد، وخالية من الأبعاد الفكرية، المستنبطة من الأساليب البلاغية ،التي ترتفع بدورها بالنص عن مستوى التصريح المباشر؛ ولعلّ ذلك ناجم عن تواضع القدرات الفنية لشعراء هذا المستوى، خاصة إذا علمنا أنهم شعراء مغمورون في معظمهم ،ولم تكن لهم تجربة شعرية ناضجة ،ومن هؤلاء: أبو الشمقمق ،وأبو هفان ،وأبو الينبغي، وغيرهم.

وعلى الرغم من ذلك، عبّروا بنبرة حادة عن اتجاه ناقد ،تابع مجريات الحياة في هذا العصر، وكشف بلغة بسيطة، عن هموم المجتمع وأحاسيسه ،دون مقدمات أو

([1])ديوان ابن الرومي ،ج6،ص10.

([2])المصدر نفسه،ج4، ص121.

([3]) انظر المصدر نفسه ، ج1،ص205.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أساليب، قد تخفي مقاصدهم، أو تجعلها خاضعة للتأويل ،واتجهوا اتّجاه العامة في سبابها، ولهذا نلمح في أشعارهم أسماء المهجوين وما يتصل بهم من المعايب والمخازي أحيانا([1]).

المستوى الثاني: ويظهر في اللغة الجزلة عند بشار، وأبي نواس ،ثم ابن الرومي أحيانا، و'يلمس عند هؤلاء الشعراء قدرة على استقصاء المعاني وتفتيقها، والبحث في علاقاتها. فبشار في سخريته الحضارية ،ظل يقلب الجوانب المادية عند العرب، ويتناولها بأساليب مختلفة، وقد أسعفته مقدرته الشعرية،واتّساع معجمه اللغوي، على عرض الصورة نفسها مرات عديدة،مع اختلاف في مفرداتها وترتيبها ([2]).وقد نجح في تحويل الصور الجزئية إلى لوحات كبرى، يضم فيها الجنس العربي كله، وساعده على ذلك وعيه التاريخي بطبيعة حياة القبائل العربية، واطلاعه على الموروث الثقافي عند العرب، وبخاصة فن النقائض التي جعلها سلاحا من أسلحته.

ويلاحظ أن بشار أكثر في سخريته من المفردات التي تتصل بمظاهر الحياه البدوية بكل تفصيلاتها، فأتى على لباس العربي، وطعامه، وبيته ،وحيواناته، ونباتاته، وقارنها بمثيلاتها عند الفرس،ومنه قوله([3]) :

وتغدو للقنافذ تدّريها ولم تعقل بدرّاج الدّيارِ

وقاده هذا إلى ذكر بعض المفردات الأعجمية مثل : كسرى ساسان قيصر الهبانيق ... وكل ذلك جاء في صيغة خطابية هجومية مغذاة بحس عدائي ،يقول([4]) :

وقيصر خالي إذا عددت يوماً نسبي
يسعى الهبانيق له بآنيات الذّهب

وقد يلجأ بشار في سخريته إلى ألفاظ نابية جارحة ،تعبّر عن نفسية مليئة بالغيظ والكره ، ومن ذلك قوله في السخرية من باهلة([1]) :

([1])انظر بعض الأمثلة في الصفدي: الوافي بالوفيات ج1ص139.البغدادي :خزانة الأدب ج3ص231.

([2]) انظر الأغاني ،ج3،ص116.

([3]) المصدر نفسه ،ج3،ص 116.

([4])ديوان بشار ،ج1،ص390،389.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يفاخـــرنا ونعمتنا عليـــــه وفيم الباهليّ من الفخـــــــار
أقول له ولي فضل عليـــــه كفضل القسوريِّ على الوبارِ([2])
000
على استـــاه سادتهم كتـــاب موالـــــي عامـــر وسم بنـــارِ

ويلتقي بشار أبا نواس في إلحاحه على سلب العربي كل مظـــاهر التحـــضر، والحطّ من شأنه، والسعي إلى فرض نمط اجتماعي وثقافي جديدين ،لذلك تتشابه اللغة عندهما وتتداخل وبخاصة في إعطاء البديل التعويضي .مع هذا فإن قرينة الخمـــر التي تلازم أبا نواس في أشعاره الساخرة،تعدّ عنصرا لغويا يسم أشعاره ، و'يعـــرّف بها ومنه قوله في الخمرة ([3]):

لتلـــك أبـــكي ولا أبكـــي لمنزلـــةٍ كانـــت تحـــلّ بهـــا هنـــد وأسماء'

ولا يغفل الدارس الروح الإباحية في عرض المفـــاهيم عنـــدهما، لـــذا نجـــد أن المفردات البعيدة من الذهن ،قريبة منهما ، يخترقان بها الحجب والأستار متى شاءا .

واستطاع أبو نواس من خلال موهبته القوية أن يقـــرّب لغـــة التخاطـــب مـــن مستويات المجتمع بكافة فئاته، وقد عرف عنه أنه كان يأخذ ألطف الكـــلام، وأنـــسبه وقعا، وينظم شعره على قواف شتّى، ولا يجد صعوبة في النظم على القوافي النادرة، وتحدث عنه ابن رشيق وعدّه أسير النـــاس شـــعرا، ومـــا أحـــد إلا ويميـــل إلـــى عشرته،ويحسده على قربه من النفوس لظرفه ولطفه([4]).

وقال فيه ابن خالويه([5]) : "لولا ما غلب عليه(أبي نواس) من الهزل؛ لاستشهدت بكلامه في كتاب الله؛ وذلك لأنه تعلم اللغة أساطينها ،ورحل من البادية فأخـــذ عـــن العرب، وحفظ لغاتهم وأتقنها " .

([1]) المصدر نفسه ،ج3،ص244،242.
([2]) القسوري :الأسد ، الوبار جمع وبْر ،دويبة تشبه الأرنب تجترّ كالأرانب.
([3]) ديوان أبي نواس ،ص28.
([4]) ابن رشيق :العمدة،ج2،ص133.
([5]) ابن منظور المصري : أبو نواس ،ص5.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد أبو نواس صاحب مدرسة السخرية والعبث بذوات الآخرين،ولا شك أنه أثّر فيمن جاء بعده ، فظهر تطور واضح في أداء ابن الرومي الذي استفاد كثيرا من تجربة أبي نواس في هذا الحقل، وطورها وامتلك معجما لغويا،يشهد بثروة لغوية كبيرة وتمكن في العربية ، وتظهر في غزارة معانية ،وفي قدرته على توليدها، كذلك في تنوّع قوافيه،على الرّغم من صعوبة بعضها ،وقلّة مادّتها اللغوية ،عندما يكون رويها ثاء أو جيما أو زايا أو صادا أو ضادا، وهي قواف يبتعد عنها معظم الشعراء.

وأكّد المازني هذا المعنى بقوله: ([1])"وليس ابن الرومي من تعييه القافية أو تضطره إلى غير ما يريد أن يقول، وإنك لتقرأ شعره فيخيل إليك أنه يتناول الألفاظ ، ويقسرها قسرا على إعطاء المعاني التي يقصد إلى تبنيها". أو بعبارة أخرى إنّه قادر على ألفاظه قدرته على معانيه.

والغريب أن ابن الرومي مع علو كعبه وكثرة أشعاره لم يذكره أبو الفرج الأصفهاني ، ولا الأنباري، بل ظلّ مغيبا عندهما، وقد خصه ابن النديم في الفهرست بكلمة وجيزة ، أشار فيها إلى أنّ شعره كان على غير الحروف، رواه المسيبي، ثم عمله الصولي على الحروف،وجمعه أبو الطيب،وراق بني عبدوس من جميع النسخ فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت([2]) .

ومع اتساع لغته وإحكامها في مظهرها العام، إلا أنها بدت أحيانا بسيطة وسهلة بنيت بناء الرسائل، وقد ذكر ابن طباطبا ،أنّ هذا عيب يقع فيه الشاعر ،ويضعف شعره ،يقول : "فإنّ الشعر إذا تأسس تأسيس فصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلّة بذواتها ، والأمثال الموسومة باختصارها- لم يحسن نظمه"([3]).

([1]) المازني: حصاد الهشيم ، ص240

([2]) ابن النديم : الفهرست ،ص241.

([3]) ابن طباطبا :عيار الشعر ،ص127،126.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ريفون جست ([1]):" ولغة ابن الرومي محكمة وألفاظه كثيرة ولكن أسلوبه عامة سهل، وعربيته كثيرة الشبه بالعربية الأدبية في هذه الأيام ،ولـــذلك يـــستطيع المثقفون من الناطقين بالعربية الآن فهم قدر كبير من شعره دون مشقة كما يتضح من المقتطفات الكثيرة التي نشرها كامل الكيلاني والعقاد، واللذان قلّما شعرا بحاجتهما إلى إضافة كلمة لشرحها للقارئ".

واختلطت بلغته ألفـــاظ فارسية ورومية ، بشكل يوحي أحيانا أنه يعمـــد إليهـــا قاصدا ومن ذلك قوله([2]):

([1]) ابن الرومي ترجمة حسين نصار ص87.

([2])ديوان ابن الرومي ، ج1،ص442-444. .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصـــلع، يكنـــى بأبـــي الجَلَّحـــتِ([1])
حَبَلّـــق كالمـــاعز الكـــلوخـــــتِ ([2])
ذو هامـــةٍ مثـــلِ الـــصِّفاة المـــرتِ([3])
تنـــصب فـــي مهـــوى جبـــين صَـــلْتِ([4])
تبـــرق بالليـــل بريـــق الـــطّســـت([5])
صـــبحها الله بقفـــــدٍ ســـخْـــــت
ولحيـــةٍ مثـــل غـــراب الحَمْـــــتِ
كأنـــــها مدهـــونـــــة بزفـــــتِ
ســـرّحها الـــلـــــه لـــه بالـــسَّلْـــــتِ
تعرفـــــه الأنبـــاط بالبـــذنَـــقْـــــت
وفـــــارس الأحـــــرار بالبـــذنـــــخت
قـــضى عليـــــه بقـــــضـــاء بـــــت
مـــــن آكـــل النـــاس لخبـــز بحـــت
يلتـــــــه بالريـــــق أيّ لـــــــتٍّ
أحـــسب حـــساب بنـــي نوبـــــخْت
بأنـــــه نحـــــس شقـــــي الـــبخـــــت
يلقـــــط حـــــبَّ الأدم المنـــفـــــتِّ
لقـــط حمـــام جـــاء مـــن جيرَفْـــــتِ
كأنمـــــا يلقطـــــه بِـــــشَـــقْـــتِ

([1]) الجلحت : الأجلح ، الذي انحصر مقدم رأسه0
([2]) الكولخت : لفظه من الخيل ، أي القصير 0
([3]) هامه مثل الصفاة المرت : أي رأس مثل الصخرة الناعمه 0
([4]) الجبن الصلت : الواضح والبارز 0
([5]) الطست : الإناء ، اللفظة من الدخيل 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه المقدرة اللغوية أتاحت له استخدامها في مظهرين، كان لهما دور بارز في تعميق الصورة الساخرة، الأوّل:التلاعب بالألفاظ والمعاني،والثاني :التلاعب بموسيقا الألفاظ .

أما الأوّل، فهو أسلوب عرف به أستاذه أبو نواس، وظهرت عنده منه نماذج عديدة، فها هو يستعدي على اسم أبان بن عبد الحميد اللاحقي، ليحوله أتانا، ولا يكلّفه التصحيف تغييرا كبيرا،وإنما يكفيه أن يستبدل الباء تاء فيصبح أتانا ، يقول([1]):

صحّفتْ أمّك إذ سمّـ ... ـتك في المهد أبانا
صيّرت باء مكان التـ ... ـتاء تصحيفا عيانا
قد علمنا ما أرادت ... لم تَرد إلاّ أتانا
قطع الله وشيكا ... من مسميك اللسانا

ويستغل أبو نواس براعته في تغيير مواقع الحروف، ليغير معانيها. أثناء سخريته من نسب الهيثم بن عَدي يقدّم الدال على العين، فيصبح الهيثم بن دعي ،

وهذا يعني أنه متحير بين الأنساب فمرّة من الموالي ومرّة من العرب ، يقول([2]):

إذا نسبتَ عَدّيا في بني ثعَلٍ ... فَقدّم الدّال قبل العين أحيانا
كأنني بِكَ فوق الجسر منتصباً ... على جواد قريبٍ منك في الحسبِ
حتى نراك وقد درعته قمصا ... من الصديد مكان الليف والكربِ
لله أنت، فما قربى تهم بها ... إذا اجتلبت لها الأنساب من كثب
فلا تزال أخا حلّ ومرتحلٍ ... إلى الموالي وأحيانا إلى العربِ

([1]) ديوان ابي نواس ، ص 597 ، 598

([2]) ابن منظور المصري : أبو نواس ،ص146 ،147 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي موقع آخر يسلخه من نسبه إلى طيء ، وينقله إلى النبط ،ولم يزد على أن أضاف حرفي نون وباء على طيء ، وقد أغناه ذلك عن قصيدة كاملة ، يقول([1]):

أنـــــتَ مِـــنْ طَـــــيءٍ ولكـــــنْ قبلَـــــــه‘ نـــــــون وبَـــــــاء‘

ويبدو أنّ ابن الرومي قد تأثّر بأبي نواس في هذا الأسلوب اللغوي، فمن نماذجه التي يتلاعب فيها بالألفاظ قوله([2]):

يا أبا سحـــاق واقلـــــــبْ نظـــم إسحـــاق وصحِّـــفْ

واتـــرك الحـــاء علـــى حـــا لٍ فمـــا للحـــاء مَصْـــرِفْ

إنه يستخرج في قراءاته ورموزه معاني قريبة وبعيدة، ولهذا فإن لفظة إسحاق تخرج عن معناها المعجمي، لتعطي معنى غاية في السلبية ،وهو السحاق ،ويتلاعب باسم أبي جعفر في قوله([3]) :

أبـــا جعفر واصفح عن الفاء إنّهـــا تزيدك في جعر من الأفِّ جانبـــا

رأيتـــك للفعـــل الجميـــل مجانبـــا فآليـــت لا ألقـــــاك إلاّ مجانبـــــا

فهو يدعو أبا جعفر أن يحذف الفاء من اسمه لينقلب أبا جعر ،ومعنـــاه يبـــاس الطبيعة، ويقول إنّ هذه الفاء تساعده على التأفف عند جعره ،بسبب القحط، وهذا كناية عن انقلابه لحيوان يتذمر عندما لا يجد طعامه .

ويستطرد في تلاعبه بالألفاظ ،وفي هذه المرة يحذف الياء من اسم فضيل ليصبح فضل ،وتعني الزيادة من كل شيء ،والزيادة لغو وفضول،يقول ابـــن الرومي ([4]):

أنت فضل، وفضلـــة الشيء لغـــو ثـــمّ أردفْـــتَ ذلّـــــة التصغيـــــرِ

حقّـــر الفضـــل‘ ثـــمّ صغّرتَ عنه زادك الـــلـــه يـــا صغيرَ الحقـــيرِ

([1]) المصدر نفسه ، ص147 .

([2]) ديوان ابن الرومي،ج4،ص203 .

([3]) المصدر نفسه ، ج1 ،ص205،204.

([4])المصدر نفسه ،ج3،ص163-164.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقبــول النفــوس إيــاك عنـــدي آيــة فيــك للّطيــف الخبـــــيرِ
إنّ قومــا أصبحــت تنفق فيهـــم لعلــى خطّةٍ مــن التسخـــــيرِ
يا ثقيــلا علــى القلوب خفيفـــــا فــي الموازين دون وزن النقيــرِ([1])
طِــرْ سخيفــا، وقَعْ مقيتا ،فطــورا كسفــاة وتــارةً كــثــبـــــيرِ([2])

وفي صورة أخرى يعود إلى المعنى الذي يفيده فضيل، دون تغيير أو تبديل وأراد من ذلك أيضا إلغاء فضله وقيمته بين الناس ،يقول([3]):

أمـــا والعـــرج الـــــ ـذي أنــت بـــه تـ‘ـكـــنى
لئـــن صغـــّر مــا تدعــى بـــه مـــا كـــبّر المعـنـــى

ويسخر في موطن آخر من رجل طعن في شعره ،مستخدما أسـلوب التـصغير ليهينه، ويقلل من شأنه،ويساعده على تحقيق السخرية من المهجو الجانب الموسـيقي الذي يأتي من توالي التصغير في نهاية الأبيات الشعرية يقول([4]) :

إيـــاك يا ابـــن بـ‘ويـب أن يســتـثـار بـويـــب‘
فــإنـّمــا أنـــا لـيـــث عـــاد ،وأنـــت كليـــب‘
لا تحـقـــرنّ ســ‘بيـبـــا كـــم جـــرّ سبّا سبـيـب
لا تـــظـــن بـجـهـــل أنّ اللّـــسان زبـيـــب ([5])
فــلا تحســن الــروم شـــعرا مــا أحســنته العـريـــب
يــا منكــر الــمجد فيــهـــم أليــس منهـــم صهيـــب؟

ويلجأ إلى زيــادة حــرف أو أكثــر علــى الاسـم ليكــون مثــارا للــسخرية والاستهزاء،يقول([6]):

([1])النقير يضرب بها المثل في تفاهة الشأن،ومن معانيها االذبابة.
([2]) السّفاة :حبّة التّراب، ثبير :أحد جبال مكّة.
([3]) ديوان ابن الرومي،ج1،ص89،90.
([4])ديوان ابن الرومي ،ج1،ص207،208 .
([5])الزبيب : الزبد الذي يجتمع في طرفي فم المتشدق مكثر الكلام .
([6])ديوان ابن الرومي ،ج1،ص311.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقـــائـــل: إنّ أبـــا حفصـــلٍ أحمـــق، محتـــاج إلـــى ضـــربِ
لـــم يتـــزوج حدثـــا ناشـــئا تهتـــزّ مثـــل الغصـــن الرطـــبِ
حتّـــى إذا صـــار إلـــى حالـــة تجمـــع، ضَعْـــفَ البـــاهِ والكسبِ
تـــزوّج الـــمائـــق لا ســـيّـــما فـــي مثـــل هـــذا الزمن الصعـــبِ
أحـــوج مـــا كـــان إلى كاسب يجـــدي عليـــه جـــاء بـــالأدب

وهذا النوع من التلاعب اللفظي بدأ عند شعراء القرن الثاني ،كما لاحظ محمد هدارة، وقد أشار إلى أن هذا النوع ربما أثر تأثيرا كبيرا في شعر العصور المتأخرة التي كانت تعتمد على الأحاجي والألغاز ،وشمل هـذا التطـور المعـاني والألفـاظ والأهداف والصور،وتراوح بين الهبوط إلى السباب والفحش،والارتفاع من الناحيـة الفنية إلى درجة التصوير الساخر الممتع الذي يترفع عـن كـل مظـاهر الفحـش والابتذال([1]).

ومقدرة ابن الرومي اللفظية أتاحت له أيضا التلاعب بموسيقا الألفاظ، ويتجـسد ذلك في اختياره ألفاظا متتابعة ذات وزن موسيقي واحد ومحاولة محاكـاة أصـوات بعينها،ومنها قوله في مغنية كريهة الصوت([2]):

بقبقـــاقـــة كبقبقـــات الحـــبّ هـــدّارة مثـــل هديـــر النجـــب([3])

فالبقبقة،صوت الماء وهو يخرج من فوهة الزير،والجامع بـين هـذا الـصوت وصوت المغنية، التقطع،ويستعين بهدير البعير بما فيه من غلظة وعدم تناغم للغرض ذاته . واختياره هنا لهذه الألفاظ يشير إلى توفيق في توحيد العناصر المتباعدة والتقاط بعض الارتباطات والعلاقات.

واستطاع ابن الرومي أن ينظم أشعاره في بحور متنوعـة طويلـة كالطويـل والبسيط، وقصيرة كالخفيف والسريع، أو مجزوء البحور الطويلة.

([1])محمد هدارة : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني،ص436

([2])ديوان ابن الرومي ،ج1،ص361 .

([3]) الحب :الجرّة الكبيرة ، النجب :النوق العتاق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدام البديع

مال شعراء السخرية في معظمهم إلى البساطة والتلقائية،ولم يؤثروا التصنع، ولم يعدوه فضيلة ترقى بالشعر أو تزيده قيمة، ولعلَّ ذلك ناجم عن الدوافع التي خرجت عنها أشعارهم .فالشعر الذي ينتقد واقعاَ يصدر من نفسية غاضبة،جلّ همّها أن يصل شعرها إلى مبتغاه ، فلا تعبأ بالمحسنات، أو تسعى إليها.

وخرج من هؤلاء الشعراء ابن الرومي؛ لأنّه استخدم الصنعة استخداماَ واسعاَ، مما يدلّ على أنه يقصد إليها دون شك، ومما أعانه على خفاء أمر صنعته في معظم الأحيان معجمه اللغوي الواسع واقتداره على انتقاء الألفاظ في مواضعها بحيث لا نراها قلقه ، أو نحس فيها أثر الاضطراب والتكلّف .

والطباق عنصر أساسي في شعر ابن الرومي الساخر، لأنه يستخدم في سخريته بصفة خاصة عنصر التقابل والتضاد استخداماَ ظاهراَ وواسعاَ ، ومنها قوله([1]):

هكذا الصّخر راجح الوزن راس وكذا الذرّ شائل الوزن هاب

وإلى جانب الطباق نجده يستخدم الجناس بكثرة،ومنها قوله([2]):

فلا دانيهمُ يَجني ولا دانيهم يدني

مجاهيلُ معاذيلُ إلى اليسرى عن اليمنى

مخاذيل ممايل إلى السوأى عن الحسنى([3])

وقوله([4]) :

لو تلقّفْت في كساء الكائي وتلبّستَ فروةَ الفرّاءِ

وإلى جانب هذين اللونين يستعين بالتشبيه والمجاز والكناية، والتورية،بشكل لافت يساعده على إظهار قدراته على البيان والتصوير ،وعلى الرغم من ذلك ،فهو لا يلتقي مع شعراء عصره في اتجاهه الفني ، فهو لا يذهب مذهب أبي تمام باتخاذ البديع

([1]) ديوان ابن الرومي، ج 1،ص315.

([2]) المصدر نفسه ،ج1،ص90.

([3]) مخاذيل :مستضعفون في الأرض.

([4])ديوان ابن الرومي ج1 ،ص87 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طريقة للتعبير،ولا يكد ذهنه في البحث عن المعاني ،ولا يجهد نفسه في البناء والصياغة، كذلك لا يذهب مذهب البحتري في الميل إلى الصياغة السهلة والبناء العربي الديباجة دون حاجة إلى إسراف في استخدام البديع ؛ لذلك يصنف ابن الرومي بين الشعراء المطبوعين،من أمثال السيد الحميري، وأبي العتاهية، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي، من شعراء المرحلة السابقة في عصر العباسيين، وجاء في أخباره أنه كان لا يجهد نفسه في عمل القصائد الطوال ، إذ كانت قصائده تطول فتبلغ الثلاثمائة بيت ([1])،وقد يفحش في القول فيتناول العورات والعمل الفاضح([2]) .

(2) الأسلوب

الأسلوب عنصر من العناصر الفنية، يؤلّف بين العناصر الأخرى ويرتّبها على نحو يخلق الجمال، أو يضاعفه أو يقوي أثره ،ويسمح لكل عنصر فنيّ أن يؤدي دوره في العمل بتناسق يوائم فكر الكاتب وأهدافه والموقف والبيئة واللحظة الزمنية ويهتم بالصياغة الفنية، لفظاَ وتعبيرا، ويختار الشكل الفني بما يناسب الموضوع والواقع، ولا بد من توافر الموهبة والخبرة، وإلاّ كان في الاختيار تصنع وتكلّف([3])

وأهم ما تنتهي إليه الأساليب الفينة هو الصورة مصحوبة بالحركة وبموسيقا اللفظ وجمال التعبير. وقد أشار (لسنج) إلى أهمية الحركة في النص الشعري ،وعدها من أهم العناصر التي يجب أن تتوافر فيه، وذلك لأن الشعر يصف الجمال وهو في حالة حركة ، أي يصف سحره وأثره ولا يصف الجمال الساكن ([4]).

ويمكن القول إنّ لكل فنان حالاته التي تأتي نتيجة لعوامل خفية وبينة ، حسية ومعنوية،وهذه الحالات تفرض عليه اتّباع طريقة بعينها ليصل إلى غرضه،ومعنى هذا

([1])انظر محمد زغلول سلام : دراسات في الأدب العربي –العصر العباسي – ص323.

([2]) انظر ديوان ابن الرومي، ج1،ص174 –ج6،ص292 .

([3])عدنان علي رضا النحوي:الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته،ص175،174.

([4])محمود السمرة : النقد الأدبي والإبداع في الشعر ،ص52.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن الأسلوب ليس مجرد طريقة للكتابة بل يرتبط عند كل كاتب بالإلهام الخاص الذي يدعو إلى الكتابة فيصبح متصلا بالتفكير والشعور([1]) .

فسخرية أبي دلامة مثلا كانت إفرازاَ لنفسية عابثة ،تسعى وراء الكسب دائماَ ولا تراعي حرمة الأشياء أو قدسيتها ، لذلك تجاوز في سخريته ما تعارف عليه النـــاس، فأهان نفسه وبيته في سبيل أغراضه.

وسخرية أبي الشمقمق وأبي المخفف وأبي الينبغي وغيرهم من شعراء الطبقـــة الفقيرة، كانت ناجمة عن إحساس بالقهر والظلم ،ولذلك دخلوا في أغراضهم مباشرة ولم يلتزموا بأيّ لون من ألوان المقدّمات المعروفة ،كذكر الأطلال أو النّسيب ومـــا يتلوه من وصف الناقة والصحراء والرحلة ، ولم يتأنّقوا في أشعارهم،وابتعدوا عـــن القوالب الغريبة ،ونظموا أشعارهم على الأوزان القصيرة([2]).

وأما بشار بن برد فقد مر بثلاث محن كان لها تاثير قوي وجه مزاجه وسلوكه وحياته ، وهذه المحن هي : الرق والفقر والعمى ([3])،لكن هذه الآفات لم تقعده عـــن المغامرة في الحياة ،أو تجعله متبرماَ ،كما حدث مع أبي العلاء المعري الذي سيطر عليه اليأس وأوصله إلى ضرب من الاستهتار العقلي .

ويمكن القول إن سخرية بشار هي شخصيته ونفسيته ،وهي ثورته على النـــاس وضيقه، وهي رفضه للتقاليد والعقائد وللسلطة التي تمثلهما. وبمعنى آخر فقد تهيأت لبشار أسباب السخرية ،وتجمعت له الظروف التي جعلت من الهجاء والسخرية وسيلة ناجعة له في تحقيق وجوده، والدفاع عن نفسه، ووسيلة لاستشعار القوة ([4])ولهذا نجده يصرخ([5]):

هـــلْ مـــن رســـولٍ مخـــبرٍ عنّي جميـــــع العـــــــربِ

([1])انظر عز الدين إسماعيل : الأدب وفنونه ،ص28

([2])انظر حسين عطوان :شعراء الشعب،ص59 .

([3])محمد العشماوي :موقف الشعر من الفن والحياة،ص106.

([4])محمد العشماوي ،موقف الشعر من الفن والحياة ،،ص136،137 .

([5]) ديوان بشار ،ج1،ص389،390.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزعزع أبو نواس في موقفه مفهوم الطريقة الشعرية القديمة ، وشكّك في ثباتها وعارض أن يقف الشاعر على أشياء لا وجود لها، بمعنى أنّ الشعر صار في الحقائق، وتناول وجوه الحضارة التي استجدت في العصر العباسي ،ولم تكن معروفة،كوجوه العمران المتنوعة من القصور والجنائن ثم انتشار الفلسفة وعلم المنطق، والمذاهب والملل وما واكبها من بحوث وجدل ،يقول([1]):

سقياً لغير العلياءِ والسّندِ وغيرِ أطلالِ مَيٍّ بالجَرَدِ
أحسنُ عندي من انكبابك بالـ ـفِهْرِ ملحّاً به على وتدِ
وقوف ريحانةٍ على أذنٍ ، وسير‘ كأسٍ إلى فمٍ بيدِ

وتجاوز أبو نواس في سخريته الموضوعات السياسية والاجتماعية ووصل إلى اليأس والشك في الإنسان بصفة عامة ، وربما في النظم التي تسير العالم وتتحكم فيه، ولعلّ ذلك ناجم عن حس الغربة وخيبة الأمل اللذين يشكلان خطا عاما لكل ما قاله فقد استوطنت الغربة قلبه وروحه، فارتد إلى نفسه يبحث عما فقده في مجتمعه من صدق وعفوية([2]) وجاءت سخريته معبرة عن شخصيته وما يدور فيها، وهذا يؤكد أن الفن في جوهره فعل تعويض عن انعدام وحدة التناغم بين الإنسان والوجود، ولذلك فإنه كما يرى بيتر موندريان سيختفي عندما تصل الحياة إلى درجة أعلى من التوازن ([3])،لأن الفن حضور جمالي مرتبط جدليا بحركة الواقع الحياتي، وبوعي الإنسان وانفعالاته([4]).

([1]) ديوان أبي نواس ، ص173،172.

([2]) أحلام الزعيم : أبو نواس بين العبث والاغتراب، ص7

([2]) أيمن محمد زكي العشماوي :خمريات أبي نواس ،ص2332.

([3]) ساسين عساف : الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس،ص9

([4])انظر آرنست فيشر:ضرورة الفن ،ص7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وارتفعت سخرية أبي نواس بنبرتها القوية ، لتحقق الحيوية والحركة في أشعاره،وهذا أمر يرتفع بالمستوى الفني للشاعر، ويزيد من قوّة الجذب والتأثير في عباراته، يقول([1]):

ديار نوارٍ ، ما ديار نوارِ كسوْنكَ شجْواً هنّ منه عوارِ
شمولٍ إذا شجّت تقول عقيقةً ، تنافسَ فيها السوْمُ بين تِجارِ

واتخذ ابن الرومي كذلك من حالاته النفسية أسلوبا للتعبير، فتتبع عورات الناس وعيوبهم ،وجاءت سخريته متنوعة، فمنها ما كان على شكل تجسيمي ([2])، ومنها ما كان نفسيا ، تتبع فيه خلجات مهجوه وراقبها وأظهرها ([3]).

واطلاع ابن الرومي على الشعر العربي، ساعده على التجديد في شعره، وأساليبه وبنائه ،وربما كان ذلك سببا في نظمه الشعر في سن مبكرة([4]). وعلى الرغم من قدرته على التصوير ،إلا أن شعره يظهر سيطرة أسلوب النثر على الشعر ،وذلك يعود إلى عاملين هامين :الأول قوة تأثير الجاحظ على عصره ومن قبله ابن المقفع، والثاني:روح العصر الذي بلغ شأنا عظيما في مجال العلم وطرق الفكر ،وجاء شعره مكرورا وتفصيليا ([5])،وهذا معنى قول ابن رشيق فيه :وكان ابن الرومي ضنينا بالمعاني ،حريصا عليها، يأخذ المعنى الواحد ويولده، فلا يزال يقلبه ظهرا لبطن، ويصرفه في كل وجه وإلى كل ناحية حتى يميته ([6]).

وأما عن أثر ابن الرومي في مجرى تطور الشعر العربي فيتجلى في أمرين:
الأول :أسلوبه السهل الممتنع النظم، المتمثل في النثرية التي تجنح به أحيانا إلى الركّة.

([1]) ديوان أبي نواس ، ص284 .
([2])انظر ديوان ابن الرومي ،ج1 ، ص361 .
([3])انظر المصدر نفسه، ج1 ، ص 156 .
([4])انظر محمد زغلول سلام:دراسات من شعراء القرن الثاني- ص316.
([5])علي شلق:نقاط التطور في الأدب العربي،ص122.
([6])ابن رشيق: العمدة ج2،ص238

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والثاني:عنايته بالصورة يعرضها جانبية، مقابلة،تامة،أو تخيلية، وهو في الحالتين متأثر بطريقة الشرّاح والمفسرين من علماء المنطق والكلام واللغة([1]).

أما عن الوسائل التي استعان بها شعراء السخرية عامة فأهمها:

(1) أسلوب الأمر.

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء ،أن ينظر الآمر على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا([2])، وقد يخرج الأمر عن معناه الأصلي ، للدلالة على معان أخرى يحتملها لفظ الأمر ، وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال ، ومن هذه المعاني الدعاء والالتماس، والتمني ،والنصح، والإرشاد ،والتخيير، والإباحة،والتعجيز ، والتسوية،والإهانة والتحقير([3]).

ويلاحظ أن فعل الأمر في السخرية قد خرج في معظمه عن معناه الأصلي لأداء غرض الإهانة والتحقير التي تهبط بالمهجو وتؤذيه،ومن ذلك قول أبي نواس في المغني زهير([4]):

قل لزهير إذا حدا وشدا أقللْ أو أكثرْ فأنت مهذار‘

وقول ابن الرومي([5]):

قل لأبي حفص إذا جئته قول أخي نصح وإرشاد

أنَّى تزوجت على صلعة كأنّها سِندان حدّاد؟

([1])علي شلق: نقاط التطور في الأدب العربي ،ص125

([2])عبد العزيز عتيق: علم المعاني،ص81.

([3])المصدر نفسه، ص83 –88.

([4])ابن منظور:أبو نواس،ص27.

([5])ديوان ابن الرومي،ج2،ص280.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تعــذلــوه ليــس عــن رأيــه تــزوّج المشقوقــة الصـــــاد

(2) أسلوب الاستفهام.

ويأتي أحيانا للتعجب والتحقير، فيلخص مجموعة من العيوب ،ومنها قول ابــن الرومي ([1]):

أقِــصَـــر وعَـــوَر وصلـــــع فــي واحـــدِ ؟

ويأتي كذلك لإشراك القراء في الضحك من المسخور منه،كما في قوله ([2]):

أيــن مــن يشتــري حمــارا ضليعــا ليــس فــي مشيه دينــة ريثِ

وأحيانا تكون غايته الإنكار والتوبيخ كما في قوله([3]):

أيظــنّ غيبتَــه تفطـــر صائمــا ؟ قبحــا لــه ولظنّــه المكـــــذوبِ

وهــل المحــاجر والجفون، ترى لــه وجهــا يؤكّــد قبحــه بقطــوب **(3)**

(3) أسلوب النفي

والغاية من شيوع هذا الأسلوب نفي الصفات الحسنة عن المهجــو وإثبــات نقيضها ومن أمثلة ذلك قول أبي دلامة في زوجته([4]):

لــيس فــي بيتــي لتمهيــ ــد فــراشــي مــن قــعيــدهْ

غيــر عجفــاء عــجــوز ســاقــهــا مثــل‘ القــديــدهْ

وقوله في ابنته([5]):

فمــا ولدتــْك مريــم‘ أمّ عيسى ولا ربّــاك لقمــان‘ الحكيــم

وقول ابن الرومي في البحتري([6]):

مــا تجــزع‘ الشّــاة إذا شحطــت من ألــم الذَّبــح ولا الســلـــخِ

([1])المصدر نفسه ،ج1،ص272.

([2])ديوان ابن الرومي،ج1،ص483..

([3])المصدر نفسه ،ج332،1.

([4]) ديوان أبي دلامة،ص48.

([5]).المصدر نفسه ،ج2،ص112.

([6])ديوان ابن الرومي ج2،ص97.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا مــن التفصيــل منكوســـــة ولا مــن الشــيّ ولا الطّبـــخِ
ولكنّهــا تجــزع مــن خَلــّـــــة تقــدح فــي الأحشاء بالمــرخِ([1])

(4) أسلوب الشرط

جاء هذا الأسلوب منسجما مع غاية التهكم والتوبيخ([2])من خلال امتنـــاع تحقــق الجواب، ذلك لأن السخرية تقوم على المبالغة ، والافتراضات البعيدة ،وكلها تدور في إطار سلبي لا يعود على المهجو إلا بمزيد من الزراية والتهكم ،ومن ذلك قول أبـــي نواس في المغني زهير ([3]):

لــو تغنــّى وفــوه مــلآن جمــراً، لــم يَضِــرْهُ' لبرد ذاكَ الغناءِ

وقول دعبل في قينة ابن الزيّات([4])

فلــو بــَدتْ حاسرةً فــي الضّحــى لاســودّ منهــا فلــق الصّبــح

ومنه أيضا قول ابن الرومي في لحية([5]):

لــو غــدا حكمهــا إلــّي لطـــارت فــي مهــّب الريــّاح كل مطير

وقوله أيضا([6]):

لــو غــاص في البحــر بها غوصــةً صــاد بــها حيتانــه أجمعــا

(5) أسالوب المقابلة :

ويساهم هذا الأسلوب في تعميق المعنى وتوسّيع الدلالة ،ومن أمثلته، قول مطيع ابن إياس([1]) :

([1]) المرخ : المزاح ،وقيل نوع من الشّجر.

([2]) فضل عباس: البلاغة فنونها وأفنانها-علم المعاني،ص344.

([3])ديوان أبي نواس،ص42.

(3)ديوان دعبل،ص56.

([5])ديوان ابن الرومي،ج3،ص33.

([6]) المصدر نفسه،ج4،ص192.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قــل لعبـــاس أخينـــا يــا ثقيـــل الثّقــلاء
أنـــت في الصيف سموم وجليـــد فـــي الشّتاء
أنـــت في الأرض ثقيل وثقيـــل فـــي السّماء

فالمقابلة ظاهرة في قوله :سموم الصّيف ،وجليد الشتاء،وثقيل الأرض ، وثقيــل السماء .

ومن مقابلات ابن الرومي قوله في وصف وجه عمرو([2]):

وجهــك يــا عمرو فيه طـــول‘ وفــي وجــوه الكــلاب طول‘
والكلــب‘ مــن شأنــه التعـــدّي والكلــب مــن شأنـــه الغــلول‘
مقابح الكــلب فــيك طـــــرّا يــزول عنـــها ولا تـــزول‘
وفيــه أشـــياء صالحـــــات حاكمها اللـــه والرّســـــول‘
والكلب واف وفيــك غـــــدر فيـــك عـــن قدره ‘سفــولُ
وقد يحامـــي عن المواشـــــي ومـــا تحامـــي ولا تصـــول‘
وأنت من بيت أهــل ســـــوء قصـــّتهم قصّـــة تطـــول‘
وجوههــم للــورى عظـــــات لكـــنّ أقفاءهــم طبـــول‘
نستغفــر الـــلــه قــد فعـــلنا مـــا يفعــل المائق الجهــول‘
مـــا إن سألنـــا مـــا سألنـــــا الاّ كمـــا ‘تســأل الطلـــول‘
صمْت وعيْــب فـــلا خطـــاب ولا كتــاب ولا رســـــول‘
مستفعلــن فاعلــن فعولـــــن مستفعلـــــن فاعلــن فعـــول

فهو يجري مقارنة بين عمرو والكلب، ويتلمس الصفات التي تجمعهما في الجسد والمعنى،ويرى أنّهما يحملان وجها واحدا قبيحا ، وكلاهما من شأنه التعدي،ثم انتقل من هذه المقابلة العامة إلى التخصيص بتفضيل الكلب على عمرو، ولجأ إلى تعليــل

([1]) غوستاف فون غرنباوم ،ص30.

([2])ديوان ابن الرومي،ج5،ص188،187.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حكمه،فقارن بين وفاء الأول وغدر الثاني،وتجاوز شخص المهجو إلى بيته وأهلـــه، فذكر أنّ وجوههم بلغت حدّا من القـبح بحيـث أصـبحت عبـرة لمـن يريـد أن يعتبر،واستدراك ابن الرومي في البيت بلفظ ولكن ،يوحي أنه يريد استثناء شيء فيهم يخرجهم عن القبح ،لكنّه في الحقيقة أراد أن يؤكّد ذمّهم فجعل أقفاءهم طبولا.

والتدرج في المعاني والانتقال من العام إلى الخاص، سمة بينة في شـعر ابـن الرومي، ومن أمثلة ذلك قوله([1]):

إن تَطل لحية عليك وتعرض فالمخالي معروفة للحميرِ

فهو يظهر الشبه بينها وبين المخلاة بصورة عامة ،ثم يلجأ إلى التفـصيل بـذكر فيضانها وسيلانها في كل اتجاه،يقول ([2]):

لحية أهملت فسالت وفاضت فإليهـا تشـير كفّ المشيرِ

ويتصاعد المعنى حتّى يصل أحيانا إلى المستحيل،يقول([3]):

روعـة تستخفـة لـم ‘يرعهـا من رأى وجـه منـكر ونكـير

(5) أسلوب الحوار :

إنّ شيوع الحوار يجعل من القصائد الشعرية قصّة يمكن تمثّلها وتخيلها، ويساعد على إبراز المعنى الساخر الذي يقدمه الشاعر،والحوار نوعان :

الحوار الخارجي: ويعدّ أبو نواس الأكثر بروزاً في هذا المقام،يلجأ إليه ليناقش المسألة التي يسخر منها، ويقلّبها من وجوه عدّة، ويشعر الدارس أنّه ملاحق في آرائه ومواقفه،ولهذا فهو يحاور ويناقش، ويغرق في ذلك ،حتّى يظن أحيانا أنه لم يكن في صحوه ،وأنه غير مسؤول عما يصدر عنه، خاصة في سخريته الدينية، يقول مثلا([4]) وقائل:هـل تريد الحج ؟ قلت له نعـم ، إذا فنيت لـذّات بغدادِ

([1])ديوان ابن الرومي ،ج3،ص32.

([2])المصدر نفسه،ج3،ص33،32.

([3])المصدر نفسه ،ج3،ص32 ،33..

([4])ديوان أبي نواس ،ص220..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما ابن الرومي فجاء حواره أطول ، يكاد ينتظم القصيدة من مبتدئها إلى منتهاها،ومن ذلك قصيدته التي يسخر فيها من خادمه عندما ذهب ليشتري له ولضيوفه الفاكهة وتأخّر، ([1])،ومن ذلك أيضا قوله([2]):

قالوا:ابن' يوسفَ مستوه، فقلت' لهم: قلتم بظنٍّ وبعض الظنّ مكذوب'([3])
قالوا:ألست تراه يا أبا حسن فخماً له قصب ريان خرعوب'([4])
في جثّة الفيل مكنياَبكنيته ولا محالةَأنّ الفيل مركوب'
لا سيمّا وله وجه به قحّة وعارض كجبين الطير مهلوب'([5])
وحوله غِلمة شقْر طَماطمة كلّ طويل قناة الظّهر معصوب([6])
فقلت: وفي دون هذا الأمر بيّنة للمستدلِ وعلم الغيب محجوب([7])
الحرّ يضربه والعبد يضربه إنّ الشقاء على الأشقين مصبوب

الحوار الداخلي :ويلجأ إليه الشاعر لنقل ما يدور فيه خاطر شخصياته، ومن أمثلته قول الحمدوني في شاة بخيل([8]):

لسعيد شويهة سلّها الضرّ والعجفْ
فإن تغنّت وأبصرت رجلاً حاملاً علفْ
بأبي من بكفّه برء ما بي من الدّنفْ
فأتاها مطمّعاً وأتته لتعتلفْ
فتولّى فأقبلت تتغنّى مع الأسف
ليته لم يكن وقف عذّب القلب وانصرفْ

([1])ديوان ابن الرومي،ج1،ص205.
([2])المصدر نفسه،ج1،ص329،328.
([3])المستوه :المضروب على استه.
([4])الفخم :الضخم، الريان:الطري،المشبع بالماء،الخرعوب:لناعم والسامق
([5])القحة:قلة الحياء، العارض: صفحة الخد، مهلوب: منتوف.
([6])غلمة: غلمان ، الطماطمة: أي في ألسنتهم عجمة .قناة الظهر:العمود الفقري ،معصوب:مشدود،أي قوي.
([7])في دون :في أقل .
([8])الحصري :زهر الآداب ،ج1،ص549،الكتبي :فوات الوفيات ،ج1،ص24.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(6) أسلوب السرد القصصي ، وفي هذا الأسلوب يتولى الشاعر نقل ما يجري بمفرده،ولا تخرج لغة الخطاب من زمامه، وهذا أسلوب تسجيلي تصويري. ومن أمثلته قول دعبل([1]):

أتيت ابن عمران في حاجة هويّنةِ الخطب فالتاثها

تظلّ جيادي على بابه تروث وتأكل أرواثها

(7) توظيف عناصر متنوعة من التراث.

اعتمد شعراء السخرية في تشكيل صورهم على عناصر متعدّدة من التراث المعرفي بشتّى أشكاله، واغترفوا من معين ثقافتهم الشاملة في نظمهم السّاخر الذي شمل جوانب معنوية وحسية، وجاء بعضه في إطار المقارنة التي تهبط بالمهجو، وتجعله الطّرف الناقص في حمل تلك الصفة ، بينما في بعضه الآخر حمّل الشاعر المهجو الصفة الموّظفة، بغرض إثبات النقص عنده بطريقه الهزل والتلاعب، ومن المعارف التي استعانوا بها:

أ_: **الثقافه الدينية** .

وجاءت في اتجاهين: الإتجاه الأول لفظي ومعنوي، فذكرت ألفاظ واستحضرت معان ،الغاية من ذكرها إثبات النقص عند المسخور منه. فهذا أبو دلامة يستحضر شخصتي مريم ولقمان عليهما السلام أثناء استهزائه من تربيته وتربية زوجته لابنته الصغيرة([2]) وخصّ هاتين الشخصيتين في هذا المقام استناداً إلى النص القراني الذي أبرز الصفة الموظفة عندهما وأكدها .

واستحضر بشار هاروت وماروت اللذين ورد ذكرهما في قوله تعالى([3]) (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت)، ليسخر من بخل آل سليمان، فذكر أن

([1])ديوان دعبل ،ص50.

(1)ديوان أبي دلامة ، ص112.

([3])سورة البقرة ، آية(102) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

دراهمهم لا يمكن رؤيتها ،كما هي الحال بشأن الملكين هاروت وماروت، بل يكتفى بالسماع بهما، يقول([1]) :

دينـــار' آلِ سليمـــان ودرهمَهـــم كالبابليين حفّـــا بالعفـــاريـــت
لا يبصران ولا يرجـــى لقاؤهمـــا كمـــا ســـمعت بهـــاروتٍ وماروتِ

وذكر أبو نواس سليمان عليه السلام في سخريته من الأمين، ومن ســفنه التـــي جاءت على خلقة الحيوانات ، في وقت كان الناس يؤمّلون منه عطاء وخيرا يشملهم ويعمهم. وقد لمّح الشاعر في توظيفه هذا إلى معجزة سليمان، وهي تـــسخير الجـــن والحيوان لخدمته ،في إشارة منه إلى انحدار الأمين ، وكأنه يستنكر أن يشبّه الأمـــين نفسه بسليمان.

وسخر أبو نواس من العالم اللغوي أبي عبيدة ،وعدّه من بقايا شيعة لـــوط ([2])، وتلاعب بملامح الجارية بنان ومسخها ليقول في النهاية إنها تعود في أصـــلها إلـــى عائلة من الشياطين ([3])

وتنوعت إشارات ابن الرومي الدينية بتنوع المواقف التي عرضها ، ومن ذلـــك سخريته من أبي حفص الوراق. فلإثبات قبح ملامح الثاني قارن بينه وبـــين القـــرود عامّة ،لكنه أردف وذكر أنه يشبه في هيئته هذه القرود الممسوخة([4])، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى ([5]): (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) ، ثمّ جعل لغته لا تفهم حتى تفهم لغة الطير ، وهذا الأمر يحتاج إلى سليمان عليه السلام ،ليفك رموزها يقول ([6]) :

لـــو كان حيّا سليمان الذي اعترفت لـــه الغـــواة وألقـــت بالمقاليـــد
أعيـــاه شعـــر أبـــي حفص بلكنتـــه حتّـــى يبلّـــد فيـــه أي تبليـــد

([1])الأغاني ،ج3 ،ص174.
([2])انظر ديوان أبي نواس ، ص 589 0
([3]) المصدر نفسه ،ص590،589.
([4])انظر ديوان ابن الرومي ،ج2 ،ص252.
([5])سورة البقرة ، آية (65) .
([6])ديوان ابن الرومي ،ج2 ،ص273.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعاد في أثناء سخريته من فضيل الأعرج إلى قوله تعالى([1]):(ومن يتّق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ([2])

ومن أجل إثبات الروع والمفاجأة التي يتلقاها من يرى اللحية الطويلة ،استحضر مشهد في غاية الرهبة، وهو رؤية الملكين منكر ونكير وهما يحاسبان الإنسان في قبره ، يقول :([3]) .

روعة تستخفّه لم يرعها مَنْ رأى وجه منكرٍ ونكيرِ

وعاد في تصويره لتكبّر المغني أبي سليمان إلى شخصية هامان، وتناول الأول بالسخرية والتهكم([4]).واستعان في سخريته من خادمه بعناصر من الجنة ،فذكر رضوان حارسها ، ومالك حارس النار ، وأتى على شجرة الزّقوم ، باحثا عن سبب يعلل فيه الغيبة الطويلة لخادمه ، عندما ذهب ليشتري له الفاكهة ،ووصل في افتراضاته إلى التفكير بوصول خادمه إلى كروم الجنة([5]).

واستغل ابن الرومي معارفه عن الفرق في عصره،ومنها قوله في إحدى المغنيات([6]):

تفاوتتْ خلقتها فاغتدت لكلّ من عطّل محتجّة

ويعنى هذا أنّ تباين ما بين أعضاء جسدها أصبح حجّة للمعطلة الذين يقولون بوجود الكائنات بلا موجد.

أمّا الاتجاه الثاني من توظيفهم الديني ،فجاء في إطار القصة القرآنية ،فهذا دعبل يستعين بقصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز التي راودته عن نفسها ،فولّى

([1])سورة الطلاق، آية (2) ، وآية (3) 0

([2])انظر ديوان ابن الرومي ،ج1،ص169

([3])انظر المصدر نفسه ، ج3،ص33،32.

([4])المصدر نفسه، ج 6، ص288

([5])انظر المصدر نفسه،ج1، ص206،205.

([6])انظر المصدر نفسه،ج2،ص32.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هاربا إلى الباب، فقدّ قميصه من دبر ، وأراد من هذه القصّة الطعن في رجولة بني فضل ،يقول([1]):

إذا رأيت بني فضل بمنزلة لم تَدرِ أيّهم الأنثى من الذّكرِ
قميص أنثاهم' ينقدّ من قبل وقميص' ذكرانهم ينقدّ من دبرِ

واستفاد أيضا من قصة أهل الكهف في الاستهزاء من بني العباس ،فقابل بين المعتصم والكلب ، وارتفع بالكلب لبراءته من الذنوب ([2]).

وأكّد بخل رجل ، وبالغ في ذلك بالرجوع إلى قصة موسى عليه السلام ،عندما وضع في تابوت محفوظ بعناية إلهية . وجعل خزنة البخيل تابوت موسى،والهدف من هذه الصورة قتل الأمل عند الناس في الوصول إلى طعامه([3])

ب_: الثقافة التاريخية و الأسطورية.

استعان الشعراء ببعض الشخصيات التاريخية وأدخلوها في بنائهم الساخر ، فغدت ركناَ مهماَ في إكمال الصورة الساخرة بما اشتملت عليه من معان وإيحاءات ،فهذا أبو نواس يستعين بعزة كليب بن وائل ومنعته ، ليبرز بخل مهجوه، فذكر أن خبزه محصّن ، لا تصل إليه الأيدي ، وكأنه في حمى كليب([4]).

واستحضر كذلك شخصية الخنساء، وحزنها على أخيها في أثناء سخريته من البخل ، ليعبر عن حزن رجل بخيل على فقد رغيفه ، وجعله مماثلاَ لحزن الخنساء على أخيها صخر ، يقول([5]):

إذا فقد الرّغيف بكى عليه بكا الخنساء إذ فجعت بصخرِ.

واستحضر وقعة بدر في ملاحقته لأحد الشّرهين،وقابل بين ما تحدثه شراهته وأحداث بدر، بجامع الضرواة والشدّة ([1]).

([1])ديوان دعبل، ص180.
([2])المصدر نفسه،ص20،19.
([3])المصدر نفسه،ص136.
([4])ديوان أبي نواس،ص361.
([5])المصدر نفسه،ص305،304.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ودون رغيفــه قلــع الثّنايــا وحــرب مثــل وقعــة يوم بــدر

وأما ابن الرومي فتبين عند مهجوّه خالد القحطبي شبها من الحجاج بن يوســف، وجمع في مقارنته بين الجانبين المعنوي والحسّي، فجعل أعضاء القحطبي المــشابهة لأعضاء الحجّاج تعترف بما لديه من ذنوب، يقول([2]):

يــا للرّجــال توسّــموا وتبينــوا فــي خالــد شبهــاَمــن الحجّاج

أعضــاؤه عمــّن يــقــرّ بذنبــه وحلــول نقمتــه بكــلّ مداجــي

ومن الموروث الأسطوري الذي أتى عليه الشعراء في قصائدهم الساخرة الاعتقاد بالغول، وربطوا ذكره بالقبح والاشمئزاز. قال أبو دلامة في زوجته ([3]):

إننــّي شيــخ كبــيــر ليــس فــي بيتي قعيــدة

غيــر مثل الغول عنــدي ذات أوصــال مــديــدة

ووظف الأمر نفسه ابن أبي الزوائد في ذمّ زوجته لأنه ملّها وأبغضها([4])

وكذلك فعل دعبل في أثناء سخريته من زوجته([5]).

وذكروا عنقاء مغرب ، وظهرت في غير موضع عند أبي نــواس([6])، وابــن الرومي([7]) أثناء سخريتهما من البخل .

(ج) المعارف العلمية والفقهية والفلسفية.

من المعارف التي وظّفوها استخدام علم الكيمياء ،إذ كان شائعا عندهم أن شــدّة البرودة تؤدي إلى الحرارة . فهذا أبو نواس يوظّفها في سخريته من المغني زهير ، يقول([8]):

([1])ديوان أبي نواس ،ص305..

([2])ديوان ابن الرومي،ج2،ص21.

([3])ديوان أبي دلامة،ص8.

([4])الأغاني،ج14،ص335.

([5])ديوان دعبل، ص89.

([6])انظر ديوان أبي نواس،ص361.

([7])انظر ديوان ابن الرومي،ج11،ص155،154.

([8])ديوان أبي نواس،ص309.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قــلْ لزهيــر إذا حــدا وشـــدا : أقلــلْ أوأكثــرْ فأنـــتَ مهـــذار‘
سخنـــت من شدّة البرودة حتـــ تى صـــرتَ عنـــدي كأنّك النّـــار‘
لا يعجب السامعـــون مـــن صفتي كذلـــك الثّلـــج بـــارد حـــار‘

وأشار ابن الرومي إلى ناموس الجاذبية الأرضية في قوله([1]):

طــار قــوم بخفّــة الــوزن حتّــى لحقــوا رفعــة بقاب بالعقـــابِ
ورســا الرّاجحون من جِلّــة النـــا س رســوّ الجبــال ذات الهضابِ

فقد لجأ في سخريته هنا إلى توظيف مبدأ علمي ليقرّر الظاهرة التي يتحدّث عنها، ويستعين بناموس الجاذبية الأرضية في وصفه لمن يرتفعون إلى أعلـــى ،فهـــم فـــي نظـــره يرتفعون بسبب خفّتهم ،وكأنه يريد أن يقـــول إنّ ســـموّهم ســـموّ ظـــاهري شكلي،وهم في واقع الأمر لا يساوون شيئا وإنّما رفعهم الحظّ،على حين أنّ انحـــدار الفئة الأخـــرى، ومنهم الشاعر نفسه، إنّما هو بسبب ثقلهم ،فهم منحدرون في الظاهر لكنّهـــم في الحقيقة أصحاب وزن ومكانة عظيمة، لم يأخذوا حقّهم في هذه الحياة .

واستعان ابن الرومي أيضا بشيء من معارف الفلك والنجوم في قوله([2]):

وهـــل أشْبـــه المريـــخَ إلاّ وفعلَـــه لفعلِ شبيه السوء شِبْـــه‘‘ مقـــارب‘

والمريخ من الكواكب التي يعدّها الناس شؤما كزحل . واستعان أيضا بالثريّا وبنات نعش ليؤكّد إهماله لصديقه وعدم اكتراثه لحاله ، إذ يرى أنّه لن تفتـــرق الثريا ولن تجتمع بنات نعش إذا غضب صديقه منه ([3]).

وأفاد كذلك من التجارب الفقهية والفلسفية في عصره، فالمعاني عنـــده اتخـــذت صوراً حسيّة ، كما أن المعاني الذهنية تجرّدت عن الصور ، فغدت المادة معنـــى ، والمعنى مادّة ، فابن الرومي يبصر المكر كما يفهمه ، ويظهر ذلك في وصفه لمكر أبي القاسم ،يقول([4]):

([1])ديوان ابن الرومي،ج1، ص314،315.
([2])المصدر نفسه ،ج1، ص327.
([3])المصدر نفسه، ج3، ص332.
([4])ديوان ابن الرومي ، ج1، ص43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لــك مكــر يدبّ في القوم أخفــى مــن دبيــب الغــذاء فــي الأعضاء .
أو دبيــب المــَلال في مستهامَيْــــ ــن إلــى غايــة مــن البغضـــــاء
أو ســرى الشّيــب تحت ليل شباب مستحيــر فــي لمّة سَحمـــــــــاء([1])

فالدبيب هو السعي حبواَ، وهو يشاهد في البصر ، أما المكر فهو حالة نفــسية، تعانى معاناة أو تفهم فهماَ ، ولقد جمعها ابن الرومي في حالة واحدة ، وكأنّ فـــي نفسيته عالماَ كالعالم الخارجي ، تعيش فيه المعاني والأحاســيس بــصور وأشــكال ماديّة([2]).

د_ المعارف النحوية والأدبية والنقدية.

يكاد ابن الرومي أن ينّفرد في هذا الاتجاه ، وتشير مصطلحاته إلى ثقافة متشعبة اتجهت اتجاهين .

1_اتجاه عام: أشار فيه إلى عموميات ، لم يكن معنياَ فيها بالتفصيل، وكأنّه يعتــرف بحدود معرفته بمصطلحاتها ، فأثناء إشارته إلى علم النحــو ، لم نجــد عـــنده إلّا قوله ([3]):

مازال يضرب منــه يوم صادفــه زيــداَ وزيــد بحكم النحو مضروب‘ .
ضرباً وجيعاً سوى ضرب العبيد له والضرب ضربان :مكروه ومحبوب‘.

2_ اتجاه تفصيلي ،ينبئ عن معرفة دقيقة،معللة بالمصطلح النقدي،وتبدو جلية فــي الأمور التالية:

أولاَ: أظهر ابن الرومي وجهة نظر نقدية نادى فيها بوجوب التفريق بين الشعر وقائله بالنظر إلى الشعر نظرةَ مجرّدة خالصة بعيدة عن الشخص المهجو ([4]) فطالب مثلاَ أبا العباس بن ثوابه بذلك في قوله ([1]):

([1])استحار الشباب : تّم ، اللّمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، واللمّة السحماء: السوداء.

([2])إيليا حاوي: ابن الرومي، فنه ونفسيته من خلال شعره، ص88،87.

([3])ديوان ابن الرومي،ج1،ص329..

([4]) يوسف بكّار: في النقد الأدبي ،ص109.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا تصغّر الشعــر إن أصغرت قائلَــه فإنّــه غــير محقوق بإصغــارِ.

لكن ابن الرومي ناقض نفسه حين عاب شعر البحتري وذّمه ،بقوله([2]):

قبحــاَ لأشيــاء يأتــي البحتريّ بها من شعره الغَثّ بعد الكدّ والتعــــبِ.
كأنها حيــن يصغي السامعــون لهــا ممن يميّــز بيــن النّبــع والغَــربِ
إنّ الــوليــد لمغــوار إذا نكــلــــت نفــس الجبان، بعيد' الهمّ والسرب([3])
عبد يغيــر علــى الموتــى فيسلبهــمْ حــرّ الكلام بجيشٍ غير ذي لجــبِ.
مــا إن تــزال تــراه لابساً حللاَ أسلابَ قــوم مضــوا في سالف الحقب
شِــعر يغــير عليــه باسلاً بطلاً وينشــد النــاس إيــاه علــى رِقَــبِ
يقــول مستمعوه الجاهلــون بــه: أحســنتَ يا أشعر الحضــّار والغــيب
حتّــى إذا كــفّ عن غاراتــه،فلــه شــعر يئن مقاســيه من الوَصَــبِ

وردّ في سخريته على النقاد الذين عابوا شعره، ورأى أن العيب في نقــدهم ،لا في شعره ،فقلّة معرفتهم بشعره جعلتهم يستسخفون الجيّد، ويستحسنون السيء([4]) يقول:([5]):

قــد حدثــتْ فــي دهــرنا أنفــس تستــبرد السّخنــةَ لا البــاردهْ
كمــا تعــاف' الــطيــب المشتهــى مــن الطّعــام المعــدة الفاســدهْ
وليــس بــالبــارد مــا استبــردت لكنــّها البــاردة الجــامــدهْ

ثانيا: وضع بعض الشروط للناقد الجيّد في قوله([6]):

قــل لمن قــال لي:عرضت على الــ أخفــش ما قلتــه فمــا حمــده
قصّــرت بالشــعر حــين تعرضــه علــى مبين العمى إذا انتقــده

([1])ديوان ابن الرومي،ج3،ص123.
([2])المصدر نفسه ، ج1،ص303،302.
([3])بعيد السرب: بعيد المذهب في الأرض.
([4])انظر يوسف بكّار: في النقد الأدبي،ص111.
([5])ديوان ابن الرومي،ج2،ص177.
([6])المصدر نفسه ،ج2،ص248،249.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــا قـــال شـــعرا ولا رواه ،فـــــلا ثعلبـــة كـــان، لا ولا أســـــده

فمن شروط الناقد أن يكون شاعرا ، أو راوية للشعر،وليس ناقلا يجهل ما ينقل.

ثالثا: أظهر موقفا من السرقة الشعرية، وعدّها عيبا يقع فيه الـــشاعر،يقـــول فـــــي البحتري([1]):

أيســـرق' البحتـــريّ الناس شعرهـــم جهـــراً نِكـــال'اللص ذي الريـــبِ

والحكـــم فيـــه مبيـــن غيـــرُ ملتبـــسٍ لو ريمَ فيه خِلاف الحقّ لم يُصَـــبِ

رابعاً: أظهر موقفاً من الكذب في الشعر، وعدّه خطأً يوقع في الإثم ، ومنه قوله في أبي الحسين ،كاتب ابن أبي الأصبغ ([2]) :

يا من يقول بمـــا فيـــه مقرّظـــه ولا يمـــتّ إليـــه بالأكاذيـــــــبِ([3])

وعلى الرغم من ذلك ،فهو يعترف أنّه يلجأ إلى الكذب أحياناً؛ إرضـــاء للممـــدوح ، وطمعاً في عطائه،يقول ([4]):

مدحتكم'طمعاً فيمـــا أؤمّـــله فلـــم أنـــل غير حظّ الإثم والوصبِ

إن لم تكن صلة منكم لذي أدبٍ فأجـــرة الخـــطّ أو كفّـــارة الكذبِ .

خامساً: استخدم مجموعة من المصطلحات الشعرية، ومنها:

أ_ فضول الشعر:

والفضول : جمع فضل ، أي البقية من الشيء ([5])، وهو هنا بمنزلة الحشو فـــي الكلام ، وورد عند ابن الرومي في قوله ([6]):

بيـــت كمعنـــاكَ، ليـــس فيـــه معـــنىَ ســـوى أنـــّه فضـــول'.

([1])المصدر نفسه، ج 1، ص304.

([2])المصدر نفسه ،ج1،ص200.

([3])قرظه :مدحه بالشعر .

([4]) ديوان ابن الرومي ،ج11111،ص412.

([5]) اللسان ،مادّة فضل .

([6])ديوان ابن الرومي،ج5،ص188..

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب_ **الإحالة** : مصطلح نقدي ، عده نقاد الشعر من المآخذ على الشعراء ، ومعناه: الكلام الذي عدل به عن وجهه ، ويقال : أحلت الكلام أحيله إحالة ، إذا أفسدته([1]).

ومن أمثلته ما ذكره المرزباني عن إحالة أبي نواس في قوله([2]):

وأخفت أهل الشرك حتّى إنّه لتخافك النّطف التي لم تخلق.

ووجه الإحالة أنه وصف المخلوقين بصفة الخالق.ومن إحالات ابن الرومي قوله في ابن ثوابه([3]):

وأحلتَ في بيتٍ وما زلتَ البعيدَ من الإصابهْ.

أنّى يكون ممدّدا رجل وقد رفعوا كعابهْ.

لكنّه بيت عَرا ك لذكر، معناه صبابهْ.

فعميت عن سنن الطريـ ـق ظِلْتَ تركب كلّ لابهْ([4]).

فالاحالة في قوله:"ممدد....رفعوا كعابه" لأن ذلك لا يستقيم.

خامساَ: استخدم مجموعة كبيرة من مصطلحات العروض والقافية التي تبرز مواطن الضعف عند الشعراء ، وقد أخرجها جاسر أبو صفيّة في دراسة موسعة ومنشورة ضمت جل القضايا النقدية الواردة في ديوانه ([5])، ومن أهمّها:

أ_:الخبب.

فقد أفاد في سخريته من البحتري من وزن الخبب المستمد أصلا من عدو الإبل، بهدف الزراية والاستهزاء،يقول([6]):

([1])اللسان :حول.

([2])المرزباني :لموشح،ص 438،437،419،،403.

([3])ديوان ابن الرومي،ج1،ص159.

([4]) اللابة: الحرّة من الأرض ذات الحجارة.

([5])انظر جاسر أبو صفية: ابن الرومي ناقدا، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 185، الحولية الثانية والعشرون مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت 2001_2002ص79_82.

([6])ديوان ابن الرومي،ج1،ص301.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قــد قلت إذ نحلــوه الشعر حاش له إنّ الــبروك بــه أولــى من الخبب

ب_ الإقواء و الإكفاء والإغراب في القافية.

فالإقواء معناه اختلاف الرّوي فــي قــصيدة واحــدة،بمعنى أن يجــيء بيــت مرفوعاً،وآخر مجروراً وهكذا، وهو مأخوذ من قوى الحبل المختلفة الفتل ([1]) .

والإكفاء: أصله القلب أو المخالفة ،أي اختلاف الروي،وفي التاج المخالفة بــين حركات الروي رفعا ونصبا وجرا([2]).

و**الإغراب** في القافية، أن تكون متباعدة لا يربطها رابط، ولا تدخل فيما عــرف عند العروضيين من ألقاب القوافي([3]) وقد جمع ابن الرومي هذه المصطلحات فــي قوله([4]):

ولــــه أبيــات' شــعــر ألّفــت زوجــاً وفــــــردا

مقْــويــات مكفــّــآت صلحــتْ للقــرد عقــــدا

جــمع الإغــراب طــــرّا فــي قوافيهــن عمــــــدا

وحــروف المعجــم الخلــــ ــفة أحصاهــنّ عــــــدّا

ســــرد الكافــات والمــيــ ــمات والدالات ســــــردا

مثــل مــا ضمّت سبــــيل مــن شعوب الناس وفــــدا

وتــرى المخفــوض منهــا يطــرد المرفــوع طــــردا

ج_ الإيطاء والخرم والخزم والسّناد، أمّا الإيطاء ،فهو أن تتكرر القافية في قــصيدة واحدة بمعنى واحد، كالرّجل ،ورجل، فإن كانا بمعنيين لم يكن إيطاءً([5])، وهو ممــا عدّه ابن الرومي من عيوب القافية ،يقول في سخريته من سوار بن أبي شراعة([6]):

([1]) الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي ،ج1، ص160..

([2])تاج العروس ،مادة كفأ. الخطيب التبريزي: الكافي ،ج1،ص161.

([3])انظر حول هذه الألقاب كتاب تلقيب القوافي، ص270 ،271.

([4])ديوان ابن الرومي،ج2،ص189،188.

([5])التبريزي ج1 ،ص160.

([6])ديوان ابن الرومي،ج5،ص120.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذكرك فـــي الشـــعر مثل السنا د والـــخرم و الـــخزم أو كالمحالِ.
وإيطـــاءِ شـــعـــر وإكفـــائـــه وإقـــوائـــه دون ذكـــــر الـــرّذال.

والحزم: وهو اسقاط الحرف الأول من الجزء الأول فيما هو مبني على الأوتـــاد المجموعة. ويكون في خمسة أوزان من العـــروض: الطويـــل والـــوافر والهـــزج والمضارع والمتقارب . وقد يكون في النصف الأول وأول النصف الثاني([1])

والخزم:وهو زيادة تلحق أوائل الأبيات ،ولا يختص بـــذلك وزن دون وزن، ولا يعتد بتلك الزيادة في تقطيع العروض ، فيزاد البيت حرفاَ واحداَ([2]).

أما السناد،فهو اختلاف القوافي ، ومن قولهم: خرج القوم متساندين، أي لم يتبعوا رئيساَو احداَ([3]).

ثالثا :الصورة .

الصورة خلق فردي ذاتي للخيال الشعري ([4])،ترتبط بالسياق الكلـــي للتجربـــة الشعرية،وتستحيل إلى انحلال للأشياء والترابطات والتداعيات الكامنة في النفس، ثم إعادة ترتيبها ،وإن فاعلية الصورة تتبلور حين يتنـــاول الخيـــال الخـــلاق الأشـــياء باعتبارها رموزا ، تستثير الانفعالات والاستجابات([5]) .

([1])تنوخي 86،85 ..
([2])تنوخي،ص87،جاسر أبو صفيةص80 .
([3])تنوخي ،ص184، تبريزي ،ج1 ، ص164 ،و انظر جاسر أبو صفية،ص80.
(6)كمال أبو ديب: جدلية الخفاء والتجلي ، دراسات بنيوية في الشعر،ص19.
([5]) المصدر نفسه ،ص45.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا بدّ أن تتصل الصورة الساخرة في أحد ركنيها بواقع الحياة المعاش أو بشخصياته، وإن غالى الشعراء في تناولها؛ لأنّ مواقفهم من الوجود تكاد تنحصر في ثلاثة اتجاهات، الاتجاه الأول:يحاكي الواقع ، والثاني يعاينه، والثالث يفكر فيه.

وقد جاءت الصور الشعرية الساخرة على نوعين، مرتبطين بانفعالات الشاعر وحالاته النفسية، وهذان النوعان هما:

(1) **الصورة المفردة والجزئية** : وأهم الوسائل البنائية لصور الشاعر المفردة ما يلي:

(أ) **تبادل المدركات:** وذلك بالاعتماد على أساليب التصوير المألوفة ،ومنها التجسيم، وفيه تأخذ المعنويات صفات محسوسة ومجسمة، ومن أمثلته قول ابن الرومي في بخيل ([1])

يريد أكيلا رزؤه من طعامه كرزءِ كتابٍ من تراب متـرَّبِ

إذا لحظته عينه عند مضغهِ طوى الأنسَ طيَّ الخائفِ المترقّبِ

والتجسيم بادٍ في قوله :طوى الأنس .

ومن أساليب التصوير في هذا النوع أيضاً التشخيص ، وفيه تدب الحياة والصفات الإنسانية في المحسوسات والمعنويات ،ومن ذلك قول أبي نواس ([2]):

هم أحرزوا الرغفان حتى تكلمت أمنا بحول الله من حذر الكسر

وقوله ([3]):

رأيـــت' الفضلَ مكتئبـاً يناغـي الخـبزَ والسَّـــمكا

ب- **تراسل الحواس** :ويعني وصف مدارك حاسّة بما توصف بـه مـدارك حاسّـة أخرى، وهذا الأسلوب يفتح أمام الشاعر أفقاً جديداً ،يسقط عليـه مـا يـشاء مـن

([1])ديوان ابن الرومي :ج1،ص389.

([2])ديوان أبي نواس ،ص35.

([3])الأغاني ج16،ص429 .ابن منظور المصري،ص43.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المجاز،والكناية ،ويثير لدى المتلقي نوعاً من الدّهشة. ومن أمثلته قول ابن الرومي في رجل عظيم الأنف([1]) :

وإذا جلستَ على الطّريق ولا أرى لك تجلس‘

قيل السلام عليكما فتجيب‘ أنتَ ويخرس‘

(2) **الصور المركبة** :وتتشكل من مجموعة من الصور الجزئية المتآلفة،التي تتداخل في نسيج متكامل ،ويستطيع الشاعر من خلالها أن يقدّم العواطف ،والأفكار التي يتعذّر تقديمها عبر صور جزئية واحدة، ويقوم هذا النوع في المقام الأول على البناء الدرامي،ويتجسدّ في الحوار بنوعيه،الداخلي ([2])والخارجي([3]) ،وفي الأسلوب القصصي([4]).

وقد اعتمد شعراء السخرية في تشكيل صورهم على إجراءات فنية ،ارتفعت بالصورة الساخرة عن الصور الأخرى، وخرجت على النمطية الشعرية المعروفة في الأغراض المألوفة ،ومنها توحيد العناصر المتباعدة ،بإيجاد علاقات مباشرة بينها،كما في قول أبي الشمقمق ([5]):

وله لحية‘ تيسٍ وله منقار نسرِ

وله نكهة‘ ليثٍ خالطتْ نكهَة صقرِ

فقدرة الشاعر الفنية استدعت مقابح التيس، والنسر، والليث، والصقر ،لتشكل هيئة آدمية ملوثة منفّرة.

واعتمدوا أيضاً على المعاني المتنافرة ، في خلق علاقات جديدة بين الكلمات، واستطاع ابن الرومي بأدواته الفنية وقدراته الابتكارية وإدراكه بالعلاقات الكامنة بين

([1]) ديوان ابن الرومي ،ج1111،ص279،278.

([2])انظر ،مثالا في زهر الآداب ،ج1،ص549،فوات الوفيات ،ج1،ص24.

([3]) انظر ديوان أبي نواس،ص220،ديوان ابن الرومي ،ج1،ص205.

([4]) انظر ديوان دعبل ،ص50.

([5])غوستاف فون غرنباوم :شعراء عباسيون ،ص135.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأشياء ، أن يأتي بصور ملونة تجمع الحسي بالمعنوي ، وتتلمّس روابط خفيّة ، لا يصل إليها إلّا من امتلك حسّا بالمتناقضات ، ومن أمثلته قوله: ([1]):

عواءَ كلبٍ على أوتارِ مندفةٍ في قبحِ قردٍ وفي استكبارِ هامانِ

ولجأوا كذلك إلى تكبير جوانب الضعف ، والمبالغة في التخيل ، وهذه من الشروط التي يجب أن تتوافر في الصورة الإيحائية ،بحيث تحجب الحقيقة، وتغلّفها بوشاح تلتمس من خلاله ،كذلك فمن المهم أن تمتاز الصورة بتداخل الألوان والأشكال ،فالشعر الذي يعتمد الصورة التي تتداخل فيها هذه المظاهر وتتعقّد، يثير المتذوق، ويدفع لاستحضار هذه الظواهر في نسق خاص على سبيل التوهّم والتصور ([2]). ومن ذلك قول أبي الشمقمق في بخيل ([3]):

كفّاه ‘قفْل ضاعَ مفتاحه قد يَئِسَ الحدّاد من فتحهِ

وقول أبي نواس في بخل الرقاشيين ([4]):

ولو أشممت موتاهم رغيفاً وقد سكنوا القبور، إذن لعاشوا!

وقول ابن الرومي في رجل عرف بشراهته في تناول الطعام([5]):

وأما يد البصري في كل صفحة فأقلع من سَيْلٍ، وأغرف من رفشِ

ويتجلى التضخيم بصورة أوضح في قول ابن الرومي في المؤذن دبس([6])

ولأنت أجدر بالذي قال الفتى المتنطّس([7])

إن كأن أنفك هكذا فالفيل عندك أفطس

إذا جلست على الطّريـ ـق ولا أرى لك تجلس

([1])ديوان ابن الرومي ، ج6،ص288.

([2])ساسين عساف :الصورة الشعرية ونماذجها،ص29.

([3])غوستاف فون غرنباوم ،ص154.

([4])ديوان أبي نواس،ص331

([5])ديوان ابن الرومي، ج3،ص333.

([6])المصدر نفسه،ج3،ص279،278..

([7])المتنطّس : المتأنق في الكلام.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قيـــل الســـــلام عليـــكـــما فتجيـــب أنـــت،ويخـــــــرس

فهو يقترب في وصفه هذا من الوصف الكاريكاتوري المشوه ، إذ شبه أنفـــه بالرأس وجعل الماريّن يحيون أنفه ، باعتباره شخصا آخر ،فانحسرت ملامح المؤذّن قياسا مع أنفه، وفتّق له صورا تستثير الضحك لغرابتها، وبعد أن كان حجـــم أنفـــه يضاهي حجم رأسه، تضخّم في الأبيات اللاحقة، حتى غدا الفيل أفطس مقارنة معه.

والمبالغة في ذلك لم تتطور تطوراَ،بل تجاوزت تجاوزاَ أو بالأحرى تـــضاعفت تضاعفاَ، فهو لم يكتف بالمقابلة بين الأنف والخرطومَ، بل تخطى ذلك كثيرا حين جعل الفيل أفطس مقارنة معه، والشاعر بهذه المبالغة عبرّ عما يفيض بهَ شعوره من حالات تبرم نفسية انعكست على واقعه .

والمبالغة في الوصف الكايكارتوري ناجمة عن الإسراف في الابتعـــاد بـــين طرفي المقابلة ([1]). والصورة الكاريكاتورية تختلف عن الصورة العادّية في الاختلال بين طرفيها، واستمالة معانيها، ذلك في شكلها الخارجي ،أمّا في روح أسلوبها الداخلي فتقوم على عزل الملمح الشّاذ عن سائر الملامح ،والإمعان بتغطيتـــه والغلـــو فـــي إظهاره، حتّى ليبدو كثير الغرابة ومثيراَ للدهشة.

ويقترب ابن الرومي في هذه القصائد من الجاحظ الذي يمعن في درس النفسيات الإنسانية ، ويستطلع الحوادث الخارجية، ليصل من خلالها إلى واقع الشخصيات التي يدرسها ، لكنّ المقارنة بينهما لا تجوز إلا من حيث الشكل الخارجي ، دون الـــروح الداخلية ، أو البواعث ،لأنها مختلفة تماماَ ، فصور الجاحظ بريئة من النقمة والانفعال والتوتر ، التي تظهر عند ابن الرومي في سخريته.

وترمز الأشكال المكبّرة عند ابن الرومي إلى المهانة والقبح، ويستغلّها للنيل من خصومه، وهو يخالف بذلك سنّة العرب التي تنظر إليها رمزاَ للتعظيم، كما في مدحهم نجاد السيف ، والمهيب الذي يشبه الطود، ويجرّ إذا مشى مطرفه ، يقول:([2])

([1])إيليا حاوي: ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره ص78.

([2])ديوان ابن الرومي ،ج1،ص330

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طول وعرض بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليسَ يحسن' إلّا وهو مصلوب'.

فليس لهذا الرجل أية فضيلة سوى أن يمتع النّاس ويضحكهم ، وما ضخامة هيكله واتساعه إلا لضخامة السّخف والهزال العقلي في باطنه ، وقد بحث الشاعر ليجد حسنة واحدة يمدح بها الرّجل،فلم يجد إلا أن يصلبه، فيظهر للنّاس طوله وعرضه.

ومثله قوله([1]):

رمح طويل ولكنْ في جوانبهِ شتّى وُصومٍ، فخير منه أنبوب' ([2])

فيل وأوزن منه لو يوازنه' في الحلمِ والعلمِ لا في الجسمِ يعسوب'([3])

ويعتمد ابن الرومي أيضا على صور تخيلية إيحائية،كنوع من الكناية أو التورية فيعرض شيئا وهو لا يقصده لذاته بل يريد شيئا آخر يجانسه بالقرب أو البعد ، وقد تكون كل لفظة في حدّ ذاتها موحية بالصورة، كما يكون التركيب موحيا، وقد لا تكون الصورة حصيلة اللفظة الواحدة أو التركيب ، بل من شيء يموج في ذهن الشاعر،لم يصرّح به،وإنّما لمّح إليه في ثنايا العرض ([4]). فمثلا لكي يظهر الذلّة والمسكنة عند مهجوّه ، وكذلك الحقارة التي تحمل الناس على ضرب المهجو غادين رائحين، ليتخلّصوا من وبائه، يظهره قائما كقاعد، دائم الانكماش من الصفع والوكز بالأقدام،يقول([5]):

أقمأه القفد فأضحى قائما كقاعد

ومنه قوله أيضا([6]):

فلو يستطيع' لتقتيرهِ تنفّسَ من مِنخرٍ واحدِ

([1])المصدر نفسه ،ج1،ص330.

([2])وصوم :عيوب.

([3])يعسوب :ذكر النحل.

([4])علي شلق في الصورة والوجود،ص296.

([5])ديوان ابن الرومي،ج2،ص272.

([6])المصدر نفسه ،ج2،ص160.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه صورة تنقل تلقائيا إلى التأمّل في حرص الناس على التنفّس، الـذي هـو أساس الوجود البشري ، إذ لو يقدر الواحد منهم أن يتنفّس بكلّ جوارحه لفعـل،لكنّ عيسى يظهر في صورة مغايرة تماما،بسبب بخله.

وتستند بعض الصور إلى الانفعال الدّاخلي،وتتوحّد مع الصورة الخارجية في إطار لا ينفصل ،ويظهر هذا بوضوح في الدخول إلى نفسية البخلاء ونقل ما يعتمل فيهـا بلغة الحركات والانفعالات. ([1]).

ويقوم بعضها على الإقناع العقلي الذي يخفي الاسـتهزاء والتحقيـر،ومن ذلـك محاولة أبان بن عبد الحميد إقناع جاره بضرورة الموت لما اشتمل عليه جسمه مـن علامات وأعراض مخيفة، وكل ذلك جاء مغلّفا بخبث ساخر([2]).

وأدخل بعضهم الصورة الشعبية في البناء الساخر بالاعتماد على التكرار فـي المقاطع الشعرية، ولعلّ ذلك ناجم عن تأثرهم بفن الغناء في الشكل بالذات ، فكثيرا ما كان الشعراء يختارون عبارة يرددونها بمثابة إيقاع لبقية الأبيات كما في قـول أبـي الشمقمق في بشار([3]):

هَلّلينـــه هَلّلينـــه طعـــن قشَّـاة لتينـــهْ

إن بشار بن برد تيسٌ أعمى في سفينهْ

وكما في قول بشار([4]):

ذَر خلّتـــا ذر ‘خلّتـــا يا ابْنَ ‘خليْـق قـد أتـــى

ذَر ‘خلّتـــا ذر‘خلّتـــا هـــلْ لـــك فـــي أنِّي فتى

ذَر ‘خلتـــا ذر ‘خلّتـــا عَـــرْد إذا قـــام عَتـــــــا

ذَر ‘خلّتـــا ذر ‘خلّتـــا ســـخن إذا جـــاء الشِّـــتا

ذَرْ ‘خلّتـــا ذر ‘خلّتـــا فعلـــت فيـــــك القلتـــى

([1]) انظر المصدر نفسه ، ج1،ص205.

([2]) انظر الأغاني،ج23،ص124،الصولي :الأوراق،ص29،28.

([3])غوستاف فون غرنباوم،ص151

([4]) ديوان بشار، ج2،،ص36، 37.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ذَرْ ‘خلّتــا ذر ‘خلّتــا قــال :متــى ؟قــال :متى؟
ذَرْ ‘خلّتــا ذر ‘خلّتــا فتــّتّ قلبــي فتــتــــــا

ويلاحظ أنّ العبارة المتكررة جاءت لغرض إيقاعي فحسب،والدليل خلوها مــن معنى متّصل بأعجاز الأبيات، بل الأعجاز هي المتّــصلة بــالمعنى ، أمّــا العبــارة الإيقاعية فمعناها المحدّد اترك صحبتي ، وهي ليست مقصودة لذاتها.

ومن التكرار الإيقاعي الذي ظهر عند ابن الرومي،قوله([1])

للحــريثيّ أبــي بكــر غبــبْ ولـــــه قرنــان أيــضا وذنبْ
فــإذا مــا قــال :إنّــا عجــمٌ قـــال قرنــاه جميعا قد كذبْ
فــإذا مــا قــال:إنّــا عــربٌ دفعت ذاك ولــم ترض العربْ
فإذا مــا قــال: إنــي شاعــرٌ قيــل : خــذْ كل شقيّ بالطَّربْ

وهذه شعبية كانوا يقصدون إليها قصداً ،فيسبق إليها الصبيان والعامة ،يرددونها ، ويحفظونها بسرعة،لما تمتاز به من قصر الأوزان ، وسهولة العبارات ، ولذلك فإنّ هذا النوع من السخرية أشدّ وقعاً على المهجو من غيره .

ومن الشعراء من لجأ إلى هذا اللون رغبة منه في التقارب مع المقطوعة الغزلية والخمرية ، فتصبح أبياته صالحة للغناء ، كما كان يفعل الحمدوني ،إذ ضمّن أكثــر مقطوعاته في السخرية من أحمد بن حرب ووصف طيلسانه البالي ،أبياتا لغيره مــن شّعراء الغزل والخمر([2])، ومن ذلك قوله([3]):

قلْ لابن حربٍ طيلســانك قــد أوهـــى قواي بكثرة الغــرْمِ
متبيــّن فيـــــه لمبصــره آثــار رِفــو أوائل الأمــمِ
وكأنّـــــه الخمــر الذي وصفــت في يــا شقيــق الرَوح مــن حِكَــم

وهو يريد قول أبي نواس([4]):

([1])ديوان ابن الرومي،ج1،ص309.
([2]) انظر حسين عطوان : شعراء الشعب ،ص59.
([3]) زهر الآداب ج1 ،ص551.
([4]) ديوان أبي نواس ، ص487.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يـــا شقيــق الروح مــن حَـــــكَم نِمـــــتَ عـــن ليــلى ولــم أنـــمِ

وهذا التطور الفني ظهر أيضا في القرن الثاني الهجري وهو لا يتضح فـــي قصائد الهجاء الزاخرة بالسباب والفحش، ولكنه يظهر في الهجـــاء الـــساخر الـــذي يستهدف إضحاك الناس على المهجو وسخريتهم منه .

وتوسّع شعراء السخرية في استخدام التشبيهات والتجديد في بعـــضها، والتـــشبيه عنصر قائم على خيال الشاعر ،وهو لبّ المحاور الفنية في التصوير([1]) وقـــد أدرك ابن رشيق ضرورة توافره في صناعة الشعر حتّى يعدّ الشاعر شاعرا،ولهذا ذكر أنّ ابن الرومي أولى الناس باسم شاعر؛ لكثرة اختراعه وحسن افتنانه. ([2]).

ويشاركه قدامة بن جعفر في رأيه هذا، فلا يقيس براعة الشاعر بنبل الفكـــر أو صدق المضمون ،بل بما يحتويه شعره من صنعة، لأنه إنّما يحكم عليه بصورته، كما أنّ النجار لا تعاب صنعته برداءة الخـــشب فـــي ذاتـــه ،بـــل بـــصناعته فيـــه([3]). ويلاحظ تنوع التشبيهات عندهم ،تنوعا بيّنا، ‘يظهر سعة في الخيال الشعري ، وقدرة كبيرة على التصوير ، وقد أثبت أبو نواس براعته في استقصاء المعاني، والجمـــع بينها ([4]).

ومن الصور المبتكرة عنده قوله([5]):

على خبزِ إسماعيلَ واقيةَ‘ البخلِ فقدْ حَلَّ في دارِ الأمانِ مِنَ الأكلِ

وقوله([6]):

إذا ما تميمي أتاك مفاخـــراً فقلْ عدّ عنْ ذا كيفَ أكلكَ للضبِّ

([1])علي أبو زيد: الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي،ص252.

([2])ابن رشيق : العمدة ج2،ص286.

([3])قدامة بن جعفر:نقد الشعر،ص19.

([4]) انظر ديوان أبي نواس،ص590،589.

([5])المصدر نفسه ،ص361.

([6]) ديوان أبي نواس ، ص78.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويماثل أبا نواس في امتداد تشبيهاته وتوسّعها ،دعبل الخزاعي الذي اعتمد في تكوين صوره ،على التشكيل والتصوير ،لا على المعنى والتجريد ؛وذلك بهدف إضحاك الآخرين وشد انتباههم ،فاستعان بكل عناصر الفكاهة والهزل .وفي ديوانه نماذج غير قليلة من هذا التصوير الساخر الذي يضيف معلما جديدا يعمق الإطار الفكري والفني للسخرية([1])ومن ذلك قوله في بخيل([2]):

أتقفل‘ مطبخاً لا شيءَ فيه من الدنيا يخاف عليه أكل‘
فهذا المطبخ‘ استوثقتَ منه فما بالُ الكنيفِ عليهِ ‘قفْل‘
ولكنْ قد بخلتَ بكلّ شيءٍ فحتى السّلح فيه عليه بخل‘

ويقول في موطن آخر([3]):

إنَّ مَنْ ضَنَّ بالكنيفِ على الضيـ ـف بغيرِ الكنيفِ كيف يجود‘

فمثل هذه الصور تحتاج إلى البديهة السريعة، والجملة القصيرة، واللفظ الخفيف السهل ،وهذه كلها امتلكها دعبل في تصويره الهزلي، ويضاف إليها براعته في تخيل الرابط الوهمي أو الخيالي الذي يربط بين المتناقضين المتقابلين؛ لإثارة الضحك وتجسيم المعنى ،وتقسيمه ،وتهويله . وعلى الرغم من ذلك فقد ظهر بعضها في صياغة غير محكمة أحيانا ،أما أجمل صوره فقوله([4]):

تمّتْ مقابح‘ وجههِ فكأنّه‘ طلل تحمّلَ ساكنوه‘ فأوحشا

واستمدّ دعبل عناصر هذه الصورة من التراث العربي، لكنّ إتيانه بصورة الطلل ليصوّر به القبح، أمر مستهجن ولم يؤثر عن غيره،وهو من التشبيهات المبتكرة التي تأثّر بها ابن الرومي فيما بعد في قوله في إبراهيم بن المدبر :([5])

شنعاء‘تضرِم فيك نار شناعةٍ تبقى نوائِرها وأنتَ رماد‘

([1])كامل محمد عويضة : دعبل بن علي الخزاعي الصورة الفنية في شعره ص170 _1971

([2])ديوان دعبل ،ص125.

([3])المصدر نفسه ،ص63.

([4]) المصدر نفسه،ص95.

([5]) ديوان ابن الرومي،ج2،ص246.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وابن الرومي من أكثر الشعراء تأثرا بتصوير دعبل الهزلي ،لكن الثاني كما يذكر العقاد([1])قاطع طريق بفطرته، وأن هجوه لم يكن إلا ضربا من قطع الطريق على الناس ،اشتهاء في أكثر الأحيان للذة الصيد، والقنص، ونزوة المطاردة والتخويف، لا طمعا في المال ،أو طلبا للتراث .أما ابن الرومي فكان فنانا بارعا بما أوتي من ملكة التصوير ولطف التخيل والتوليد وبراعة اللعبة بالمعاني والأشكال . وهذا يؤكد أنه ليس من الضروري أن يكون كل هجاء خارجا على المجتمع مبغضا لكل ما فيه فابن الرومي لم يكن كذلك ولكنه كان ناقدا شديد الحساسية يثور على ما لا يعجبه([2]).

ولإغناء الصورة لجأ بعضهم إلى إشراك مجموعة من الحواس والأفعال في تشكيلها ،ومن أمثلة ذلك قول أبي نواس([3]):

رأيتُ‘ الفضلَ مكتئباً يناغي الخبزَ والسّمكا
فقطّب حين أبصرني ونكّسَ رأسَه‘ وبكى
فلمَّا أنْ حلفتُ‘ له بأنّي صائم ضَحِكا

فكلّ فعل من هذه الأفعال يحمل مشهداً متحركاً ،يضاعف الأثر النفسي عند المتلقي، ويدفعه لمتابعة المشاهد التالية، لارتباط بعضها ببعض . فالصورة تبدأ بانفعالات سلبية لدى البخيل ،عندما يبصر زائرا،تدفعه لمناغاة الخبز والسمك إشارة منه إلى أنّها ليست للأكل .وعلى الرغم من ذلك فقد لجأ إلى وسائل أخرى لحماية طعامه ،ومنها أنه غيّر من ملامح وجهه ،وطأطأ رأسه، وانتحب، وظل على هذه الحال ،حتى أقسم له الضيف أنه صائم وعندها عاد إلى حالته الطبيعية، وعبر عن ذلك بالضحك . وهذه النقلة في حالة البخيل النفسية ، لم تكن لتتم لولا تسلسل الأفعال وتواليها في ذكر المشاهد، وصولا إلى الحالة الأخيرة .

([1]) العقاد : ابن الرومي حياته من شعره ص225.

([2])عبد الحميد محمد جيده : الهجاء عند ابن الرومي ص114.

([3]) ديوان أبي نواس ،ص433.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ أن الشاعر قد نجح في وضع اللفظ في موضعه والانتقال في المعنى من صورة إلى صورة باختزال وتكثيف ساعده على ذلك التركيز على المعاني الوصفية المعبرة .

ومثل هذه الصورة قوله في بخيل آخر([1]):

رغيف' سعيدٍ عنده عدل' نفسهِ يقلِّبه' طَوْراً وطوراً يلاعِـــبهْ
ويخرجــه مــن كمّــه فيشــمّه ويجلسه في حجره ويخاطـــبهْ
وإن جاءه المسكين يطلب فضله فقد ثكلته أمه وأقاربـــــــــهْ
يكرّ عليه الســوط من كلّ جابب وتكسر رجلاه، وينتف شــاربهْ

ومن وسائل تكثيف الصورة أيضاً اللجوء إلى أسلوب الافتــراض ،فاســتندت الصّور إلى المستحيلات والمعاني المفقودة من واقع الحياة([2]).

ونشأ بعضها من التوالي والتكرار في ممارسة المعنى الساخر، وهذا من شأنه إضفاء الحركة والحيوية على النص،ومن ذلك قول ابن الرومي([3]):

وكأنما صفعت قفاه مرّة وأحسّ ثانية لها فتجمّعا

وقوله([4]):

ما زالَ يكسوه إذا ما استصفعا
صفعــاً ... حتّى قرّعـــــا

ويلاحظ تعدد المشاهد وتنوّعها في الصورة الواحدة، وخير أنموذج على ذلك

قول ابن الرومي([5]):

يا أيّــها الهــارب' من دهــرهِ أدركــكَ الدهــر' علــى خيلــهِ

([1]) ديوان أبي نواس ،ص100.
([2]) انظر الأغاني ،ج3،ص1174.
([3]) ديوان ابن الرومي ،ج1،ص12.
([4]) المصدر نفسه ،ج4،ص185.
([5])المصدر نفسه ،ج5،ص177.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يســوق مــن نفرتــه طــــرّة إلــى مــدى يقصّــر عن ثيــلهِ
فوجهُــه يأخــذ‘ مــن رأســهِ أخــذ نهــار الصّيــف من ليلــهِ
مثــل الــذي يرقّــع من جيبــهِ وهيْــا يأخــذ‘ مــن ذيلــــــــهِ

في حين يمتاز بعضها بالاختزال والتكثيف ، فتخرج مكتملــة ناضــجة،حتّى علــى مستوى مقاطع نصّية ،أو أبيات بمفردها، ومن ذلك قول إبراهيم بن هرمة في سلوك بخيل([1]):

نكّسَ لمّــا أتيــــــــت سائلــــه واعتــــلّ تنكيسا ناظــمِ الخــــــرزِ

وقوله([2]):

وإنّكَ إذ أطعمتني منكَ بالرضا وأيأستني من بعدِ ذلك بالغضــبْ
كممْكنةٍ من ضِرعها كفّ حالبٍ ودافقةٍ من بعدِ ذلك مــا حــلــبْ

ويلاحظ على هذه الأبيات صفة الدّقة والتخــصيص فــي تحديــد المعــاني، والموازنة بين المعنى المتّحد واللفظ المتعدد،على الرغم من اللجوء إلى المجاز بكثرة، ونقل المعنى من صورة إلى أخرى .

([1])شعر إبراهيم بن هرمة،ص134.
([2])المصدر نفسه، ص64.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــــة

‘يستنتج مما سبق أنَّ السخرية مفهوم عميق ، يرتبط بالجماعة، ويتّخذ في التعبير أساليب متعدّدة ، فاقت في تأثيرها التعبير الصريح المباشر ، أمّا عن تأصيلها ، فيمكن القول إنّها لم تظهر بوصفها ظاهرة إلّا في العصر العباسي ،على الرغم من وجود بعض الأبيات الساخرة عند الحطيئة وعند شعراء النقائض 0

وبرز من بين شعراء السخرية أبو الشمقمق، وبشار بن برد، وأبو نواس ،وابن الرومي ، ولكنّ ابن الرومي ظلّ أكثرهم حضوراً .

و تعددت الموضوعات التي تناولها الشعراء ، فعبّر بعضها عن هموم ذاتية ، وبعضها دار في موضوعات اجتماعية ، وآخر في موضوعات سياسية ، وغيرها في موضوعات دينية وحضاريّة.

وتعددت الدّوافع التي كانت وراء سخريتهم ،فمنهم من كان ساخطاً على النظام الاجتماعي ،كبشار وأبي نواس ، ومنهم من كان ساخطاً على النظام السياسي كدعبل ، وشعراء الطبقة الفقيرة ، ومنهم الزنديق والشعوبي الذي جعل من السخرية إطاراً فكرياً ، كشف فيه عن أحقاد وضغائن تجاه الدين الإسلامي والمجتمع العربي كبشار ، ومنهم من كان متشائماً متطيّراً كابن الرومي 0

وأقام بعضهم سخريته على المفردات الشعبية البسيطة ، واضحة الدلالة ، ودخلت في سخريتهم بعض الألفاظ المعرّبة والألفاظ النابية ، ومن بين هؤلاء أبو دلامة وأبو الشمقمق، في حين تميّزت لغة بشار وأبي نواس وابن الرومي باتّساعها ، وظهرت قدرتهم اللغوية في توليد المعاني والتلاعب بها ، والنّظم على مختلف بحور الشعر بمختلف القوافي 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتمدوا على مجموعة من الأساليب التي ترتفع بالسخرية وتجعلها فنّاً راقياً ، ومنها أسلوب الأمر، والاستفهام، والنفي، والشرط، والمقابلة ، والحوار بنوعيه ، والسرد القصصي ، وتوظيف معارف متنوعة، دينية وتاريخية وفلسفية ، وكان أكثرهم تميّزاً ابن الرومي ، فقد كان يمتلك ثقافة واسعة ، وذوقاً ناقداً ، أتاح له إصدار أحكام نقدية معلّلة .

وأمّا صورهم فتراوحت بين الصور المفردة والصور المركّبة ، وأقيمت في مجملها على المبالغة، والافتراضات والتدرج في المعاني وتقليبها ، وعقد علاقات بين أشياء متباعدة متنافرة ،جمع بينها وألّفها خيال الشاعر .

ويلاحظ على سخريتهم ازدحام التشبيهات وتوسّعها ، مما جعل صورهم خصبة معبرّة أحياناً ، في حين بالغ بعضهم فيها ، فجاءت على حساب المعنى الساخر ، إذ ينشغل ذهن القارئ والسامع في التأمل في تلك التشبيهات وإيجاد الروابط والعلاقات بينها، وقد يأخذ على الشاعر توحيدها لضعف الصّلة بينها 0

وأمّا أكثر الصور تأثيراً ، فهي الصور الكاريكاتورية التي تقوم على عزل ملمح عن سائر ملامح الجسد ، والإسراف في تشويهه ، فينتج عن ذلك جمال في العرض وبشاعة في المعروض 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمـــــــة المصادر المطبـــوعة

- القرآن الكريم
- إبراهيم بن هَرمة القرشي ، ت (176 هـــ) ، الشعر ، تحقيق محمد نفّـــاع وحسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللّغة العربية ، دمشق 0
- الأصفهاني ، علي بن الحسين ،ت (356 هـــ) ،الأغاني ، ط24،1ج فـــي 12م،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،1994م 0
- الآلوسي ، محمود شكري، ت(1857هـــ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ،عني بشرحه وضبطه محمد بهجـــة الأثـــري ،3ج ، دار الكتـــب العلمية، بيروت 0
- بشار بن برد ، ت(168هـــ) ، الديوان، جمعه وكمّله وعلّق عليه محمد بن عاشور ،4ج ،المكتبة التونسية للتوزيع والشركة الوطنية للنشر والتوزيـــع، الجزائر ،1976.
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، ت (1093هـــ) ،خزانـــة الأدب ولـــبّ لباب لسان العرب ، 4ج ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هـــارون ، دار الكاتب العربي ،القاهرة ، 1986م 0
- البكري ،أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ،ت (487هـــ)، التنبيـــه علـــى أوهام أبي علي في أماليه ، ط3 ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1954 م 0
- البيهقي ، إبراهيم بن محمد ،ت (320) ،المحاسن والمساوئ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، 1960م
- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، ت(874هـــ) ، النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ط12،1ج ، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة ، 1932م 0
- التنوخي، القاضي أبو يعلى عبد الباقي عبد الله بن المحسن ، ت(487هـــ)، القوافي ، تحقيق عوني عبد الرؤوف ، ط2، مكتبة الخـــانجي ، مـــصر ، 1978م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التوحيدي، أبو حيّان ، ت (414هـ) ، الإمتاع والمؤانسة ، 3ج في 1م ، صحّحه وضبطه ، وشرح غرببه أحمد أمين ، وأمين الّزين ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت 0
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، ت (429هـ) ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، 1965م 0
- نفسه ، فقه اللغة وسر العربية ،المكتبة التجارية الكبرى ، مصر، 1938م0
- الجاحظ ، عمرو بن بحر، ت (255 هـ) ، البخلاء ،حقّق نصّه وعلّق عليه طه الحاجري ، ط8 ، دار المعارف ، مصر0
- نفسه ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط1، 7ج ، مطبعة مصطفى البابلي ، مصر ، 1938 م0
- نفسه ، المحاسن والأضداد ، تحقيق محمد أمين الخانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1960م 0
- ابن جّراح ، أبو عبد الله محمد بن داود ، ت (296هـ) ، تحقيق عبدالوهاب عزّام ، وعبد الستار أحمد فرّاج ، دار المعارف ،مصر،1953.
- الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ، ت (471هـ) ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمد رشيد رضا ، ط3 ، 1939 م 0
- الحسين بن الضّحاك ، أبو علي بن ياسر الخليع الأشقر، ت(251هـ) أشعاره ، جمعها وحققهّا أحمد فرّاج ،دار الثقافة ، بيروت 1960م 0
- الحصري ، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ،ت (453هـ) ، زهر الآداب وثمر الألباب ، 2ج ، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وطبعه وشرحه ووضع فهارسه علي محمد البجاري ، دار الكتب العربية ، 1953م 0
- الحموي ، ابن حجّة ، ت (837هـ) خزانة الأدب وغاية الأدب ، (م0خ)، الجامعة الأردنية 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، ت (463هـ) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ،دار الكتاب العربي ، بيروت 0
- الخطيب التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي ، ت (502هـ) ، الكافي في العروض والقوافي ، تحقيق الحّساني حسن عبد الله ، دار الكاتب العربي ،القاهرة ، 1966 م 0
- دعبل بن علي الخزاعي ، ت (246) ، الدّيوان ، جمعه وحققّه محمد يوسف نجم، دار الثقافة ، بيروت ، 1962 م 0
- أبو دلامة ، زنْد بن الجْون ، ت(161هـ) ، الديوان ، شرح وتحقيق إميل بديع يعقوب ، ط1، دار الجيل ، بيروت ، 1994م 0
- الدّميري ، كمال الدين محمد بن موسى، ت(808هـ) ، حياة الحيوان الكبرى ، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر 0
- ابن رشيق ، أبو علي ، الحسين بن رشيق ، ت(456هـ) ،العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده ، حققّه وفصّله وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، ط2،2ج ،مطبعة السعادة ، مصر ،1964 م 0
- ابن الرومي ، أبو الحسن علي بن العباس بن جريح ، ت(282هـ) ، الديوان ، شرح وتحقيق عبد الأمير علي مهنا ، 6ج ، منشورات دار مكتبة الهلال ، 1991م 0
- الزّمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، ت(538هـ)، أساس البلاغة ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1965م0
- السّيد الحميري ، أبو هاشم إسماعيل بن محمد ، ت (173هـ) ، الدّيوان ، تقديم نواف الجرّاح ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1999م 0
- السيوطي ، جمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت (911هـ) ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، مصر 1952م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصّفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، ت (764هـ) ، نكت الهميان في نكت العميان ، أحمد زكي بك ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2000م 0
- نفسه ، الوافي بالوفيّات ، باعتناء جاكلين سوبله ، وعلي عمارة ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1980 م 0
- الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى ، ت (946م) ، أخبار الرّاضي بالله والمتقّي لله أو تاريخ الدولة العباسيه من سنة 322 إلى سنة 333 هـ ، من كتاب الأوراق ، قسم أخبار الشعراء ، عني بشرحه ج هيورث ، بمدرسة اللغات الشرقية ، مطبعة الصادي ، لندن 0
- ابن طباطبا، محمد بن أحمد ، ت (322هـ) ، عيار الشعر، القاهرة ،1956.
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، ت (310هـ) ، تاريخ الأمم والملوك ،ط1 ،5ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 م 0
- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، ت (709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، راجعه ونقّحه محمد عوض إبراهيم بك ، وعلي الجارم بك ،دار المعارف ،مصر ، 1945م 0
- ابن عبد ربّه ،أبو عمر أحمد بن محمد، ت(328،هـ)، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، ط2 ، مطبعة الاستقامة ،القاهرة 0
- أبو الفداء المؤيد ، عماد الدين إسماعيل بن علي ، ت (732هـ) ، المختصر في أخبار البشر ، ط1 ، 4ج في 1م، المطبعة الحسينية المصرية، 1907م 0
- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ،ت (823هـ) ،القاموس المحيط ، 4ج ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1983م 0
- ابن قتيبة ،أبو محمد عبد الله بن مسلم ،ت (276هـ) ، الشعر والشعراء أوطبقات الشعراء ، حقّقه وضبط نصّه ووضع حواشيه الدكتور مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الضناوي ، ط1 ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000 م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- نفسه ، عيون الأخبار ،4ج، مطبعة دار الكتب المصرية ،القاهرة، 1925م.
- قدامة بن جعفر، ت (737هـ) ، نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، 1963م 0
- الكتبي ، محمد شاكر بن أحمد ، ت (764هـ) ، فوات الوفيّات ، حقّقه وضبطه وعلّق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ،2ج ، مطبعة السعادة، مصر ، 1951 م 0
- ابن كيسان ، أبو الحسن ، محمد بن أحمد ، تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها ضمن كتاب رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ ، تحقيق إبراهيم السامّرائي، ط1 ، مكتبة المنار ، الزّرقاء ، الأردن ، 1988م 0
- المبرّد ، أبو العباس محمد بن يزيد ، ت (285هـ) ، الكامل ، عارضه بأصوله وعلّق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيّد شحاتة ، 4ج ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجاله ، مصر 1965م 0
- المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى ، ت (384هـ) ، معجم الشعراء ،تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج ،دار إحياء الكتب العربية ، 1960 م 0
- نفسه ، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء ، تحقيق علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1965م 0
- المسعودي ،أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت(346هت) ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ، شرحه عبد الأمير علي مهنّا ،ط1 ،4ج، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1991م 0
- مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ،ت(261هـ) ، شرح الإمام محيي الدين النووي ت (676هـ) المسمى بالمنهاج ، حقّق أصوله وخرّج أحاديثه الشيخ خليل مأمون شيحا، ط5 ،دار المعرفة ، بيروت،1998م 0
- ابن المعتز ،أبو العباس عبد الله بن محمد ، ت(296هـ) ، طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،دار المعارف ،القاهرة ،1956م0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن منظور ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، ت (711 هـــ) ، لسان العرب ، ط3 ،18ج ، دار إحياء التراث العربي، 1993م0
- نفسه ، أبو نواس في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونـــه ، قـــدّم لـــه وأشرف على تصحيحه وتقسيمه وتبويبه عمر أبو النصر، ط2 ،1969م.
- المهزمي ، أبو هفّان عبد الله بن أحمد بن حرب ، ت(257هـــ) ، أخبـــار أبي نواس ، تحقيق عبد الستار أحمد فّراج ، مكتبة مصر،1953م .
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق ، ت(385هـــ) ،الفهرست ، مكتبة الاستقامة ، القاهرة .
- أبو نواس ، الحسن بن هانئ ، ت (199هـــ) ،الديوان ، شرحه وضـــبط نصوصه وقدّم له عمر فاروق الطباع ،دار الأرقـــم بـــن أبـــي الأرقـــم ، 1998م0
- اليافعي ، عفيف الدين عبد الله بن أسعد ،ت(768هـــ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزّمان ، وضع حواشـــيه خليـــل المنصور ، منشورات علي بيضون ، ط1 ،4ج ، دار الكتـــب العلميـــة ، بيروت ،1997م 0
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ،أبـــو عبـــد الله يـــاقوت بـــن عبـــد الله ، ت(626هـــ) ،معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، 7(ج) دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قائمـــــة المراجـــــع الحديثـــــة

- إحسان عباس ، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ط4 ، دار الثقافة ، بيروت 1983م 0
- أحلام الزّعيم ،أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمـــرد ، دار العـــودة، بيروت 1981م 0
- أحمد بدوي ، أسس النقد الأدبي عند العرب ، ط2 ، مكتبة نهضه مـــصر 1960م 0
- أحمد عطية الله ، سيكولوجية الضحك ، دار إحياء التراث العربي 0
- أحمد كمال زكي ، الحياة الأدبية في البصرة إلى نهايـــة القـــرن الثـــاني الهجري ، دار المعارف ، مصر 0
- أحمد محمد الحوفي ، الفكاهة في الأدب العربي وبعض دلالاتها ، طبعـــة جامعة أم درمان الإسلامية ، 1967م 0
- أدونيس ، مقدّمة للشعر العربي ، دار الأسوار ، عكا القديمة ، 1977م 0
- نفسه ، زمن الشعر ، دار العودة ، بيروت ، 1972م 0
- آرثر بولارد ، الهجاء ، موسوعة المصطلح النقدي ، ترجمة عبد الواحـــد لؤلؤة ، بيروت ، 1982م 0
- آرنست فيشر ، ضرورة الفن ، ترجمة أسعد حلـــيم ، الهيئـــة المـــصرية للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، 1971م 0
- أنيس المقدسي ، أمراء الشعر العربي في العـــصر العباســـي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1961م0
- إيليا حاوي ، ابن الرومي، فنّه ونفسيته من خلال شعره ط2، منـــشورات مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1980م 0
- نفسه ، فن الوصف وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت 0
- نفسه وآخرون، المفيد في الأدب ، ط1 ، 1964م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- أيمن محمد زكي العشماوي ، خمريات أبي نواس ، دراسة تحليليـــة فـــي المضمون والشكل ، دار المعرفة الجامعية ، 1998 م 0
- البهبيتي ، تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالـــث الهجـــري ، دار الثقافة ، 1982م 0
- جماعة من السوفيات ، أسس علم الجمال الماركس اللينيني ، تعريب يوسف الحلاق ، تدقيق عدنان جاموس ، دار الفـــارابي ،دار الجمـــاهير العربيـــة 1987م 0
- حامد عبده الهوال ،السخرية في أدب المازني ، الهيئة المصرية للكتاب ، 1982م 0
- حسين خريس ، حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نـــواس ومعاصريه، مؤسسة الرّسالة ، دار النشر 0
- حسين خريوش ، أدب الفكاهة الأندلسي ، إربد ، 1982م 0
- حسين عطوان ، الزندقة والشعوبية في العصر العباسي الأوّل ،دار الجيل، بيروت .
- نفسه ، شعراء الشعب في العصر العباســـي الأول ، ط جمعيـــة عمـــال المطابع التعاونية ، عمان 1970 م0
- نفسه ،الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ط2 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981م 0
- نفسه ،الشعراء من مخضرمي الدولتين الأمويـــة والعباســـية ، ط3، دار الجيل ، بيروت ، 1997م 0
- حنا فاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، المكتبة البوليسية ، بيروت 0
- خالد القشطيني ، سجل الفكاهة العربيـــة ، ط1، دار الكرمـــل ، عمـــان ، 1993م0
- خليل شرف الدين،أبو نواس ، ابن الرومي ، المتنبـــي ، منـــشورات دار مكتبة الهلال ، بيروت ، 1980م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- د0 سي ميوميك ، المفارقة ، موسوعة المصطلح النقدي ، ترجمة عبدالواحد لؤلؤة ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ، 1982م 0
- رفون جست ، ابن الرومي ، حياته من شعره ، ترجمة حسين نصّار ، دار الثقافة ، بيروت0
- روز غريب ، تمهيد في النقد الحديث ، ط1 ، دار المكشوف ، بيروت 1971 م 0
- رياض قزيحة ، الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي ، قدّم له وراجعه ياسين الأيوبي ،ط1، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،1998م 0
- زكريا إبراهيم ، سيكولوجيه الفكاهة والضحك ، مكتبة مصر ،1958م 0
- ساسين سيمون عسّاف ، الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1982م 0
- سعد إسماعيل شلبي ، الشعر العباسي ، التيار الشعبي ، دار غريب ، الفجالة 1978م 0
- سيمون بطيش ، الفكاهة والسخرية في أدب مارون عبود ،1983م 0
- شوقي ضيف ،التطور والتجديد في الشعر الأموي ، ط2، مزيدة ومنقّحة ، دار المعارف ،1959م 0
- نفسه ،العصر العباسي الأول، ط6 ، دار المعارف ، مصر.
- نفسه ، العصر العباسي الثاني ،ط10،دار المعارف ،مصر ،1996.
- شوقي محمد المعاملي ، الإتجاه السّاخر في أدب الشّدياق ، دار مكتبة النهضة المصرية ، 1987م 0
- طه حسين ، حديث الأربعاء ، دار المعارف ، مصر ، 1964م 0
- عادل العوا ، مواكب التهكّم ، دار الفاضل ، دمشق ، 1995م0
- عبد الحليم حفني ، أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1997م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- عبد الحميد محمد جيدة ، الهجاء عند ابن الرومـــي ، منـــشورات المكتـــب العالمي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1974م 0
- عبد العزيز شرف ،الأدب الفكاهي ، مكتبة لندن، 1992م 0
- عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النهضة العربية للطباعة ، بيروت، 1974م0
- عبد اللطيف حمزة ، حكم قرقوش ، مصر 1982م 0
- عبد الله التطاوي ، القصيدة العباسية ، قضايا واتجاهـــات ، دار غريـــب للطباعة والنشر ، القاهرة 0
- عبد المجيد الحر، ابن الرومي ، عصره ، حياته ، نفسيته ، فنّه من خلال شعره ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1992م 0
- عدنان علي رضا النحوي،الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، ط3 ، دار النحوي للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1994 م 0
- عز الدين إسماعيل ، الأدب وفنونه ، دراسة نقديه ، دار الفكر العربي 0
- العقاد ، ابن الرومي ، حياته من شعره ، ط2 ، مطبعة حجازي ،القاهرة ، 1938م 0
- علي إبراهيم أبو زيد ،الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1983م 0
- علي أدهم ، لماذا يشقى الإنسان ؟ فصول في الحيـــاة والمجتمـــع والأدب والتاريخ ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة ، مصر 0
- علي شلق ، ابن الّرومي فـــي الـــصورة والوجـــود ، ط1 ، دار النـــشر للجامعيين ، 1960م 0
- نفسه ، نقاط التّطور في الأدب العربي ، دراسة تحليلية شمولية للمواقـــف الرئيسية في مجرى تاريخ الأدب العربي ،مع مقارنات منحازة فـــي الأدب العالمي، دار القلم ، بيروت ، 1975م 0
- نفسه ، أبو نواس بين التخطّي والالتزام،قدّم له فؤاد البستاني،دار الثّقافـــة، بيروت ،1964م. 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- بوعلي ياسين ، بيان الحد بين الهزْل والجِد، دراسة في أدب النكتة ، ط1، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 1996م 0
- عمر فروخ ، أبو نـــواس ، ط1، دار الـــشروق الجديـــدة ، بيـــروت ، 1960م0
- غوستاف فون غرنباوم ، شعراء عباسيون - مطيـــع بـــن إيـــاس ، ســـلم الخاسر، أبو الشمقمق ، دراسات ونصوص شـــعرية ، ترجمهـــا وأعـــاد تحقيقها محمد يوسف نجم ، وإحسان عباس ، منشورات مكتبـــة الحيـــاة ، بيروت 0
- فتحي محمد عوض أبو عيسى ، الفكاهة في الأدب العربي إلى نهاية القرن الثالث ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، 1970م 0
- فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها وأفنانها ، علـــم المعـــاني ، ط4 ، دار الفرقان ، الأردن ، 1997م 0
- كامل محمد عويضه ، دعبل بن علي الخزاعي ، الصورة الفنيّة في شعره ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، 1993م 0
- كمال أبو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي ، دراسات بنيوية في الشعر، ط1، دار العلم للملاين ، بيروت ، 1979م 0
- المازني ، إبراهيم عبد القادر ، أعلام الإسلام ، بشار بن برد ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، 1971م 0
- نفسه ، حصاد الهشيم ، ط7، المطبعة العصرية ، مصر ، 1961م 0
- مجدي وهبه، معجم مصطلحات الأدب، بيروت ، 1974م 0
- مجدي وهبه و كامل المهندس ، معجم المصطلحات في اللغـــة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1979م 0
- محمد زغلول سلاّم ، دراسات في الأدب العربي ، العـــصر العباســـي ، منشأة المعارف ، مصر 0
- محمد زكي العشماوي ، موقف الشعر من الفـــن والحيـــاة فـــي العـــصر العباسي، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981م 0

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحـــديث ،دار الثقافـــة ، دار العـــودة ، بيروت ، 1973م0
- محمد كرد علي ، الإسلام والحـــضارة العربيـــة ، مطبعـــة دار الكتـــب المصرية ، 1936م 0
- محمد محمد حسين ، الهجاء والهجاؤون في الجاهليـــة ، مكتبـــة الآداب ، الجماميز، 1947 0
- محمد مصطفى هدّارة ، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف ، 1963 م 0
- محمد مندور ، في الميزان الجديد ، مكتبة نهضة مصر للطباعة ، القاهرة، 1998 م 0
- محمود السّمرة ، النقد الأدبي والإبداع في الشعر ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1997م 0
- ميشال عاصي ، دراسات منهجية في النقد ، دار مكتب الحياة ، بيـــروت ، 1970م
- يحيى الشامي أبو نواس ،الوجه الآخر ، ط1، دار الفكر العربي ، بيروت، 2002م 0
- يوسف بكّار ، في النقد الأدبـــي ، دار المناهـــل للطباعـــة ، بيـــروت ، 1959م0
- يوسف خليف ، في الشعر العباسي ، نحو مـــنهج جديـــد ، دار غريـــب للطباعة ، القاهرة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الرّسائل الجامعيّة

- فراس الحاج محمد ،السخرية في الأدب الفلسطيني المقاوم، رسالة ماجستير، جامعة النّجاح الوطنيّة ،نابلس ،1998م .

الدّوريات العربية

- جاسر أبو صفيّة ، ابن الرومي ناقداً ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية مجلس النّشر العلمي ،جامعة الكويت ،الرّسالة 185، الحولية الثانية والعشرون، 2001-2002م .

- محمد عبد الغني حسن ، الفكاهة في الشّعر المعاصر ، الهلال، العدد 8 ، 1974.

- محمد مفتاح ، مدخل إلى قراءة النّص الشعري ،فصول ،العدد الأوّل ،المجلّد السادس عشر ،صيف 1997.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

'The Sarcastic Nature Of Abbassidian Poetry In The Second And Third Century Of The Islamic Calendar'

Authored by: Abdul-Khaliq Abdullah Audey Issa
Supervisor by: Prof. Hussain Atwan

This study is based on the assessment of sarcasm in Abbassidian poetry in the second and third century of the Islamic calender, and it became evident that the appearance of sarcasm came about as a result of large social changes that affected both the individual and his community. The poets took this opportunity to use methods of criticism and change. So they tried to expose many of the problems and defects in their society using high rhetoricalistic methods and they hence called for change in the social system.

The study is built on seven chapters:

The first chapter comprises of the reasons for choosing sarcasm in poetry, the reasons for its appearance, its definition and its relation to the individual and the community, its different types and methods of use, why the poets used it and its relation with the terms associated with it.

In the second chapter several topics which sarcasm acted on were discussed; sarcasm on the outward features of humans, on the subject of dwarfism, on being bald, about having a large nose, about ugliness, long beardedness and on having tacky and patched up clothing.

The third chapter focused on sarcasm about the symbolic aspects of a human and his life. Under this title came the following topics; sarcasm about poverty, about miserliness and being miserly, about deficiency in manliness

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

and being cowardly, about lineage, about stupidity, about contradiction in the persons life and about breaking promises.

The fourth chapter discussed the way that different social groups used sarcasm. The chapter talked about spouses, girls, the rich, the servants, the slave girls, the poets, the book writers, the grammatarians and the scholastic theologians.

The fifth chapter discussed how the poets scorned the upper class of their society this included the caliphates and princes, the , the judges, the poets and other government employees.

The sixth chapter looked at sarcasm used on issues related to religion, civilization and heritage. So they were sarcastic towards the simple life of the Arab, and they negated that the Arabs had any sort of civilized nature of elegance. They also called for the Arabs to compete with the Persian way of life. And some of these poets exceeded the limits in there talk about particular aspects of religion that they differed with.

The seventh chapter discussed the use of language and imagery in poetry. Hence there appeared two dialects in the language used; formal spoken Arabic and colloquial speech with some foreign words entering the formal dialect. This manifested new methods that enriched the art of sarcasm and increased its impact. The most significant of these methods was the method of using contrasting meanings and the method of unifying two words that have contradicting meanings. These methods aided in the formation of new forms of imagery the most apparent of which was the cartoon sketch which is so elaborate it appears to speak itself. Ibn Arumi came out as a pioneer for this type of imagery.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit